

المشقى
الظرف والظرفاء

لأبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الهمداني

تحقيق

أحمد محمد

الطبعة الثانية

١٢٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

قصص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .
« وبعد » فهذا كتاب الموشى، أو « الظرف والظرفاء »^(١)، لأبي الطيب
محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء، الذى عاش فى النصف الأخير من القرن
الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة (٨٦٠ - ٩٣٦ م) .

وهو كتاب فريد فى بابيه، يمثل آداب عصر القرنين الثالث والرابع الهجريين.
ولقد رعى المؤلف إلى إعطاء صورة عن الرجل الظريف، وما يجب أن
يتحلى به من محاسن، وما يجتنب من مساوئ .

وعسى أن يكون هذا الكتاب أول ما ألف فى صور الظرف، وآداب

(١) كان المرحوم السيد محمد أمين الخانجي الكتبي أول من نشر هذا الكتاب بمصر،
وقد أطلق عليه « الظرف والظرفاء » وقدمه بهذه الكلمة :
بسم الله الرحمن الرحيم

تباركت اللهم أحسن الخالقين * ونصلى ونسلم على نبيك سيدنا محمد الأمين وعلى آله
وعصبيه أجمعين .

(وبعد) فاقى عند ما صمدت للتجار فى الكتب صيب الله إلى نشر النافع منها فكنت
أرجع فى اختياري إلى مصنفات الصدر الأول لموقع اختياريهم فيما يدونوه من العلم فى كل
فن * وهذا كتاب عرف بالموشى تأليف أبي الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء أحد
أئمة الأدب فى القرن الثالث ومن أخذ عن أبي العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف
بالمبرد وقعت إلى نسخة منه فانتحلت له اسم (الظرف والظرفاء) ليطابق مسماه ويكون
عنوانا على حليته وحلاه والله المستعان على كل حال
كتبه

محمد أمين الخانجي الكتبي

السلوك والليقان ، وهى ما تسمى الآن فى العرف الفرنجى « بالاتيكييت » ،
وانه ليدل على أن المسلمين قد شغلوا بهذه الصور ، وألفوا فيها ، قبل أن يشغل
بها الغربيون ويؤلفوا فيها بأكثر من ألف سنة .

الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية على عهد المؤلف :

كانت الدولة العباسية دولة فارسية ، يعاوها خليفة عربى ، فالفرس هم
الذين أوجدوها وأيدوها ، فكانوا ركن الخلافة ودعامتها ، وولاتها وساستها ،
وكفاتها وقادتها ، ومشيرىها ووزراءها ، ومفكرىها وعلماءها ، وكتابها وشعراءها ،
فاصطبغت الدولة بصبغة فارسية ، وتغلبت هذه الصبغة على الحضارة العربية .
وانتقلت الخلافة من بلاد العرب إلى العراق الفارسى ، واتخذت قصبته
بغداد ، أقرب الأمصار إلى بلادهم ، وأصبحت بغداد خلفا من المداين .
وأطلق الخلفاء أيدى الموالى فى سياسة الدولة ، فاستقلوا بشؤونها ،
واستبدوا بأمورها .

ودخلت فى تكوين الدولة عناصر أخرى : تركية وسريانية ورومية
وبربرية ، وتمازج العرب بهذه العناصر بالتزاوج والتناسل ، واختلطت
المدنية الآرية بالمدنية السامية ، ولكل منهما لغة ، وأخلاق وعادات ،
واعتقادات ، أثرت فى الأخرى .

وبلغت الدولة فى زمن العباسيين ذروة المجد والحضارة ، فعم الأمن ،
وكثر الخير ، واتسعت أبواب الرزق ، وتفرغ القوم للتمتع بما فاض لديهم ،
ورتعوا فى بحبوحة العيش ، وتأنقوا فى أنواع الترف ، من مطعم وملبس ،
وزخرف البناء والرياش^(١) والمعاش^(٢) وصقلت^(٣) طباعهم ، ورقت أذواقهم ،

(١) الرياش : الزينة .

(٢) صقلت : جلّيت .

وأُمسّت بدأوتهم أثرا بعد عين ، وأصيحوا يتقلبون على الطنافس^(١) الحريرية
في القصور المذهبة تحيط بها الحدائق الغناء ، ويلبسون الخز^(٢) والديباج^(٣) ،
ويطعمون الفالوذ^(٤) والسكباج^(٥) ، وهيئات زمان كانوا يحسبون فيه
الكافور^(٦) ملحاً ، والرقاق كاغدا^(٧) .

ولما أن اتسعت رقعة البلاد ، واختلط العرب بعدة شعوب ، وانتقلت
إليهم حضارات جديدة ، وطغت هذه الحضارات ، وانغمس الناس فيها ،
أخذت رهبة الدين تنحسر عن قلوبهم ، فاستمتعوا بكل ما حوت البلاد من
عيش ناعم ، وملك باسّم ، وزهو ولهو ، وعزف وقصف .

ولقد أجلب الفرس على العرب بكل ما يصيب القلوب ، من سماع وشراب ،
وكواعب أتراب ، وأغرقوهم في بحر طام من السرف والترّف^(٨) ، والمحارم
والمآثم ، وراح العرب يخطرون في مطارف^(٩) الفرس ، ويلعبون في
ملاعب الفرس ، ويشربون في مشارب الفرس ، ويتأدّبون بآداب الفرس ،
ويتخلّقون بأخلاق الفرس .

وضعف سلطان الدين في قصور الخسافة ، واعتلى الحكم فيها ملوك
يتوارثون الحكم ، واطلقت الحرية في الدين ، فشاعت المقالات المختلفة في
الاحاد والسياسة .

(١) الطنافس : البسط ، ومفردها طنفسة (بضم الأول والثالث وكسرهما) .

(٢) الخز : نسيج من الحرير والصوف .

(٣) الديباج : نسيج من الحرير الخالص .

(٤) الفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل .

(٥) السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل .

(٦) الكافور : صمغ أبيض قوى الرائحة يؤخذ من شجر الكافور .

(٧) الرقاق : الخبز المنبسط الرقيق . والكاعد : الورق .

(٨) الترف : الترفه ،

(٩) المطارف : جمع مطرف ، رداء من خز ذو أعلام .

وكان مما أفاء الفتح الاسلامي على العرب كثرة الجوارى ، فنُفذن إلى الساحة العربية ، واقتنهن العرب ، وأقضموهن في حياتهم ، فكان من عوامل بنائها الاجتماعي ، وسأيرت النساء العربيات في تكوين الأسر في الأوساط المختلفة ، حتى أصبح الجمهرة الساحقة من خلفاء بني العباس من أولاد الجوارى (٣٦ من ٣٩ خليفة) .

ولما راجت سوقهن ، وكثر اقبال الناس عليهن ، عفى النخاسون ومواليهن بأعدادهن لهذه الحياة على خير الوجوه وأكملها ، فعلموهن الرواية والشعر والاجازة والمطارحة والغناء ، وكلما نبغت جارية في هذه الضروب غالى صاحبها في الثمن ، واشتط في التقدير .

ولقد انتشرت تجارة الرقيق في ذلك العهد ، وكان في بغداد شارع يسمى « شارع دار الرقيق » انتهب في الفتنة بين الأمين والمأمون ، وبكاه شاعر في قصيدة طويلة آخرها :

ومهما أنسَ من شيءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكَرُ دَارِ الرَّقِيقِ

واشتهر في ذلك العصر كثير من النخاسين في بغداد ، وسبب شهرتهم ما لهم من جوار حسان ، يأوى اليهن الشعراء والأدباء .

فمنهم نخاس يُكنى « أبا عُمَيْرٍ » كان له جوار قيان لهن ظرف ، وكان من جواريه جارية تسمى « عَبَّادَةَ » هويها عبد الله محمد بن البواب فيقول :

لو تشكَّى « أَبُو عُمَيْرٍ » قليلاً لَا تَنسَاهُ مِنْ طَرِيقِ الْعِبَادَةِ
فَقَضِينَا مِنْ الْعِبَادَةِ حَقًّا وَنَظَرْنَا فِي مَقَلَّتِي « عَبَّادَةَ »

ومنهم « أبو الخطاب » النخاس ، كان له جارية تعرف بذات الخال ، كان يهواها ابراهيم الموصلی .

ومنهم « حرب بن عمرو الثقفي » كان نخاساً ، وكان له جارية مغنية ، وكان

الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها يسمعونها ، وينفقون في منزله النفقات الواسعة ، ويبزونه ويهدون إليه ، وفيها وفيه يقول أشجع :

أَشْكُو الَّذِي لَأَقَيْتُ مِنْ حُبِّهَا وَبُغْضِ مَوْلَاهَا إِلَى الرَّبِّ
مَنْ بُغْضِ مَوْلَاهَا وَمَنْ حُبِّهَا سَقِمْتُ بَيْنَ الْبُغْضِ وَالْحُبِّ
فَاخْتَلَجَا فِي الصُّدْرِ حَتَّى اسْتَوَى أَمْرُهُمَا فَاقْتَسَمَا قَلْبِي
تَعَجَّلَ اللَّهُ شِفَائِي بِهَا وَعَجَّلَ السُّقْمَ إِلَى حَرْبِ

وكان قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء تعج بالجواري والقيان ، من أهم متعددة ، تختلف في الطباع والعادات واللغات ، وكانوا يتخذون منهم ، في مجالس الأنس وليالي الصفو ، بلابل يصدجن بأعذب الألحان ، بين رنين الكؤوس وبهجة الندمان .

ويقول أبو الفرج الاصفهاني في كتابه الأغاني : ودخل أحمد بن صدقة على المأمون في يوم السعانيين^(١) ، وبين يديه عشرون وصيفة جلها روميات مزّنات ، قد تزّين بالديباج الرومي ، وعلّقن في أعناقهن صلبان الذهب ، وفي أيديهن الخوص والزيتون ، فقال المأمون : ويللك يا أحمد ، قد قلت في هؤلاء أبياتاً فغنّني فيها ، ثم أنشدني :

ظُبَاءٌ كَالذَّنَابِيرِ مِلَاحٌ فِي الْمَقَاصِيرِ
جَلَاهُنَّ السَّعَانِينَ عَلَيْنَا فِي الزَّنَابِيرِ^(٢)
وَقَدْ زَرَفْنَ أَصْدَاغًا كَاذَنَابِ الزَّرَازِيرِ^(٣)

(١) يوم السعانيين ، عيد للنصارى ، ويسمى عيد الزيتونة ، والشعانيين ، وتفسيره بالعربية : التسليح ، ويعملونه في سابع أحد من صومهم .

(٢) الزنار : ما يشد على الوسط .

(٣) زرفن شعره : جعله كالزرافين ، وهي الحاق الصغير واحدها زرفين . الزرازير : جمع زرزور ، طائر من نوع العصفور .

وأَقْبَلَنَ بأَوْسَاطٍ سَاطِئَةٍ الزَّائِبِينَ

ودعاهم الشغف بالغناء الى تعليمه الجوارى ، للتمتع بغنائهن ومنظرهن
معاً ، وتعلم الغناء استتبع تعلم الأدب ، لأن الناس في ذلك العصر كانوا يشتغلون
بالشعر العربي الفصيح ، والمغنية لا تحسن أن تغنى هذه الأشعار إلا إذا حفظت
كثيراً من الشعر ، وأجادت مخارج الحروف ، واطلعت على كثير من الأدب .
ولقد نبغت الجوارى في العصر العباسي نبوغاً عظيماً ، ووصل فن الغناء
على أيديهن الى أبعد غاية من التقدم والرفق ، وعنى العباسيون بالمتأديات
النابرات منهن ، حتى قيل ان الرشيد اتخذ ألفى جارية في قصره ، لكل منهن
صنعة وفن وميزة في الأدب والموسيقى والطرب .

ورغب الناس في الجوارى ، ولا سيما المتأديات المغنيات منهن ، وتنافسوا
في شرائهن أسوة في ملوكهم .

وتسربت روح الأدب من الجوارى المتأديات إلى طبقة من بنات
البيوتات ، فكان للجوارى أثر كبير في انطلاق الكثيرات الى قرض الشعر
ومطارحة كبار الشعراء .

وكان لمجالس الخلفاء العباسيين روح دنيوية ، وكانت مجالس الغناء في
عصر الرشيد والواثق وأمثالهما من خلفاء بني العباس تعد من عجائب الفن .
وكان من أثر الجوارى في الأدب قرضهن الشعر في أغراضه المختلفة من
مدح وهجاء ورثاء وغزل وعتاب ووصف ، لأن أعدادهن لتلك الحياة
العربية الرائعة الفخمة نجه في كثير منهن ملكة قرض الشعر ، لحسن استعدادهن
الفطري ، وكثرة ماروين من الأشعار الكثيرة في الأغراض المختلفة .

ويقول الجاحظ في رسالة القيان : وتروى الحاذقة منهن أربعة آلاف
صوت^(١) فصاعداً ، يكون الصوت فيما بين البيتين إلى أربعة أبيات ، عدا ما يدخل

في ذلك من الشعر ، اذا ضرب بعضه ببعض كان من ذلك عشرة آلاف بيت ...
وكان كثير من هؤلاء الجوارى يحسن الشعر وصناعته ، كما يحسن الغناء ،
وكن يدافعن الشعراء والمغنين بالمناكب ، ويفرغن على الشعر العربي حلة
مذهبة النسيج ، واضحة النهج ، صافية الديباجة ، خفيفة الروح .

وكان العصر العباسي عصر مطارحة للشعر بين الرجال والجوارى ،
يمتدئ الشاعر ببيت من الشعر ، فتعارضه الجارية بمثله على وزنه ورويته وفي
بقية معناه ، وأكثر ما تكون الغلبة للنساء ، فقد كن أسرع بديهة ، وأرق طبعاً
ومن حديث ذلك ان اعرابيا ذهب إلى عنان جارية الناطفي ، وصاحبة
أبي نواس ، فقال : بلغني انك تقولين الشعر ، فقولي بيته ، وكان السلولى
الشاعر عندها ، فقالت : قل أنت يا عم ، فقال السلولى :

لقد جدّ الفراق وعمل صبرى عشية غيرهم للبسين زمت
فقال الأعرابي :

نظرت إلى أواخرها ضحياً وقد بانّت وأرض الشام أمت
فقالت عنان :

كتمت هواكم في الصدر منى على أن الدموع على نمت
فقال الأعرابي : أنت والله أشعرنا ، ولولا أنك بحرمة رجل لقبلك ،
ولكنى أقبّل البساط .

وقال بكر بن حماد الباهلي : لما انتهى إلى خبر عنان جارية الناطفي ،
وأنها ذكرت لهارون الرشيد ، وأنها أشعر الناس ، خرجت معترضا لها ،
فمارعني إلا الناطفي مولاها ؛ فقال لي : هل لك فيما سنح من طعام وشراب ،
ومجالسة عنان ؟ فقلت : ما بعد عنان مطلب ؛ ومضينا حتى أتينا منزله ، ثم دخل ،
فقال : هذا بكر شاعر باهلة يريد مجلسك اليوم ؛ فقالت : لا ، والله إنى

لكسلانة ، فحمل عليها بالسوط ، وقال لي : ادخل ، ودمعها يتحدركا الجمان ،
فقلت أجيزي :

هذي عنان أسبلت دمعها كالدرّ إذ ينسل من خيطه
فقلت :

فليت من يضربها ظالما تحفّ كفّاه على سوطه
ثم أنشدتها :

فما زال يشكو الحب حتى حسبته تنفّس في أحشائه فتكلم
فقلت :

ويبكي فأبكي رحمة لبكائه إذا ما بكي دمعاً بكيت له دما

فقلت لها : فما عندك في إجازة هذا البيت ؟

بديع حسن بديع صدّ جعلت خدّي له ملاذا
فأطرقت ساعة ، ثم قالت :

فعاتبوه فعنفوه فأوعدوه ، فكان ماذا ؟

فاذا قدر الانسان الزمن الذي قيلت فيه هذه الاجازة ، أصبح في غنى عن
التعليق عليها ، والاعجاب بقدرة عنان ، والثناء عليها في موقف كهذا ، قد
يعجز أنبغ الشعراء .

ومن بديع المطارحة أن علي بن الجهم ألقى على فضل الشاعرة بحضرة
المتوكل بيتاً غريب القافية ليعجزها ، فقال :

لاذ بها يشتكي اليها فلم يجد عندها ملاذا

فما لبثت أن قالت :

ولم يزل ضارعا اليها تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبوه ، فزاد ، عشقا فمات وجداف كان ماذا ؟

ولما دخلت فضل على المتوكل قال لها : أشاعرة أنت ؟ قالت : كذا زعم
الذي باعني واشتراني ، فضحك وقال : أنشدنا شيئاً من شعرك ، فقالت :

استقبل الملك إمام الهدى عام ثلاث وثلاثين
خلافة أفضت الى جعفر وهو ابن سبع بعد عشرين
انا لارجو يا امام الهدى أن تملك الناس ثمانين
لا قدس الله أمراً لم يقل عند دعائي لك : آمين

ولما أكرهت محبوبة ، جارية المتوكل ، على الغناء في مجلس أعدائه ، بعد
أن قتل ، وصدف عن زهرة الدنيا ، حداداً عليه ، ووفاء له ، وزهداً في
الدنيا بعده ، قالت :

أى عيش يطيب لى لا أرى فيه جعفرا
كل من كان ذاها م وحزن فقد برا
غير محبوبة التى لو ترى الموت يشتري
لاشترته بمالكها كل هذا لتقبرا
ان موت الكتيب أصـ ملح من أن يعمر

وإن في هذا الشعر لولنا صادقا من العاطفة والنبيل .

ومن فضل الشواعر من الجوارى على نظرائهن من الرجال أنهن كن
يجمعن بين الشعر والغناء ، فكانت الجارية تقول الشعر ، ثم توقعه ، ثم
تمغني به ، فتخرجه أحسن مخرج ، وتؤثر به أنفذ تأثير .

يقول الأغاني في عريب : كانت مغنية محسنة ، وشاعرة صالحة الشعر ،
وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام ، ونهاية في الحسن والجمال والظرف ،
وحسن الصورة ، وجودة الضرب ، واتقان الصنعة ، والمعرفة بالنغم
والأوتار ، والرواية للشعر والأدب . . .

ويقول في دنانير ، جارية البرامكة : كانت من أحسن الناس وجهاً ، وأظرفهم وأكملهم وأحسنهم أدباً ، وأكثرهم رواية للغناء والشعر .
ويقول في مقيم : كانت صفراء مولدة من مولدات البصرة ، وبها نشأت وتأدبت وغنت ، وأخذت عن اسحاق الموصلي وعن أبيه من قبله . وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء وأدباً ، وكانت تقول الشعر ، ليس ما يستجاد ، ولكن يستحسن من مثلها . . .

ويقول في فضل : كانت مولدة من مولدات البصرة ، وكانت أمها من مولدات اليمامة ، بها ولدت : ونشأت في دار رجل من بني عبد القيس ، وباعها بعد أن أدها وخرجها ، فاشتريت وأهديت إلى المتوكل ... وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام ، أديبة فصيحة ، سريعة البديهة ، مطبوعة في قول الشعر ، ولم يكن في زمانها أشعر منها .

ولقد نشر الجوارى نوعاً من الثقافة ، وهو الفنون الجميلة ، وما يتبعها من رقي في الذوق الفني ، فقد كانت بجانب الحركة العلمية في ذلك العصر : حركة أخرى لا تقل عنها شأنًا ، وهي الحركة الفنية ، من غناء وتصوير ورقص ، وكان الجوارى أكبر عامل في نشر الشهور بالجمال ، وما يتبعه من فنون جميلة ، فإن العباسيين لم يكتفوا بالجوارى من ناحية جمالهن الخلق ، بل شغفوا بهن من ناحية الجمال الفني أيضا ، ليجمعوا بين الجمالين ، فكانوا يميلون إلى الغناء والرقص ، وإلى التفنن في الملبس ، وإلى غير ذلك من ضروب الفن . فأخذوا يعلمون الجوارى هذه الفنون ، وسرعان ما تحول النبوغ فيها من الرجال إلى الجوارى .

ونشر الجوارى أنواعاً من الطرافة ، قلدهن الناس فيها ، وجروا على أثرهن ، كحب الأزهار وتعشقها ، فكانت مقيم ، جارية علي بن هشام ،

يعجبها بنفسج جدًّا ، وكان عندها أثر من كل ريحان وطيب ، حتى أنها من شدة إعجابها لا يكاد يخلو من كمها الريحان ، ولا تراه إلا كما قطف من البستان . وفطن الناس إذ ذاك الى دلالة الأزهار على المعاني ، فيقول الشاعر :

أهدت اليه بنفسجاً يسليه تضييه أن بنفسها تضييه
فارتاح بعد صباية وكآبة ورجا لحسن الظن أن تضييه

ويقول آخر :

سُرَّ بالأس الذي أهدت له ثم لما أهدت الورد جزع
ذاك أن الأس باق دائم ولأن الورد حيناً ينقطع

ونشر الجوارى نوعاً آخر ظريفاً ، وهو كتابة الأشعار الرقيقة ، والجميل الظريفة ، تطريزاً على الأقمشة والأردية والأكام ، والعصائب ، ومشاد الطرر ، والذوائب ، والزنانير والمناديل ، والوسائد والبسط ، والنعال والخفاف ، وبالحناء على الأقدام والراح . . .

وسيجد القارىء كثيراً من ذلك في هذا الكتاب .

ونجح الجوارى في اشعار الناس بالظرف ، والتزام حدوده ، حتى أصبح للظرفاء عرف خاص في الزي والنظر ، والطعام والشراب ، وما الى ذلك . . . وهو ما دونته المؤلف أدباً للظرفاء .

ونشر الجوارى فن التجميل ، فقد كن يعتمدن الى أساليب اصطناعية متعددة في اظهار جمالهن ، منها العناية بالحواجب وتدقيقها وترقيقها ومدّها ، واحداث البلج بالافراج بين الحاجبين ، لأن العرب كانوا يحصون ذلك في شروط الجمال .

وأدت الوسائل التجميلية إلى إخفاء العيوب التي تختص بها الحواجب

من قرن^(١) ، وزيب^(٢) ، ومعط^(٣) ، واستعاضت بعض الجوارى دقيق
السكل عن الشعيرات المتهافتات ، مما يدل على المستوى الذى بلغه فن
التجميل إذ ذاك ، بعد أن نقلت كل واحدة من هؤلاء الجليات أسرارهن عن
قومهن وأضافت ما تعرفه إلى حيل رفيقاتها وأساليبهن .

وتنظمت الجوارى الى السواك ، المأخوذ من الأراك ، فاستخدمته فى
تنظيف الأسنان ، وإخراج ما علق بينها من بقايا الطعام .

ولقد فتن الشعراء بشجر الأراك الذى تأخذ منه الحبيبة سواكها ، فتصنوا
أن يكونوا واحدة منها ، للثم ما يتقدم الأسنان ، وتناقضوا الأحاديث عنهما ،
منها قول الشاعر :

نَقَلَ الْأَرَاكَ بِأَنْ رِيْقَةَ ثَغْرِهِ مِنْ قَهْوَةٍ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْكَوْثَرِ

وقول الآخر :

أَقُولُ لِمِسْوَاكِ الْحَبِيبِ لَكَ الْهَمَا بِلِثْمٍ فَمِمَّا كَالَهُ ثَغْرُ عَاشِقٍ

وعرف العصر العباسى نوعاً من الجوارى متشبهات بالفتيان ، وهن
المطمومات الشعر ، المسميات بالغلاميات ، وتعداهن هذا الزى الى الحرائر
فى قصور الخلفاء والأمراء والقواد ، فأخذت المرأة عهدئذ بقص الذؤابة^(٤)
الى مستوى الرقبة ، وبهد الوفرة^(٥) حول الأذن ، والعقرب على الجبين ،
أو رسم طرة عليه ، وذهب بعضهم الى رفع شعورهن ورسم هيئات
متعددة ، وجعلن حول رؤوسهن عصابة مزركشة بالألوان ، وكتبن عليها

(١) القرن : اتصال الحاجبين .

(٢) الزيب : كثرة الشعر فى الحاجبين .

(٣) المعط : تساقط الشعر من بعض أجزاء الحاجبين .

(٤) الذؤابة : الناصية ، وهى شعر فى مقدم الرأس .

(٥) الوفرة : ما سال من الشعر على الأذنين .

بالخيوط الذهبية أو الفضية شعراً أو آية كريمة ، وأكثرهن كان يؤثرن الشعر الغزلى ، تقرباً من موالين ، ومغالاة في الفتنة ، وقد رسم أحدهم على عصاة جارية له هذين البيتين :

تمت ، وتمّ الحسن في وجهها فكلّ شيء ما سواها محال
للناس في الشهر هلال ، ولى في وجهها كل صبح هلال
وجعل بعضهم في عصابات الجوارى دراً ، ينثرونه بأشكال هندسية ، أو ينسجون به خطوطاً وحروفاً وكلمات .
وغالين أحياناً في هذه العصابات المزركشة المعرشة بالرسوم والخطوط ، وفي رفع شعورهن تاجاً فوق مفارقهن .

وقد وجد الشعراء في مثل هذه العصابات موضوعاً شائعاً للنظم والغزل ، فيرون مثلاً أن الدر يزدان بالوجه الذى تحته ، كيقول أحدهم :

وإذا الدرّ زانَ حسنَ وجوهٍ كانَ للدرِّ حسنَ وجهك زيناً
وكان الجوارى أقرب النساء الى قلوب الخلفاء ، فأخذ نفوذهن يقوى شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحن المرجع الرئيسى فى كثير من القضايا .

ولقد ملكت « ذات الخال » زمام الرشيد ، حتى أنه أقسم يوماً أنها لا تسأل شيئاً الا قضاءها ، فطلبت منه أن يولى أحد المقربين إليها الحرب والخراج بفارس سبع سنين ، فامثل لها ، وكتب عهداً به ، وشرط على ولى عهده بعده أن يتمها له ، ان لم تتم فى حياته .

وكان هارون الرشيد أول من غالى من العباسيين فى تفضيل الجوارى وتقريبهن ، فان معظم أولاده كانوا أولاد إماء ، منهم : عبد الله المأمون وأمه أم ولد فارسية يقال لها مراجل : والقاسم المؤتمن وأمه أم ولد يقال لها قصف ؛ ومحمد أبو اسحاق المعتصم وأمه أم ولد يقال لها ماردة ، وهى

تركية الأصل ، وكان لها أثر كبير في أخلاق ابنها ، فدعاه ميله الى أمه الى استدعاء الأتراك الذين أضعفوا النفوذ في الفارسي والعربي ، وانتزعوا من الخلفاء العباسيين كل سلطان ، ومن أولاد هارون : صالح وأمّه أم ولد يقال لها رثم ؛ ومحمد أبو عيسى وأمّه أم ولد يقال لها عرابة ، ومحمد أبو يعقوب وأمّه أم ولد يقال لها شذرة ، ومحمد أبو العباس وأمّه أم ولد يقال لها خيث ، ومحمد أبو سليمان وأمّه أم ولد يقال لها رواح ، ومحمد أبو علي وأمّه أم ولد يقال لها دواج ، ومحمد أبو احمد وأمّه أم ولد يقال لها كتمان .

ولقد قام بعض الجوارى بأدوار حاسمة في تاريخ العباسيين ، فاشتركن في المؤامرات التي حيكت لخلع خليفة ومبايعة آخر .

فمنهن الجارية أم المقتدر الذي ولاه الأتراك الخلافة وهو صبي في الثالثة عشرة من عمره ، ظننا منهم أن بوسعهم التصرف باسمه بشؤون الخلافة كما يشاءون ، لضعفه وصغر سنه ، فإذا بهم يلاقون عنقا شديداً من أمّه ، وهي أم ولد رومية ، فقبضت على أزمة الأمور ، وقادت شؤون الدولة بحزم وحسكة مدة ربع قرن ، وهي أطول مدة تولى فيها عباسي الحكم آنذاك ، وخلع الخليفة أثناء حكمه مرتين ، فكانت أمّه تسعى إلى إعادته الى كرسي الخلافة ، حتى تألب عليه الخصوم ، فخرج لقتالهم فصرعوه .

ومنهن الجارية الشيرازية حسن ، التي عاشت أيام الخليفتين المتقي والمستكفي ، فمضى التي سعت إلى إقصاء الأول عن الخلافة ، وأوعزت الى غلامها السندي بسمّل عينيه ، عند ما أحجم القواد عن فعل ذلك ، وتسلمت على الثاني ، حتى أقضت مضجعه ، وقضت عليه فيما بعد .

ومنهن الجارية صبيحة^(١) ، فقد اشتركت في الغدر والطيش ، وأوغلت

(١) سماها المتوكل « قبيحة » اتقاء العين ، فقد كانت أبرع النساء جمالا .

فى الكيد، فأشارت على ابنها أبى عبيد الله المعتز ، حين كان خليفة ، أن يقتل أخاه المؤيد — من أبيه — ليتخلص منه ، فقتله .

وإن موقفها من ابنها لأسوأ موقف تقفه أم إزاء ولدها ، فقد طالبه الجنود بأزاقهم ، وبيت المال خال ، فأرسل إلى أمه ، وكانت ذات ثروة طائلة ، يسألها أن تعطيه مالا يعطيهم ، فأبت أن تعطيه شيئاً ، وأنكرت أن يكون عندها شيء ، فدخل إليه القوم وجروا برجله إلى باب الحجر ، وتناولوه بالدبابيس ، فخرج وقيصه مخرق فى مواضع ، وآثار الدم على منسكبه ، فأقاموه فى الشمس فى الدار فى وقت شديد الحر ، فصار يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذى قد أقيم فيه ، ثم خلعوه ، وسلبوه إلى من يعذبه ، فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطلب حسوة من ماء البئر ، فمنعوه ، وبقي بعضهم يظلمه على وجهه ، وهو يتقى بيده ، ثم أدخلوه سرداباً وحصصوا عليه ، فمات ، ثم نفوا أمه إلى مكة ، وصادروا أموالها وكنوزها ، وجردوها من حليها وجواهرها ^(١) .

وكان الجوارى متعدّدات المصادر والأجناس والألوان ، مختلفات فى الدين ، ينتمين إلى الإسلام أو النصرانية أو اليهودية أو المجوسية ، وكان مواليهم يحترمون دينهم ، ويسهلون لهم القيام بالطقوس والفروض الخاصة فى المواسم والأعياد ، وكثيراً ما كانت تقام الشعائر النصرانية واليهودية والمجوسية فى قصور الخلفاء .

(١) يقول على بن أنجب فى كتابه « مختصر أخبار الخلفاء » : وجد لها مطمورة تحت الأرض فيها ألف ألف دينار عيماً ، ووجد لها سفط فيه مكوك ذمرذ وفى سفط آخر مكوك لؤلؤ وفى سفط آخر كيلجة ياقوت لا يوجد مثله عند ملك ، فحمل جميعه إلى صالح ابن وصيف ، فقال : قبح الله قبيحة ، عرضت ابها للقتل لأجل خمسين ألف دينار ، وعندها هذه الأموال العظيمة .

ولقد أدى تدين الجوارى بغير دين سادتهن ، وتسربهن الى جميع القصور ،
والخطوة التي كانت لهن في القلوب الى ظهور نفوذ الأخوال الأعاجم من
فرس وترك وروم ، فكان للمقتدر خال رومى يخاطبه الناس بالامرة ، وكان
ذا سلطان ، يرهبه الناس ، ويتقربون اليه في سبيل الوصول الى ما يريدون
من نعم الخلافة .

وان ما ألم بالامة من تغير الحال ، لفساد الحكومة ، وتوالي النكبات
على الخلفاء ، حول همّ المفكرين الى نشر الحكم واخبار الزهد والزهاد ،
وأقوال الحكماء ، وسير رجال العدل والحزم ، التي يترتب عليها العظة
والاعتبار ، مع الحث على الاقتداء بهم ، لرد الناس عن غيهم ، فأخذوا
يجمعون ذلك في كتب الأدب ، ويرتبونها في أبواب مبنية على الحكمة
المستفادة منها ، كما صنع الوشاء في الأبواب الثلاثة عشر الأولى من هذا الكتاب .
موضوعات الكتاب :

(ا) تحدث المؤلف في الثلاثة عشر باباً الأولى عن حدود الأدب ، والنهي
عن مآزح الأخلاء ، والحث على انتخاب الأقران والاختدان ، وصحبة الإخوان ،
وصفة المتحابين في الله ، والبشاشة بالاخوان ، واتفاق القلوب على مودة الصديق ،
والنهي عن استعمال الافراط في حبه ، وشرائع المودة وصفتها ، وفضل الصدق ،
وكره الكذب ، وقبح خلف المواعيد ، والحث على كتمان السر
(ب) كما تحدث في الباب الرابع عشر عن سنن الظرف ، وان العشق من
تسنن الظرفاء .

(ج) ثم تناول في الأبواب التالية من الخامس عشر الى الثاني والعشرين :
الحديث عن مات من شدة العشق ، ووصف الحب ، ومن تعفّف في محبته ،
وذم القيان ، ومصارمة ذوى الغدر ، والنهي عن الهوى ...

(د) ولعل أبرز ما في الكتاب تلك الأبواب التي تناول فيها الحديث عن زى الظرفاء في الطعام والشراب ، وتصنيف الموائد والأطعمة ، وكيفية الأكل من وجوب تصغير اللقم ، والتحرز من الشره ، وعدم تلطيخ الأصابع أو تجاوز ما بين الأيدي ، أو التخلل على المائدة قبل أن تفرغ ، وإفساد الراحة بأكل الثوم والبصل ونحو ذلك .

ثم ذكر الظرفاء ، وزيهم في اللباس ، والوان الملابس ، ومناسباتها للحفلات ، ومناسبة بعضها لبعض ، ومناسبتها للتسكك والنعال والخفاف ، وزيهم المخصوص في الخواتيم والفصوص ، والتعطر والتطيب .
وذكر متطرفات النساء في اللباس ، وزيهن المخالف لزى الرجال ، في لبس التلك والخفاف والنعال ...

ثم ذكر الأشياء التي يتطير الظرفاء من إهدائها ، وما قيل في صفة الورد ، والتفاح ، وما جاء في السواك

وصفة ذوي التطرف ، ومباينتهم لذوى التكلف .

(هـ) وأخيرا ذكر ما اختير من ألفاظ الأدباء في المسكاتبات ، وما ضمنوه كتبهم من الأشعار ، وما كتبوه على العتوانات ، وما كتب على الفصوص ، والتفاح ، والقناني والسكاسات والأقداح ، والأقلام ، والدرهم والدنانير
ثم ما كتبه الجوارى والقيان على ذيول الأقمصة والأعلام ، وطرر الأردية والأكام ، والكرازن والعصائب ، ومشاد الطرر والذوائب ، والخفاف والنعال ، والوطأة والوشاح ، والأقدام والراح ، والجبين والخد ، والعيدان والمضارب ، والطبول والمعازف ، والدفوف والنايات

نسخ الكتاب :

اعتمدت في إبراز هذا المطبوع على ثلاث طبعات :

(أ) إحداهما المطبوعة في ليدن سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٦ م) بإشراف المستشرق رودلف برونو^(١).

(ب) والثانية التي نشرها المرحوم السيد محمد أمين الخانجي الكتبي سنة ١٣٢٤ هـ ، وهي منقولة عن الطبعة السابقة، فقد نشر هذين البيتين :

لا تأنفن من الخضوع ع لمن تحب وداره
إخضع له فلطالما ملكت حلّ إزاه

كما وردا بالنسخة الألمانية كهذا :

لا تأنفن من الخضوع لمن تحب وداره

إخضع له فلطالما ملكت حل إزاره

(ج) والثالثة التي طبعت على نفقة المرحوم مصطفى فهمي الكتبي بجوار الأزهر بمصر سنة ١٣٢٤ هـ وهي نسخة من المطبوع الذي نشره المرحوم

(١) ولد سنة ١٨٥٨ م في آن أربور من أعمال مشيجن . وتوفي سنة ١٩١٧ ، وهو من أصل ألماني أمريكي ، وتلقى دروسه العربية في ألمانيا ، وعين في سنة ١٩١٠ أستاذا للغات السامية في جامعة برنستون بأمريكا ، واشتهر في العلوم الآشورية ، وقد تولى حفريات حوران . ويقول في مقدمته للموشى : انه نشره عن مخطوط بمكتبة ليدن ، وهو الوحيد الموجود في أوروبا ، ويبدو أنه كان غير معروف في الشرق ، فلم يذكر عنه شيئا حاجي خليفة (مؤلف كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون) .

ويقول في وصف المخطوط : طوله تسع بوصات ، وعرضه ست بوصات ، ويحتوى على احدى وتسعين ومائة ورقة ، ومكتوب بخط النسخ ، وهو لا يحمل تاريخا ، ولكن الخط يدل على أن عمره حوالى خمسمائة عام ، والنسخة الأصلية جيدة ، ولكن يوجد بها بعض الانحماح ، وعناوين الأبواب مكتوبة بالخبر الأحمر ، وعلى الصفحة الأولى من الجزء الأول للكتاب قطعة من الورق قديمة ، وعليها قطعة جديدة مكتوب عليها بخط اليد الحديث :

هذا الكتاب الموشى تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي الطيب

محمد بن اسحق بن يحيى الموشى يرحمه الله تعالى

وفهرست الأبواب أضيف حديثا أيضا . . .

الخانجي ، فقد وردت بها أبيات محرقة وناقصة ، كما جاءت بمطبوع المرحوم الخانجي ، مثال ذلك هذا البيت :

طلبتُ امرأً مُحَضًّا صحيحًا مسلمًا نقيًّا من الآفات في كلِّ موسمٍ
فقد نشر في المطبوعين الثاني والثالث هكذا :

طلبتُ امرأً صحيحًا مسلمًا نقيًّا من الآفات في كلِّ موسمٍ
آثارنا في الكتاب :

ولقد عانيت كثيرا لإخراج الكتاب في طبعته هذه ، فقد كان هناك تصحيف وتحريف في كثير من الأسماء ، ونقص في الأبيات الشعرية . ولم أشأ حذف بعض الألفاظ المكشوفة من الشعر ، لأنه يمثل الحياة الاجتماعية في عصر العباسيين ، تلك الحياة التي كانت مزيجاً من التقى والفجور ، واللهو والسرور ، وكان هذا الشعر يصف أحاسيس النفس ورغباتها وشهواتها في حرية وانطلاق .

ما صار إليه الكتاب :

وتم لنا بعون الله وفضله : إبراز هذا الكتاب ، بعد تصحيحه وضبطه ، وإكمال النقص ، وكشف غامضه ، ووضع فهرس الأعلام . ونرى أنه قد برز في ثوب أنيق ، وعسى ألا يجد فيه القارئ مغمزا ولا مطعنا . رجاء :

وإني لأضع هذا المطبوع بين أيدي حفاظ الأدب العربي ، وأرجو أن يحوز قبولا . كما أحمد لمكتبة الخانجي المصرية عملها بإخراج هذا الكتاب . والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقني إلى نشر آثار السلف الكريم ، وخدمة لغتنا العربية الجميلة ، في هذا العهد الزاهر السعيد ، إنه على ما يشاء

قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير . كمال مصطفى

٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢

١٨ من فبراير سنة ١٩٥٣

حلوان الحمامات في يوم الأربعاء

التعريف بال مؤلف

نسبه :

أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحاق بن يحيى ، ويعرف بالوشاء ، والأعرابي
وقيل : ابن الوشاء .

مولده :

لم يرشدنا التاريخ على وجه صحيح إلى مولده .
وقد ذكر المستشرق رودلف بروفو أنه عاش في النصف الأخير من
القرن الثالث الهجرى (٨٦٠ م) . ولعله اعتمد في تحديد هذا التاريخ على أنه
أخذ عن ثعلب والمبرد ، وقد ولد أولهما سنة ٢٠٠ هـ (٨١٦ م) وتوفي سنة
٢٦١ هـ ، وولد الثاني سنة ٢١٠ هـ (٨٢٦ م) وتوفي سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٩ م) .

عصره :

تحدثنا في « التصدير » عن الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية على عهده .

علمه :

كان أديبا ، فاضلا ، نحويا ، حسن التصنيف ، مليح الأخبار
والغالب عليه تصنيف كتب الأخبار كالشعر والمقطعات .
أخذ عن أبوى العباس ثعلب والمبرد ، وغيرهما من الأئمة الاثبات .
وحدث عن أحمد بن عبيد بن ناصح ، والحارث بن أسامة .
وروى عن عبد الله بن أسعد الوراق وطبقته .
ويقول ابن النديم : وكان نحويا معلما لمكتب العامة .
ويقول القفطى : وكان يعلم في دار الخلافة وروى عنه مئة السكابة
جارية أم ولد المعتمد على الله .

(١) الوشاء : الذى يشى الثياب ، أى ينقشها ويخرفها .

وحدثت منية إملأه من لفظها قالت : حدثني أستاذي محمد بن اسحاق ابن يحيى النحوى المعروف بالوشاء قال : حدثني عبد الله بن عمر الوراق ، حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى ، أخبرني عبد العزيز ابن عمران ، عن ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، فَمَنْ كَانَ سَخِيًّا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا فَلَمْ يَتْرِكْهُ الْغُصْنَ حَتَّى يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ ؛ وَالشُّحُّ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ ، فَمَنْ كَانَ شَحِيحًا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا فَلَمْ يَتْرِكْهُ حَتَّى يُدْخِلْهُ النَّارَ .

شعره :

للوشاء شعر لطيف رقيق ، لم يبلغ حد الجودة ، ولكنه حسن النظم ؛ ولقد ذكر منه الكثير في هذا الكتاب .
ويقول ياقوت : نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد النوقاني :
أنشدني الشافعي أحمد بن محمد : أنشدني أحمد بن محمد بن حفص : أنشدني أبو الطيب الوشاء لنفسه :

لَا صَبْرَ لِي عَنْكَ سِوَى أَنِّي أَرْضَى مِنَ الدَّهْرِ بِمَا يَقْدُرُ
مَنْ كَانَ ذَا صَبْرٍ ، فَلَا صَبْرَ لِي مِثْلِي عَنْ مِثْلِكَ لَا يَصْبِرُ
ومن خطه وإسناده للوشاء :

يَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ
لَا تَحْسَبْنِي خَلِيًّا الْبَالِ مِنْ سَهْدٍ (١)
حَاشَاكَ مِنْ أَرْقٍ ، حَاشَاكَ مِنْ قَلَقٍ
حَاشَاكَ مِنْ طَوْلِ مَا أَلْقَى مِنَ الْكَمَدِ

حُزْنِي عَلَيْكَ لَا نَفَادَ لَهُ

أَوْهَى فُؤَادِي وَأَوْهَى عُقْدَةَ الْجِلْدِ^(١)

وَالصَّبْرُ عَنْكَ قَلِيلٌ مُضْرِمٌ قَلَقًا

بَيْنَ الصُّلُوعِ كَصَبْرِ الْأُمِّ عَنْ وَلَدٍ^(٢)

مصنفاته :

يقول القفطى : ولوشاء التصانيف الحسنة المشهورة .

وله من الكتب : كتاب مختصر فى النحو . كتاب الجامع فى النحو . كتاب فى المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الفرق . كتاب خلق الانسان . كتاب خلق الفرس . كتاب المثلث . كتاب أخبار صاحب الزنج . كتاب الزاهر فى الأنوار والزهر . كتاب السلوان . كتاب المذهب . كتاب الموشح . كتاب سلسلة الذهب . كتاب أخبار المتظرفات . كتاب الحنين إلى الأوطان . كتاب حدود الظرف الكبير . كتاب الموشى .

ويقول القفطى : وله كتاب « زهر الرياض » وهو كبير فى عدة مجلدات ، ملكت منها نسخة بخطه ، فى عشر مجلدات ، تشتمل على أنواع وأبواب من المنظوم والمنثور فى حسن اختيار ، تدل على كثرة الاطلاع والبحث .

ويقول جورج زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية : ذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين كتابا فى النحو والأدب ، لم يصلنا منها إلا كتابان :

(١) كتاب الموشى : وهو فريد فى بابه ، يمثل آداب ذلك العصر ، ويتخلله كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف ، وفيه وصف الأزياء التى كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات ، وما اختير

(١) أوهى : جعله واهيا مشقوقا . (٢) مضرم : مشعل انزعاجا واضطرابا .

من الألفاظ للكاتبات ، وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الأشعار على الثياب والأعلام والعصائب والزنانير والمناديل والستور والوسائد حتى النعال ، وعلى المجالس وآنية الشراب والعيدان .

ومنه نسخة خطية في ليدن ، وقد طبع فيها سنة ١٨٨٦ ، وفي مصر سنة ١٢٢٤ وسموه كتاب الظرف والظرفاء .

(٢) كتاب تفريج المهج وسبب الوصول إلى الفرج .

منه نسخة خطية مختصرة في مكتبة برلين .

وبدار الكتب المصرية كتاب : وصايا الملوك وأبناء الملوك ، يبحث في وصايا الملوك وأبنائهم من ولد قحطان بن هود النبي عليه السلام وما ورد في ذلك من أخبارهم وأشعارهم .

وهو منسوب إليه ، وطبع في مطبعة الشاه ببغداد سنة ١٣٢٢ ، وهو ثلاثة أجزاء ، ويوجد بالدار الجزء الأول فقط .

وبالدار نسخة خطية غير كاملة ، ضمن مجموعة ، من هذا الكتاب .

وفاته :

مات أبو الطيب سنة خمس وعشرين وثلاثمائة من الهجرة (٩٣٦ م) .

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِزْ. باسم الله يكون الابتداء ، وبعونه تتم الأشياء ، وبمشيئته تتصرف الدهور ، وعلى ارادته تتقلب الأمور ، ومنه التوفيق والتأييد ، ويبيده الاعانة والتسديد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وبتوفيقه ارشاده .
قال أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى المَوْشِي ، المؤلف لهذا الكتاب ، وهو الكتاب المَوْشِي (نقول) ونستعين بالله على السداد ونستهديه ، ونستفتح له استفتاح اللاجيء اليه ونستكفيه : يَجِبُ على المتأدب اللبيب ، والمتظرف الأريب ، المتخلق بأخلاق الأدباء ، والمتحلي بحلية الظرفاء : أن يعرف قبل هجومه على ما لا يعلمه ، وقبل تعاطيه ما لا يفهمه ، تبين الظرف ، وشرائع المروءة^(١) ، وحدود الأدب ، فانه لا أدب لمن لا مروءة له ، ولا مروءة لمن لا ظرف له ، ولا ظرف لمن لا أدب له .

وقد وصفنا في كتابنا هذا ، على قدر ما بلغه علمنا ، واحتوى عليه فكرنا ، وجعلناه حدودا محدودة ، ومَعَالِمَ مقصورة ، وشرائع بيّنة ، وأبوابا نيرة ، وشرائطنا على قارئ كتابنا : الاقصارُ عن طلب عيوب الخطائنا ، والصفحُ عن ما يقف عليه من إغفالاتنا ، والتجاوزُ^(٢) عن ما ينتهي اليه من اهمالنا ، وإن أداه التصفح الى صواب نشره ، أو إلى خطأ ستره ، لأنه قد تقدمنا بالاقرار ، ولا بُدَّ للانسان من زلل^(٣) وعِثَار^(٤) ، وليس كل الأدب عرفناه ، ولا كل

(١) تروى : المروءة ، وهما بمعنى : النخوة وكمال الرجولة .

(٢) تجاوز عنه : أغضى وعفا

(٣) زل : زلق وسقط ، وعن الحن : انحرى

(٤) عثر : سقط

العلم رويته ؛ وعلينا في ذلك الاجتهاد ، والى الله الارشاد .

وقل مانجا مؤلف لكتاب من راصد بمكيده ، أوباحث عن خطيئة ، وقد كان يقال : من ألف كتابا فقد استشرف^(١) ، وإذا ما أصاب فقد استهدف^(٢) ، وإذا أخطأ فقد استقذف^(٣) ؛ وكان يقال : لا يزال الرجل في فسحة^(٤) من

عقله ما لم يقل شعرا أو يضع كتابا ، وقال الشاعر في ذلك :

لا تعرضن للشعر ما لم يكن عليك في أبجره جيرا
فلن يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعرا

وأنشد في ذلك :

الشعر عقل المرء يعرضه والقول مثل مواقع النبيل
منها المقصر عن رميته ونواذ يذهبن بالخصيل^(٥)

وكان يقال : اختيار الرجل وافد عقله .

وقيل : دل على عاقل اختياره .

وقيل لبعض العلماء : اختيار الرجل قطعة من عقله ، فقال : لا ، بل مبالغ عقله

وقال الخليل بن أحمد : لا يحسن الاختيار إلا من يعلم ما لا يحتاج اليه

من الكلام .

وقال الشعبي : العلم كثير ، والعمر قصير ، نخذوا من العلم أرواحه ،

ودعوا ظروفه .

وقال ابن عباس : العلم أكثر من أن يحصى ، نخذوا من كل شيء أحسنه .

(١) استشرف : انتصب .

(٢) استهدف الشيء : ارتفع واستقبل ، ومنه قولهم : من صنف فقد استهدف .

أى انتصب كالغرض يرمى بالأقاول . (٣) استقذف الرجل : رماه واتهمه بريئة .

(٤) فسحة : سعة . (٥) الخصيل : إصابة الغرض .

قال الشاعر :

مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَى سَنَةً
إِنَّمَا الْعِلْمُ كَرَوْضٍ مُزْهِرٍ فَتَخِرْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

(ونحن) نستعين الله، ونودع كتابنا هذا جملة من حدود الأدب والمروءة والظرف، ونجعل ذلك أبواباً مختصرة، وفصولاً محببة، على غير نقص منّا لما في كل باب، لئلا يطول به تأليف الكتاب، ولأن غرضنا في الاختصار، لما عليه النفوس من ملال الاكثار، ولنجو من مقالة حاسد، أو اعتراض معاند.

مطلب في الحسد :

على أنه لا بدّ للحاسد، وإن لم يجد سبيلاً إلى وَهْنٍ^(١)، ولا سبباً إلى طعن، أن يحتال لذلك بحسب ما رُكِبَ عليه طبعه، وتضمنه صدره، حتى يخلص إلى غفلة، أو يصل إلى زلة، فيتشبث بالمعنى الحقير، ويتسبب بالحرف الصغير، إلى ذكر المثالب^(٢)، وتغطية المناقب^(٣)، ولأن^(٤) من طبع أهل الحسد، وأرباب المعاندة والنكد، تغطية محاسن من حسدوه، وإظهار مساوئ من عاندوه. وقد أخبر أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح، وبشر بن موسى بن صالح الأسدي، قالا : حدثنا الأصمعي قال العلاء بن أسلم قال روبة بن العجاج قال : قال لي فلان : قصرت وعرفت، ثم قال لي : ياروبة عساك مثل أقوام إن سكت لم يسألوني وإن تكلمت لم يعوا عني، قلت : أرجو أن أكون كذلك، قال : فما أعداء المروءة، قلت : تخبرني، قال بنو عم السوء^(٥) إن رأوا خيراً استروه، وإن رأوا شراً أذاعوه.

أنشدني أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) الوهن : الضعف | (٢) المثالب (جمع مثالب) : العيب |
| (٣) المناقب (جمع منقبة) : المفخرة ، والفعل الكريم | (٤) ويروى : إذ |
| (٥) السوء : الفساد | |

عَيْنُ الْحُسُودِ عَلَيْكَ الدَّهْرَ حَارِسَةً تَبْدَى الْمَسَاوِي وَالْإِحْسَانَ تُخْفِيهِ
يَلْقَاكَ بِالْبَشْرِ يُبْدِيهِ مَكَاشِرَةً وَالْقَلْبُ مُضْطَغْنٌ ^(١) فِيهِ الَّذِي فِيهِ
إِنَّ الْحُسُودَ بِلَا جُرْمٍ عِدَاوَتُهُ فَلَيْسَ يَقْبَلُ عِذْرًا فِي تَجَنِّيهِ

وَأُنْشَدَنِي أَبُو جَعْفَرٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفَوُهُ ، وَإِنْ عَلِمُوا شَرًّا أَذِيعَ ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا
وَأُنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَارِي :

وَتَرَى اللَّيْبَ مُحْسَدًا لَمْ يَحْتَرَمْ شَتَمَ الرِّجَالَ وَعَرَضَهُ مَشْتَوْمٌ
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالْقَوْمَ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومٌ
كَضُرَائِرِ الْحَسَنَاءِ قَلْنَ لَوَجْهَهَا حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَذَمِيمٌ

وَقَالَ عِمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ بْنُ بِلَالٍ بْنِ جَرِيرٍ :

مَا ضَرَّنِي حَسَدُ اللَّئَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسَدُهُ ذَوُ الْنَقْصَانِ
يَا بُؤْسَ قَوْمٍ لَيْسَ جُرْمُ عَدُوِّهِمْ إِلَّا تَظَاهَرَ نِعْمَةُ الرَّحْمَانِ
وُخْبِرْتُ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لِبَعْضِ وَلَدِ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ : مَا أَسْرَعَ

النَّاسَ إِلَى قَوْمِكَ ؛ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

إِنَّ الْعِرَانِينَ ^(٢) تَلَقَّاهَا مُحْسَدَةً وَلَا تَرَى لِللَّئَامِ النَّاسَ حُسَادًا
كَمْ حَاسِدٍ لَهُمْ قَدْ رَامَ سَعْيَهُمْ مَا نَالَ مِثْلَ مَسَاعِيهِمْ وَلَا كَادًا

وَيُرَوَّى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

قَوْمٌ سِنَانٌ أَبُوهُمْ حَيْنَ تَنْسُبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا

وَأُنْشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، قَالَ : أَنْشَدَنَا الْعُتْبِيُّ عَنْ أَبِيهِ :

(١) مضطغن : منطوى على الحقد (٢) العرانيون : جمع العرنيين وهو من كل شيء : أوله .

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَّادِي ذُوو عَدَدٍ يَإِذَا الْمُعَارِجُ لَا تَنْقُصُ لَهُمْ عَسَدًا
مَا زِلْتُ أَقْدِمُ أَفْرَاسِي مَكَلَمَةً حَتَّى اتَّخَذْتُ عَلَى حُسَّادِهِنَّ يَدًا
وَأَنْشِدْتُ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَا إِمَاتَتَهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
وَبَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ : أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْمَوَالِي يَحْسُدُونَهُ ، فَقَالَ :
إِنْ يَحْسُدُونِي فَلْيُنِّيْ غَيْرَ لَائِمِّهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ غِيظًا بِمَا يَحْدُ
أَنَا الَّذِي يَحْدُونِي فِي صَدُورِهِمْ لَا أُرْتَقِي صَعْدًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُّ
وَقَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ : كُلُّ خَصْلَةٍ رَدِيئَةٍ فِيهِ دُونَ الْحَسَدِ ، لِأَنَّ
الْحَسَدَ يَسْعَى عَلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَيَبْغِي الْغَوَائِلَ ^(١) لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ .
وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ بَعْضَ الْحُسَّادِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ
ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ مِنَ الْحَاسِدِ : حُزْنٌ لَازِمٌ ، وَنَفْسٌ دَائِمٌ ، وَعَقْلٌ هَائِمٌ .
وَقَالَ حَاتِمُ طَبِئٍ :

يَا كَعْبُ مَا إِنْ تَرَى مِنْ بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ إِلَّا لَهُ مِنْ بَيْوتِ الشَّرِّ حُسَّادَا
وَالْتَحَرَّزُ مِنَ الْحُسَّادِ مَا لَا سَبِيلَ لَنَا إِلَيْهِ : وَالتَّحْفِظُ مِنَ أَلْسِنَتِهِمْ مَا لَا نَقْدَرُ
عَلَيْهِ ، لَسَكُنَ أَقُولُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا يَضُرُّ الْبَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غَلَامٌ بِحَجَرٍ
(وَأُصْدِرَ) كِتَابِي هَذَا ، مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ ، رَاغِبًا إِلَيْهِ ، بِذِكْرِ الْأَدَبِ وَصِفَتِهِ ،
وَمَا يَحْتَاجُ الْأَدَبَاءُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَأَشْفَعُهُ بِأَشْيَاءَ يَسْتَعِينُهَا الْأَدِيبُ ، وَيَرْغَبُ
فِي دِرَاسَتِهَا الْآرِيبُ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

١ — باب البيانه عن همدود القريب

وما يجب على الأدباء من الفحص والطلب

اعلم أن أول ما يجب على العاقل ، المنفصل بصفته عن الجاهل ، أن يتبعه ويميل إليه ، ويستعمله ويحرص عليه : مجالسة الرجال ذوي الألباب ، والنظر في أفانين الآداب ، وقراءة الكتب والآثار ، ورواية الأخبار والأشعار ، وأن يحسن في السؤال ، ويتثبت في المقال ؛ ولا يكثر الكلام والخطاب ، إن سئل عما يعمل به أجاب ، وإن لم يسأل صمت للاستماع ، ولم يتعرض لمكروه الانقطاع ، فقد روى في الخبر المأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك^(١) . والصمت أحسن بالرجل من الهذر^(٢) في منطقته ، والكلام فيما لا يعنيه ، والتسرع إلى ما يكون على وجل^(٣) منه ، وقد قال بعض الشعراء :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ
وقال أبو العتاهية :

إذا^(٤) كنتَ عن أن تحسن الصمتَ عاجزاً
فأنتَ عن الإبلاغِ في القولِ أعجزُ
يخوضُ أناسٌ في المقالِ^(٥) ليوجزُوا وللصمتِ عن بعضِ المقالاتِ أوجزُ^(٦)
وقال أيضاً^(٧) :

(١) روى بالجامع الصغير للحافظ : « أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو مجاباً ولا تكن الخامسة فتهلك » (٢) الهذر: سقط الكلام الذي لا يعيب به (٣) الوجل : الخوف (٤) في ديوانه : فأن ، وقد روى البيتان الثاني أولاً ثم الأول ثانياً (٥) في ديوانه : الكلام (٦) في ديوانه : وللصمت في بعض الأحياء أوجز (٧) ينسب هذان البيتان في ديوان أبي العتاهية لابنه محمد ، وكان شاعراً ، وبعدهما : يا عجباً لا مرى ظلوم مستيقن أنه يموت

قَدْ أَفْلَحَ السَّامِكُ^(١) الصَّمُوتُ كَلَامُ رَاعِي الْكَلَامِ قَمُوتُ
مَا كُلُّ نَطْقٍ لَهُ جَوَابُ جَوَابُ مَا تَسْكُرُهُ^(٢) السَّكُوتُ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا أو ليسكت ، وقال : من صمت نجا .

وكان أعرابي يجالس الشعبي يطيل الصمت ، فقال له يوما : لم لا تتكلم ؟
فقال : أسمع لأعلم وأسكت فأسلم .

وقال أبو هريرة : ثمرة القلب اللسان .

وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام : ما مبدى علم القلب وجهله ؟ قال :
اللسان ، قال : فأين يلزم الصمت ؟ قال : عند من هو أعلم منكم ، وعند الجاهل
إذا جالسكم .

وقال بعض الشعراء :

تَعَاهَدُ لِسَانُكَ إِنَّ اللِّسَانَ سَرِيعٌ إِلَى الْمَرْءِ فِي قَتْلِهِ
وَهَذَا اللِّسَانُ بَرِيدُ الْفُؤَادِ يَدُلُّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

وقال آخر :

اسْتَرِ النَّفْسَ مَا اسْتَطَعْتَ بِصَمْتٍ
وَاجْعَلِ الصَّمْتَ إِنْ عَيَّتْ جَوَابًا
وقال أبو العتاهية^(٣) :

لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَامِ
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى
مِذَا اهْتَدَيْتَ عَلَى عُيُونِهِ
مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ

وقال لقمان لابنه : يَا بُنَيَّ إِنْ غَابَتْ عَلَى الْكَلَامِ فَلَا تُغْلَبْ عَلَى الصَّمْتِ ،

(١) تروى : السالم (٢) تروى : ما يكره

(٣) ترتيب البيتين في ديوانه : الثاني فالأول

فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، إني ندمت على الكلام مرارا : ولم أندم على الصمت مرة واحدة .

وقال ابراهيم بن المهدي في هذا المعنى فأحسن :

إن كان يُعْجِبُكَ السَّكُوتُ فَإنه قد كان يُعْجِبُ قَبْلَكَ الْأَخْيَارُ
ولئن ندمت على سكوتك مرة فلقد ندمت على الكلام مرارا
إن السكوت سلامة ولربما زرع الكلام عداوة وضرارا
فحقيق على الأديب أن يخزن لسانه عن نطقه ، ولا يرسله في غير حقه ،
وأن ينطق بعلم ، وينصت بحلم ، ولا يعجل في الجواب ، ولا يهجم على الخطاب ،
وإن رأى أحداً هو أعلم منه ، نصت لاستماع الفائدة عنه ، وتحذر من الزلل
والسقط ، وتحفظ من العيوب والغلط ، ولم يتكلم فيما لا يعلم ، ولم يناظر فيما
لا يفهم ، فإنه ربما أخرجه ذلك الى الانقطاع والاضطراب ، وكان فيه نقصه
عند ذوى الألباب ، وقد قال الأعور الشَّيْ فَأجاد :

ألم ترَ مِفْتَاحَ الْفُؤَادِ لِسَانُهُ إذا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الْفَمِ
وكأن ترى من صامت لك مُعْجِبٌ زيادته ونقصه في التَّكَلُّمِ
لسانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ فُؤَادِهِ فلم يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ
ومثله قول الأخطل أيضا :

إن الكلامَ من الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللَّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا
وأخبرني أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال كان بكر بن عبد الله المزني
يَقِلُّ الْكَلَامَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لِسَانِي سَبْعٌ إِنْ تَرَكْتُهُ أَكَلَنِي ، وَأَنْشَدَ :
لسانُ الْفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ شَذَاتُهُ فَإِلَّا يَزَعُ مِنْ غَرْبِهِ فَهُوَ آكَلُهُ
وما الْعَبْيُ إِلَّا مَنْطِقٌ مَتَبَرِّعٌ سِوَاهُ عَلَيْهِ حَقٌّ أَمْرٌ وَبَاطِلُهُ

قال أبو الطيب : قوله — شذاته — أى حده .

وقال بعض الحكماء : إلزم الصمت تعدد حكيما كنت أم عليا .

وقال الهيثم بن الأسود النخعي :

من يستعن بالصمت يوما فانه يقال له لب نهاه أصيل

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصاة^(١) على عوراته لدليل

وكان يقال : الصمت صون للسان وستر العي .

أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب للخطفي بن بدر :

عجبت لأزراء العي بنفسه وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر للعي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما

والعرب تقول : عي صامت خير من عي ناطق .

وكان ربيعة الرأي كثير الكلام ، فتكلم يوما وأكثر ، ثم قال لأعرابي

عنده : أتعرف ما العي ؟ قال : نعم ، ما أنت فيه منذ اليوم .

وقال أكرم بن صيفي ، حنف^(٢) الرجل بين لحيتيه .

وأنشدني أحمد بن عبيد لأبي محمد الزيدى :

حنف امرئ لسانه في جده أو لعبه

بين اللها^(٣) مقتله ركب في مركبه

ورب ذي مزج أميتت نفسه في سببه

ليس الفتى كل الفتى إلا الفتى في أدبه

وبعض أخلاق الفتى أولى به من نسبه

(١) الحصاة : العقل والرأى

(٢) الحنف : الموت

(٣) اللها : جمع اللهاة : اللحمه المشرفة على الخلق في أقصى سقف الفم

وكان يقال : لسانك عبْدك ، فإذا تكلمت صرت عبده
وقال بعض الحكماء : أنا بالخيار ما لم أتكلّم ، فإذا تكلمت صار الكلام
عليّ بالخيار .

وقال آخر : لسانى فى حبس بدنى ما لم أطلقه على نفسى ، فإذا أطلقته
صار بدنى فى حبس لسانى .

وقال آخر : الكلمة أسيرة فى وثاق^(١) الرجل ، فإذا تكلم بها صار فى وثاقها
وقال الشعبى : أنا على اتّباع ما لم أوقع أقدر منى على ردّ ما أوقعت .
وتكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات ، خرجن كلّهن بمعنى ؛ فقال كسرى :
أنا على قول ما لم أقل ، أقدر منى على ردّ ما قلت . وقال قيصر : لا أندم على
ما لم أقل ، فأنما أندم على ما قلت . وقال ملك الصين : إذا تكلمت بالكلمة
ملكستنى ولم أملكها . وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلّم بالكلمة ، إن حكيت
عنه ضرّته ، وإن لم تذكر لم تنفعه .
وقال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

وقالت الفلاسفة : اللسان خادم القلب .

وقالت العلماء : اللسان كاتب القلب إذا أملى عليه شيئاً أتى به .

وأنشدنى عبّيد الله بن عبد الله بن طاهر :

رأيت لسان المرء راعى نفسه وعاذره إن ليم أو زل سائرُه

فمن لزمته حجة من لسانه فقدمت راعيه وأفجم^(٢) عاذره

ولئن كان السكوت جميلاً لقد جعل الكلام جميلاً ، ما لم يتعد المتكلم فى

(١) الوثاق : بفتح الواو وكسر ها ، : ما يشد به من قيد وحبل ونحوه ،

(٢) أفجم : أسكت بالحجة فى خصومة أو غيرها ، ولم يستطع جواباً .

كلامه ، ويتجاوز في الكلام حدَّ نظامه .

وقد أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

ما في الكلام على الأنام أثمٌ بل فيه عندي النقض والإبرامُ
لولا الكلامُ لما تميَّنا الهدى وتعطلت في ديننا الأحكامُ
فزين الكلام إذا أردت تسكماً ودخ الفضول ، ففي الفضول ملامُ
إن أنت لم ترشد أخاك إذا أتى فعليك منه هجنة^(١) وأثامُ
والنطق أفضل من صمات^(٢) منهم جاء الكتاب بذلك والاسلامُ
هذا البيان فلا تكن متمارياً فالصمت عيٌّ والكلام نظامُ
وليس بعيب على الأديب ، وإن كان مستقلاً بما لديه ، استحذاؤه^(٣)
للمتقدم في العلم عليه ، ولا في سؤاله فيما غيبت معرفته عنه ؛ من هو أعلى
درجة في العلم منه .

وأنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

تمامُ العَمَى طولُ السكوت وإثما شفاءُ العَمَى يوماسؤالك من يدري
وروى أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن عبد المطلب :
ماذا يزيد في العلم ؟ قال : التعلمُ . قال : فماذا يدل على العلم ؟ قال : السؤال .
أنشدني أحمد بن عبيد ، قال : أنشدني ابن الأعرابي لبشامة بن عمار والمرى :
إذا ما يهتدى لبي هَداني وأسألُ ذا البيان إذا حُميتُ
وأجتنبُ المقاذع^(٤) حيث كانت وأتركُ ما هويتُ لما خَشيتُ

(١) الهجنة من الكلام : العيب والقبیح ، أو ما يهينه الإنسان ، وفي العلم : إضاعته ،
يقال : احفظ علمك من الهجنة

(٢) الصمات : السكوت

(٣) استحذى : اقتدى

(٤) قدح في عرضه : طعن فيه وعابه وتنقصه ، ويروى : المقاذع ، أى الخنا والفحش

وكان يقال: من رقى وجهه عن السؤال دق علمه ، ومن أحسن السؤال علم .
وقال الشاعر :

إذا كنتَ في بَلَدٍ جاهلاً ولِلْعِلْمِ مُلْتَمِسًا فاسأل
فإنَّ السُّؤالَ شِفَاءُ الْعَمَى كما قيل في الزَّمنِ الأوَّلِ
ورُوينا عن يونس ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال :
لا يتعلَّم من استَحيا وتكَبَّر .

وقال رجل من بني العباس للمأمون : أيحسن بمثلي طلب العلم اليوم ؟
فقال : نعم ، والله لأن تموت طالبا للعلم أزين بك من أن تموت قانعا بالجهل .
فقال : إلى متى يحسن بي وقد جاوزت الستين ؟ قال : ما حسنت بك الحياة :
وقال الخليل : ذا كرِّ بعلمك ، فتذكر ما عندك ، وتستفيد ما ليس عندك

وقال الخليل أيضا : كنتُ إذا لقيت عالما أخذت منه وأعطيته .
وأخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني ابن الأعرابي قال : أخبرنا أزهر
السَّمان قال : قال الزُّهريُّ : الأَخْبَارُ ذُكْرَانٌ لَا يَحِبُّهَا إِلَّا ذُكْرَانُ الرِّجَالِ ،
وَلَا يَكْرَهُهَا إِلَّا مُؤَنَّثُهُمْ .
وقال الطَّرِمَّاح :

وَلَا أَدْعُ السُّؤَالَ إِذَا تَعَيَّتْ عَلَى مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْكَلَاتُ
وَيَنْفَعُنِي إِذَا اسْتَيْقَنْتُ عِلْمِي وَأَقْوَى الشَّكِّ عِنْدِي الْبَيِّنَاتُ
فهذه جملة تحت الأدب على الطالب ، وصدر يقنع به العقلاء من حدود الأدب ،
(ومنه أيضا) : ترك ممازحة الإخوان ، إذا كان مما يوغر صدور الخللان ،
وقد اختصرتُ لك من ذلك جملة مقنعة ، وألفاظها ممتعة . فيها لك كفاية ،
ولذوى الألباب نهاية ، إن شاء الله تعالى .

٣ — باب النهي عن صفات الأعداء

والنهي عن مفاكهة الأوداء

اعلم أن من زىّ الأدباء، وأهل المعرفة والعقلاء، وذوى المروءة والظرفاء :
قلّة الكلام في غير أرب، والتجالل^(١) عن المداعبة واللعب، وترك التبذل
بالسخافة، والصياح بالفكاهة، والمزاح لأن كثرة المزاح يذلّ المرء، ويضع
القدر، ويزيل المروءة، ويُفسد الأخوة. ويحتريء على الشريف الحر :
أهل الدناءة والشر.

وقد أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعي عن رجل من العرب
قال : خرجت في بعض ليالي الظلم، فإذا أنا بجارية كأنها صنم، فراودتها عن
نفسها. فقالت : يا هذا، أملك زاجر من عقل، إذا لم يكن لك واعظ من
دين؟ قلت : والله ما يرانا إلا السكواكب ! قالت : يا هذا، فأين مَكوكيها؟
فقلت : إنما كنت أمزح، فقالت :

فَيَاكَ إِيَّاكَ الْمَزَاحَ فَإِنَّهُ يُجَرِّي عَلَيْكَ الطُّفْلَ وَالْدَّنْسَ النَّذْلَ
وَيَذْهَبُ مَاءَ الْوَجْهِ بَعْدَ وَضَائِهِ وَيُورِثُ بَعْدَ الْعِزِّ صَاحِبَهُ ذُلًّا
وقال سليمان بن داود عليهما السلام . المزاح يستخفّ قواد الخليم،
ويذهب ببهاء ذي القُدرة .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكثر من شيء عَرِفَ به، ومن
مازح استخِفَّ به، ومن كثر ضحكك ذهبته هيبته .

وكان يقال : لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح .
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إمنعوا الناس من المزاح، فانه

يُذهب المروءة ، وَيُوغِرُ^(١) الصدر .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَازِحُ أَخَاكَ إِذَا أَرَدْتَ مُزَاحًا وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَزَاحِ جَمَاحًا^(٢)

فَلَرَبَّمَا مُزِحَ الصَّدِيقُ بِمَزْحَةٍ كَانَتْ لِبَابِ عِدَاوَةٍ مِفْتَاحًا

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : امْتَنَعُوا مِنَ الْمَزَاحِ تَسْلِمَ لَكُمْ الْأَعْرَاضُ ،

وَقَالَ خَلْفُ بْنُ صَفْوَانَ : الْمَزَاحُ سَبَابُ النَّوْكِ^(٣) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

تَلْقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ

وَيَقُولُ كُنْتُ مِمَّا زَحًا وَمَلَا عِبَا هِيَّاتِ نَارِكَ فِي الْحَشَا سَتُسْعَرُ

أَلْهَبْتَهَا وَطَفَقَتْ تَضْحُكُ لَا هِيَا عَمَّا بِهِ وَفَوَّادُهُ يَتَفَطَّرُ

أَوْ مَا عَلِمْتَ وَمِثْلُ جَهْلِكَ غَالِبٌ أَنَّ الْمَزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْغَرُ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْخُصُومَةُ تُمْرِضُ الْقُلُوبَ ، وَتَثْبُتُ فِيهَا النِّفَاقُ ،

وَالْمَزَاحُ يُذْهِبُ بِبِهَاءِ الْعِزِّ .

وَحَدَّثَنِي الْبَاغَنْدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدَرِ

قَالَ : قَالَتْ لِي أُمِّي : يَا بَنِيَّ لَا تَمَازِحِ الصَّبِيَّانَ فَتَهْوَنَ عَلَيْهِمَ . وَقَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتُ

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَوْصَى يَعْلَى بْنُ مُمْنَةَ بَنِيهِ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ إِيَّاكُمْ وَالْمَزَاحَ ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ

بِالْبِهَاءِ ، وَيُعْتَقِبُ النَّدَامَةَ ، وَيُزْرِى بِالْمَرْوَةِ .

(١) وَغَرَهُ عَلَيْهِ : أَغْرَاهُ بِالْحَقْدِ عَلَيْهِ

(٢) جَمَعَ الرَّجُلُ : رَكِبَ هَوَاهُ فَلَمْ يُمْكِنْ رَدُّهُ

(٣) النَّوْكُ : جَمَعَ الْأَنُوكَ : الْآخِيقُ ، الْعَاجِزُ الْجَاهِلُ

وقال مسعر بن كدام الهلالي لا بئنه :

ولقد منحتك يا كدام نصيحتي فاسمع لقول أبٍ عليك شفيق
أما المزاحاة والمراء فدعهما خلقتان لا أرضاهما لصديق
إني ببلوتهما فلم أحذهما لمجاور مجاورته ورفيق
وكان سعيد بن العاص يقول : لا تمارحَنَّ الشريفَ فيحقد عليك .
ولا الدنيا فيجتريء عليك .

وقد توارث بالنهي عن ذلك الأخبار، وتكاثفت فيه الأشعار ، ولعمري
إنَّ ترك ما نهى عنه ذوو الأدب ، من المداعبة واللعب ، أولى بذى النُهيَّة^(١)
والأرب ؛ وقد يجب على العاقل الأديب أن ينتقى اخوانه ، ويتخير أصدقاءه ،
ويفتش عن الأصحاب ، ويجالس ذوى الألباب ، ويستخلص أهل الفضل ،
وأهل المروآت والعقل ، فانها محنة الأدباء ، وفراسة العلماء ؛ وإنما يعرف
الرجل بأشكاله . ويقاس بأمثاله ، ويوسم بأصدقائه ، وينسب إلى أقرانه .
وقد شرحتُ في ذلك جملةً من الآثار ، وما روى فيه من النَّتفِ
والأخبار ، فتَقَفَ عليه يسبُّ لك ما فيه إن شاء الله تعالى .

٣ — باب الرُّصْر بالاعتبار الزُّهْرَانِ

وانتخاب الأقران والأخذان

رَوَى عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : اخْتَبِرُوا النَّاسَ بِأَخْوَانِهِمْ ، فَإِنَّ
الرَّجُلَ يَخَادِنُ مَنْ يُعْجِبُهُ نَحْوُهُ .

وقال مجاهد : إني لَأَنْتَقِي الْإِخْوَانَ ، كَمَا أَنْتَقِي أَطْيَابَ الثَّمَرِ .

وقال بعض الشعراء :

(١) النُهيَّة : العقل

إِنْحَضَ^(١) مَوَدَّتَكَ الْكَرِيمَ فَأَنَّمَا
وإِخَاءَ أَشْرَافِ الرِّجَالِ مَرُوءَةً
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ :
وَقَارِنْ إِذَا قَارَنْتَ حَرًّا فَأَنَّمَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقًا لِنَفْسِهِ
وَرَوَى أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ : لَا تَحْكُمُوا لِلرَّجُلِ بِشَيْءٍ
حَتَّى تَنْظُرُوا مَنْ يُخَادِنُ .

وَقَالَ عَدَى بْنُ زَيْدٍ الْعَبَادِيُّ :
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّرَّ يَبْعَثُ أَهْلَهُ
وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ هُبَيْرٍ الْأَسَدِيُّ :
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ
فَاخْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَسْمَائِهَا
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَنْ ذَا الَّذِي يَخْفَى عَلَيْهِ
وَعَلَى الْفَتَى بِطِبَاعِهِ
سِمْةٌ^(٢) تَلُوحُ عَلَى جَبِينِهِ

وَأُنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُمَيْدٍ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْبَزِيدِيِّ :
وَمَنْ يَصَاحِبُ صَاحِبًا يُنْسَبُ إِلَى مُسْتَضْحَبَةٍ
بِزَائِنَاتٍ رَشْدِهِ أَوْ شَائِنَاتٍ رِيْبِهِ

(١) انْحَضَ فُلَانًا الْوَدَّ أَوْ النَّصِيحَ : أَخْلَصَهُ إِيَّاهُ

(٢) أَزْرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ : عَابَهُ عَلَيْهِ (٣) السِّمَةُ : الْعَلَامَةُ

ورأسُ أمرٍ لا مَرِيٍّ خيرٌ له من ذَنبِهِ
وذو النُهي لَيْسَتْ تَبَا عاتُ^(١) الهوى من أَرَبِهِ
وقال آخر: ولا تَصْحَبْ أخا الجَهِلِ وإِيَّاكَ وإِيَّاهُ
فكم من جاهلٍ أَرَدَى^(٢) حليماً حينَ آخَاهُ
ولِلشَيْءِ مِنَ الشَّيْءِ مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ
يُقَاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما المرءُ ما شَآهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حينَ يَلْقَاهُ

وأنشدني أبو العباس الشيباني لأبي أمنة جد النبي صلى الله عليه وسلم :
وإذا أتيت جماعةً في مجلس فاحذر مجالسهم ولما تقعد
وذَرِ الغوَاةَ الجاهلين وجهلهم وإلى الذين يذكرونك فاقعد
فليؤاخ الأديبُ أكفاه ، وليصحب نظراؤه ، ومن يأمن من غدره ،
وغِبَّ^(٣) أمره ، وبَوَاتِقْ^(٤) شره ؛ وأنى يكون ذلك ولن يجتمع إلا في أهل
الحياة ، فمنهم كرم الوفاء ، وإذا اجتمع الحياء والوفاء ، صح الإخاء .
وقد أخبرني مخبرٌ عن عبد الله بن طاهر أنه قال : لا دواء لمن لا حياء له ،
ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ولا إخاء لمن أراد أن يجمع
بين أهواء أخلائه ، حتى يحبوا ما أحب ، ويكرهوا ما كره ، وحتى لا يرى من
أحد ختلاً^(٥) ولا زلاً ، ولا تفریطاً ، ثم أنشد :

طلبتُ أمره المحضاً^(٦) صحيحاً مسلماً نقياً من الآفات في كلِّ مؤسَم

(١) التباعات : جمع التباعة : ما ترتب على الفعل من الخير أو الشر
(٢) أَرَدَى الرجل : أسقطه
(٣) الغب : العاقبة
(٤) البَوَاتِقُ : جمع البائقة : الداهية ، أو الشر
(٥) ختله : خدعه
(٦) المحض : الخالص الصريح عموماً .

لِأَمْنِهِ وَدَى فَلَمْ أُدْرِكِ الَّذِي
صَبَرْتُ وَمَنْ يَصْبِرُ يَجِدُ غَيْبَ صَبْرِهِ
وَمَنْ لَا يَطِبُ^(١) نَفْسًا وَيَسْتَبْقِي صَاحِبًا
وَقَالَ جَمُودُ الْوَرَّاقِ :

إِلْبَسْ أَخَاكَ عَلَى تَصْنُوعِهِ
فَلَرَبِّ مَفْتَضِحٍ عَلَى النَّصِّ
مَا كِدْتُ أَفْضَحُ عَنْ أَخِي ثِقَةً
وَلَيْسَ صَاحِبُ نَظَرٍ ، وَمَنْ يَأْمَنُ غَدْرَهُ ، وَغَبَّ أَمْرَهُ ، وَبَوَائِقُ شَرِّهِ .

وَأَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ لِلْهُطَيْعِ بْنِ إِيَّاسَ :
وَلَيْنَ كُنْتُ لَا تَصَاحِبُ إِلَّا صَاحِبًا لَا تَزِلُّ مَا عَاشَ نَعْلُهُ
لَا تَجِدُهُ وَلَوْ حَرَصْتَ وَأَنْتَى لَكَ بِالْجُلِّ لَيْسَ يَوْجَدُ مِثْلُهُ
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ : أَعْيَانِي شَيْثَانٌ : أَخٌ فِي اللَّهِ ، وَدِرْهَمٌ حَلَالٌ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَبْعَدَ النَّاسَ سَفَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ كَانَ فِي طَلَبِ
صَدِيقٍ يَرْضَاهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْفَضْلِ بْنِ عِيَّاضَ : ابْغِنِي رَجُلًا أَحَدَّثَهُ سَرِّي ، وَآمَنَهُ عَلَى
أَمْرِي ، فَقَالَ : تِلْكَ ضَالَّةٌ^(٢) لَا تَوْجَدُ .

وَأَنشَدَنِي الْمُهَلَّبِيُّ لِنَفْسِهِ :

إِلْبَسْ أَخَاكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ
وَاحْفَظْ مَوَدَّتَهُ بِالْغَيْبِ مَا وَصَلَا
فَاطْوَلُ النَّاسِ غَمًّا مَنْ يَرِيدُ أَخًا
ذَا خِلَةٍ^(٣) لَا يَرَى فِي وَدِّهِ خِلَلًا
وَأَنشَدَنِي أَيْضًا :

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا يَنْفَكُ مَغْتَفِرًا
ذَنْبُ الصَّدِيقِ وَإِنْ عَقًّا وَإِنْ صَرَمًا

(١) طابت النفس : انشرفت

(٢) الضالة : الشيء المفقود الذي تسعى وراءه

(٣) الخلة : الصداقة

(٤) صرمه : هجره ، وقاطعه

والعُمرُ يَقْصُرُ عن هَجْرٍ وعن صَلَـةٍ وعن تَجَنُّيٍّ وَعَتَبٍ يُورِثُ السَّقَمَ
فتركُ مَصَارِمَةَ الخُلَّانِ ، والتَّجَاوُزَ عن هَفَوَاتِ الإِخْوَانِ ، والاستِثْكَارُ
من الأَخْلَاءِ ، ورفضُ معَانِدَةِ الأَعْدَاءِ ، أُولَى بِأَهْلِ الأدبِ ، وذَوَى المِرْوَةِ
والأَرْبِ ، وأَهْلِ الفضلِ والحسبِ .

وقد حكى الأصمعيّ قال : سمعتُ أَعْرَابِيَا يقولُ لِأَخٍ لَهُ : أَيُّ أَخِي ، إن
الصديقَ يحولُ بِالْجَفَاءِ ، وإِنِّي أَرَاكَ رَطْبَ اللِّسَانِ من عِيُوبِ أَصْدِقَائِكَ ،
فَلَا تَزِدْهُمْ فِي أَعْدَائِكَ .

وقال عبد الله بن الحسن بن عليّ لابنه رضى الله عنه : إِيَّاكَ وَعِدَاوَةُ
الرِّجَالِ . فَإِنَّهَا إِن تَعْدَمَكَ مَكْرَ حَلِيمٍ ، أَوْ مَفْاجَأَةَ لَيْمٍ
وَرُؤَى أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ قَالَ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ لَا تَسْتَكْثِرُ أَنَّ يَكُونَ لَكَ
أَلْفُ صَدِيقٍ ، وَلَا تَسْتَقِلَّ أَنَّ يَكُونَ لَكَ عَدُوٌّ وَاحِدٌ
وَرُؤَى أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ :

وَأَكْثَرُ مِنَ الإِخْوَانِ مَا اسْتَطَعْتَ إِيْنَهُمْ عِمَادٌ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورٌ
وَلَيْسَ كَثِيرًا أَلْفُ خَلٍّ وَصَاحِبٍ وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لِكَثِيرٍ
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَّ إِلَى ذِي اللَّبِّ ، وَلَا أَحْسَنُ مَوْقِعًا فِي الْقَلْبِ ، مِنْ مُحَادَثَةِ
العُقْلَاءِ . وَمَجَالِسَةِ الأَدْبَاءِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا تَفْتَقُّ بِهِ الأَذْهَانُ . وَيَنْفَسِحُ بِهِ الْجَنَانُ ،
وَيَزِيدُ فِي اللَّبِّ ، وَيَحْيَا بِهِ الْقَلْبُ . كَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَّاتِ إِلَّا مُحَادَثَةُ الرِّجَالِ ذَوِي الْعُقُولِ
وَقَدْ كُنَّا نَعُدُّهُمْ قَلِيلًا فَقَدْ صَارُوا أَقْلًا مِنْ الْقَلِيلِ

وَقِيلَ لِلْحَرْقَةِ ابْنَةِ النَّمِمانِ : مَا كَانَتْ لَذَّةُ أَبِيكَ ؟ فَقَالَتْ : إِدْمَانُ الشَّرَابِ
وَمَجَالِسَةُ الرِّجَالِ .

وقال عمرو بن مرة الجهني ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وَصَحَوْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَمَّدٍ حَسَنَ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمًا
وقال معاوية بن أبي سفيان لعمرو بن العاص : ما بقي مما تستلذه ؟
فقال : مجالسة الرجال .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن عدة من الصحابة رضى
الله عنهم ، من الأحاديث في الحث على صحبة الإخوان ، والرغبة في الخلان ،
ما إن ذكرناه طال به الكتاب ، وكثر به الخطاب ؛ وسنذكر بعض ذلك
ونختصره ، ونأخذ من أحسنه ما يكون فيه بلاغ إن شاء الله تعالى .

٤ — باب الحث على صحبة الإخوان

والإغراء على مودة الخلان ، والرغبة في أهل الصلاح والإيمان
رُوى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المرء على دين
خليله ، فليُنظر أحدكم من يُخال .
ورُوى عن أبي عمرو العوفي قال : كان يقال : اصحب من إن صحبته
زانك ، وإن خدمته صانك ، وإن أصابتك خصاصة ^(١) مَانَك ^(٢) ، وإن
رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى منك سقططة سترها ، ومن إن قلت صدق
قولك ، وإن أصبت سدّد صوابك ، ومن لا يأتيك بالبوائق ، ولا تختلف
عليك منه الطرائق .

وقال الفضل بن غسان البصري : كان يقال : اصحب من ينسى معروفه عندك
ورُوى عن معاوية بن قرة قال : نظرت في المودة والاخاء ، فلم أجد
أثبت مودة من ذى أصل .

(٢) مانه : قدم له مؤنته وقام بكفايته

(١) الخصاصة : الفقر

وأنشدونا لعمر بن عبد العزيز ، ولا يعرف له غير هذه الأبيات :

إني لأمنح مَنْ يُواصلني متى صفاء ليس بالمدق^(١)
وإذا أخ لي حال عن خلق داويت منه إذاك بالرق
والمرء يصنع نفسه ومق ما تبسله ينزع إلى العرق

ومثله قول زهير بن أبي سلمى :

وما يك من خير أتوه فأنما توأرثه آباءه آباؤهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه^(٢) وتغرس إلا في منابتها النخل

ومنه قول الآخر :

والأبن ينشوا على ما كان والده إن العروق عليها تنبت الشجر

وقال المتوكل الكنانى :

عندى لصالح قومي ما بقيت لهم خذ ، وذم لأهل الذم معدود
أجري على سنة من والدي سبقت وفى أرومته^(٣) ما ينبت العود

وأوصى بعض الحكماء أخاً له فقال : أى أخى ، أخ الكريم الأخوة ،
الكامل المروءة ، الذى إن غبت خلفك ، وإن حضرت كنفك^(٤) وإن لقي صديقك
استزاده ، وإن لقي عدوك كفه ، وإن رأيتة ابتهمجت ، وإن نأيتة استرحت .
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا رزقك الله مودة امرئ مسلم فثبت بها .

وكان سفيان الثوري كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين :

أبلى الرجال إذا أردت إخوانهم وتوسعن إخوانهم وتفقروا

(٣) مدق الود : شابه بكدر ولم يخلصه

(٢) الخطي : الرشح ، نسبة إلى الخط ، وهى جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح .

الوشيخ : شجر الرماح

(٤) كنف الشيء : صانه وحفظه

(٢) الارومة : أصل الشجرة

فَإِذَا وَجَدْتَ أَخَا الْأَمَانَةِ وَالْثَقَى
كَمُّ مَنْ صَدِيقٌ فِي الرَّخَاءِ مُسَاعِدٌ
وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ :

أَخٌ مِنْ آخِيَةٍ عَنْ خَيْرَتِهِ
لَا وَلَا الْأَجْسَامُ مَا لَمْ تَبْلُغْهُمْ
مِنْهُ مَا لَيْسَتْ لَهُ مَنَظَرَةٌ
وَتَرَى مِنْهُ أُنَيْقًا نَبْتُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَنْ حَمَدَ النَّاسَ وَلَمْ يَبْلُغْهُمْ
ثُمَّ بِالْأَهَمِّ ذَمٌّ مَنْ يَحْمَدُ
وَصَارَ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا
يُوحِشُهُ الْأَقْرَبُ وَالْأَبْعَدُ
وَرَوَى أَنَّ رَجُلًا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ لِابْنِهِ : أَيْ بُنَى لَا تُؤَاخِ أَحَدًا
حَتَّى تَعْرِفَ مَوَارِدَ أُمُورِهِ وَمَصَادِرَهَا ، فَإِذَا اسْتَبْطَنْتَ الْخَيْرَ ، وَرَضَيْتَ مِنْهُ
الْعَشْرَةَ ، فَأَخِهِ عَلَى إِقَالَةِ الْعَشْرَةِ ، وَالْمُؤَاسَاةِ عِنْدَ الْعَشْرَةِ .

وَأَنشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرَّدُ :
وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي
عَلَى حَنْقٍ وَأَشْرَقَنِي بِرَيْقِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَكَطَمْتُ غِيظِي
مَخَافَةَ أَنْ أَكُونَ بِبِلَا صَدِيقٍ
وَأَنشَدَنِي لِبِشَّارِ بْنِ بُرْدٍ الْعُقَيْلِيُّ :
أَخُوكَ الَّذِي لَا يَنْقُضُ الدَّهْرُ عَهْدَهُ
وَلَا عِنْدَ صَرْفِ الدَّهْرِ يَزُورُ^(٣) جَانِبُهُ
نُفِذْ مِنْ أَخِيكَ الْعَفْوَ وَاغْفِرْ ذُنُوبَهُ
وَلَا تَكُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تَجَانِبُهُ
إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا
صَدِيقَكَ لَمْ تَلُقْ الَّذِي لَا تَعَاكِتِبُهُ

(١) الطَّرُور : جمع الطَّرَةِ ، الجبهة

(٢) الْخُور : الضعف

(٣) اَزُورُ عَنْ كَذَا : عَدَلْتُ وَانْحَرَفْتُ

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ^(١) ظمئت وأى الناس تصفون مشاريبه
وقال آخر :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه
ومن يتتبع جاهداً كل عثرة
وأنشدني أحمد بن يحيى لسعيد المساحي :

فخذ عفو من أحببت لا تبرمته
وقال أبو الأسود الدؤلي :

ولست مستبقياً أخاك لا
من ذا الذي هذبت خلائقه
لا أصحب الخائن اللئيم ولا
أجزيه بالعرف ما حيدت ولا
ومثله قول النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخا لا تلمه
وأجاد والله الذي يقول :

إذا ما أذاني مفصل فقطعته
ولكن أدويه فإن صح كان لي
وأشددت لرجل من طيء :

أرخص على الناس ثوب سترهم
أو اجن حلو الثمار من شجره

(١) القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبن ونحوه

(٢) رنق الماء : اختلط فيه الطين فكدر .

(٣) الريث : مقدار المبلّة من الزمن ، يقال : أمهله ريثاً فعل ذلك ، أى مقدار ما فعل ذلك .

(٤) أدواه : أمرضه . (٥) تحامل في وبال الأمر : تكلفه على مشقة .

وَاسْتَبَقَ مَا لَمْ تَرِدْ قَطِيعَتَهُ بِسْتَرِهِ مَا اسْتَقَرَّ فِي سِتْرِهِ
فَرُبَّ بَاكِي الْجَمِيلِ مِنْهُ إِذَا قُتِّشَ أَبَدَى التَّفْتِيشِ عَنْ عَوْرِهِ
وَاسْتَصْلَحَ النَّاسَ مَا اسْتَطَعَتْ وَلَا تُسْرِعْ إِلَى ضَرِّ مُبْتَغَى ضَرَرِهِ
وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَحَبُّ أَخَوَانِي إِلَىَّ أَخٌ إِنْ
غَبَّتْ عَنْهُ عَذْرَتِي ، وَإِنْ جِئْتَهُ قَبْلَتِي

وَقِيلَ لَخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : أَى إِخْوَانِكَ أَوْجِبَ عَلَيْكَ حَقًّا ؟ فَقَالَ : الَّذِي
يَسُدُّ خَلَّتِي ، وَيَغْفِرُ زَلَّتِي ، وَيَقِيلُ عَثْرَتِي

وَقَالَ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ :

إِنَّمَا صَاحِبِي الَّذِي يَغْفِرُ الذَّنْبَ بَ وَيَكْفِيهِ مِنْ أَخِيهِ أَقْلَهُ
لَيْسَ مَنْ يُظْهِرُ الْمَلَالَةَ إِفْسَا وَإِذَا قَالَ خَالَفَ الْقَوْلَ فِعْلُهُ
وَصَلُّهُ لِلصَّدِيقِ يَوْمَ وَيَوْمَ يُضْمَرُ الْهَجْرَ ثُمَّ يَنْبِتُ حَبْلُهُ (١)
وَأَحَقُّ الرِّجَالِ أَنْ يَغْفِرَ الذَّنْبَ بَ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤَفَّرُ عَقْلُهُ
وَفِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعِيدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَرْءُ كَثِيرُ بِأَخِيهِ

وَكَتَبَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَاذَا قَدِمَ عَلَيْكَ ، أَخٌ
مُوَافِقٌ لَكَ ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ ، مَكَانَ سَمْعِكَ وَبَصْرِكَ ، فَإِنَّ الْأَخَ الْمُوَافِقَ ، أَفْضَلُ مِنَ
الْوَلَدِ الْخَالَفِ

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ قَصَّرَ فِي طَلَبِ الْإِخْوَانِ ،
وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مِنْ ظَفَرٍ بِهِ مِنْهُمْ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : عَلَيْكُمْ بِإِخْوَانِ الصَّدَقِ فَكَتَسِبُوا بِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ زِينٌ فِي
الرِّخَاءِ ، وَعُدَّةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ

وسئل بعض الحكماء: أى السكّنوز خير؟ فقال: أما بعد تقوى الله، فالأخ الصالح (واعلم) أن خير الإخوان من كانت إخوته ومحبيه فى الله، ولم تكن خُلته^(١) ولا مؤاخاته لطمع قليل، ولا لغرض عاجل، وليس شيء بذوى العقول، وأهل الديانات والفضل: أفضل من إخلاص المودة فى الله؛ ولعمري أن ذلك يحسن بجميع أهل الملل والأديان، وهو من أوثق عرى الإيمان، وقد روى فيه أحاديث كثيرة، اقتصرنا على بعضها، واختصرنا من أحسنها، وفى البعض كشاية إن شاء الله.

٥ — باب صفات المتحابين فى الله عز وجل

روى عن البراء بن عازب أنه قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتدرون أى عرى الإيمان أوثق؟ قلنا: الصلاة. قال: إن الصلاة لحسنة، وماهى بها. قلنا: الزكاة. قال: وحسنة، وماهى بها. فذكروا شرائع الإسلام. فلما رأهم لا يصيبون. قال: إن أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله.

وأخبرنى أبى رحمه الله بإسناد ذكره عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فى الجنة لعمودا من ذهبٍ عليه منابر من زبرجد تضيء لأهل الجنة كما يضيء السكوك الدرّى فى أفق السماء؛ قلنا: لمن هذا يا رسول الله؟ قال: للمتحابين فى الله^(٢)

(١) الخلة: الصداقة.

(٢) السكوك الدرّى (بتثنية الدال): الثاقب المشيء كالدر. وقد روى الحديث بالجامع الصغير للحافظ السيوطى: «إن فى الجنة لعموداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء السكوك الدرّى يسكنها المتحابون فى الله تعالى والمتجالسون فى الله تعالى والمتلاقون فى الله».

وَرَوَى أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : الْإِيمَانُ أَنْ تَحِبَّ فِي اللَّهِ وَتَبْغِضَ فِي اللَّهِ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : الْإِيمَانُ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا نَسَبٌ قَرِيبٌ ، وَلَا مَالٌ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَرُوَيْنَا عَنْ ثَابِتِ الْبُنَاتِيِّ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤَاخِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَتَطْوُلُ اللَّيْلَةُ عَلَى أَحَدِهِمَا حَتَّى يَرَى أَخَاهُ

وَرُوَيْنَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ : مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أَسَلَمْتُ ، وَلَا رَأَى إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لِقَاءُ الْإِخْوَانِ جِلَاءُ الْأَحْزَانِ

وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي : لِقَاءُ الْأَحِبَّةِ مَسْلَاةُ الْهَمِّ

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ : أَنْتُمْ جِلَاءُ حَزَنِي

وَرَوَى عَنْ أَبِي إِمَامَةَ قَالَ : مَنْ أَعْطَى اللَّهَ ، وَمَنْعَ اللَّهَ ، وَأَحَبَّ اللَّهَ ،

وَأَبْغَضَ اللَّهَ ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ

وَقَدْ كَانَتْ الْحُسَكَاءُ تَقُولُ : إِنَّ مَا يُجِبُّ لِلْإِخِ عَلَى أَخِيهِ مَوَدَّتُهُ بِقَلْبِهِ ،

وَتَرْيِينُهُ بِلِسَانِهِ ، وَرِفْدُهُ^(١) بِمَالِهِ ، وَتَقْوِيمُهُ بِأَدَبِهِ ، وَحُسْنُ الذَّبِّ^(٢) وَالْمُدَافَعَةُ عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ .

وَأَنْشَدَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْصِفْ أَخَاهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ غَائِبًا يَوْمًا كَمَا هُوَ شَاهِدُهُ

فَلَا خَيْرَ فِيهِ فَالْتَمَسْ غَيْرَهُ أَخًا كَرِيمًا عَلَى وَصْلِ السَّكْرِيمِ تَعَاهِدُهُ

فَإِنْ غَيْبَتْ يَوْمًا أَوْ شَهِدَتْ فَوَجْهَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَيْنَمَا كُنْتَ وَاجِدُهُ

(١) الرِّفْدُ : الْعَطَاءُ وَالْمَعُونَةُ

(٢) الذَّبُّ عَنْهُ : دَفْعُ وَحَامِي

أنشدني أحمد بن يحيى ، لكثير عزّة :

وليس خليلي بالملول ولا الذي إذا غبتُ عنه باعنى خليل
ولكن خليلي من يدوم وفاؤه ويحفظ سرّي عند كل دخيل
ولست براضٍ من خليلي بنائيل قليل ولا أرضى له بقليل

وأنشدني بعض الأدباء ، قال : أنشدني أعرابي ببلاد نجد :

وليس خليلي بالمزجى^(١) ولا الذي إذا غبتُ عنه كان عوناً مع الدهر
ولكن خليلي من يصون مودتي ويحفظني إن كان من دوني البحر

وأنشدني أبو العباس محمد بن يزيد النحوي :

تودّ عدوى ثم تزعم إنني أودّك ، إن الرأي عنك لعازب^(٢)
وليس أخي من ودّني رأى عينيه ولكن أخي من ودّني وهو غائب

وأنشدني يوسف الأعور قال : أنشدني يعقوب بن السكيت

لأوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولي ويرضيك مقبلاً
ولكن أخوك النائي ما كنت آمناً وصاحبك الأذني إذا الأمر أعضلاً^(٣)

وأنشدني أبو العيلاء ، قال أنشدني الجاحظ :

أخوك الذي إن سرك الأهر سره وإن غبت يوماً ظلّ وهو حزين
يقرب من قربت من ذي مودة ويقضي الذي أقصيته ويهين

وأنشدني أحمد بن يحيى :

إذا أنت رافقت الرجال فكن قتي كأنك مملوك لكل رفيق

(٢) عزب فهو عازب : بعد وغاب .

(١) المزجى : الضعيف .

(٣) أعضل الأمر : اشتد واستغلق

وَكُنْ مِثْلَ طَعْمِ الْمَاءِ عَذْبًا وَبَارِدًا عَلَى الْكَبِدِ الْحَرَّى ^(١) لِكُلِّ صَدِيقٍ
وَاعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَا تَأَلَّفَ بِهِ النَّاسَ قُلُوبَ أَخْلَاءِهِمْ ، وَنَفَوَابَهُ لِلضَّغْنِ ^(٢)
عَنْ قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ ، الْبِشْرُ بِهِمْ عِنْدَ حُضُورِهِمْ ، وَالتَّفَقُّدُ لِأُمُورِهِمْ ، وَحَسَنَ
الْبِشَاشَةِ ، فَذَلِكَ يُثَبِّتُ الْمَحَبَّةَ وَالْإِخَاءَ ، وَمِنْهُ أَحَادِيثٌ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا ،
وَقَصَدْنَا فِيهَا فِيهِ قِنَاعَهُ .

٦ — بَابُ الْبَهَائَةِ بِالْمُرُوءَةِ

وَالصَّبْرُ عَلَى تَأَلُّفِ قُلُوبِ ذَوِي الْأَضْغَانِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) .

وَقَالَ تَعَالَى : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ
عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : رَأْسُ الْعَقْلِ
بَعْدَ الْإِيمَانِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ ^(٣)

وَسَمِلَ الْحَسَنُ عَنْ حُسْنِ الْخَلْقِ فَقَالَ : الْكَرَمُ وَالْبَذَلَةُ وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ .
وَرَوَيْنَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فَقَالَ : مَا حَبَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ مِنْذُ
أَسْلَمْتُ ، وَلَا رَأَى إِلَّا تَبَسُّمًا فِي وَجْهِهِ .

(١) الْحَرَّى : الشَّدِيدُ الْعَطَشُ . (٢) الضَّغْنُ : الْحَقْدُ .

(٣) رَوَى بِالْجَامِعِ الصَّغِيرِ : رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ وَاصْطِنَاعُ
الْخَيْرِ إِلَى كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ .

وقال المنصور : اذا أحببت المحمدة من الناس بلا مؤونة ، فألقهم ببشر حسن .

وروى عن كعب الأخبار قال : مكتوب في التوراة : ليكن وجهك سبطاً ، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة .
وأشدني أبو علي العنزي :

إِلْقِ بِالْبَشَرِ مَنْ لَقِيتَ مِنَ النَّاسِ سِجَمًا وَلاَقِمِهِم بِالطَّلَاقِ
تَجْنِ مِنْهُمْ بِهِ جَنِيَّ ثَمَارِ طَيِّبِ طَعْمِهِ لَذِيذِ الْمَذَاقِ
وَدَعْ التَّيَّهَ وَالْعُبُوسَ عَنِ النَّاسِ سِجَمًا فَإِنَّ الْعُبُوسَ رَأْسُ الْحِمَاقِ
كُلَّمَا شَتَّتَ أَنْ تُعَادِيَ عَادِيَّتَ صَدِيقًا وَقَدْ تُعْزِ الصَّدَاقُ
أَشَدَّنِي لِبَعْضِ بَنِي طِيٍّ :

خَالِقِ النَّاسَ بِخَلْقٍ وَاسِعٍ لَا تَكُنْ كَلْبًا عَلَى النَّاسِ تَمِيرُ
وَالْقَهْمَ مِنْكَ بِبَشَرٍ كُنْ لِلَّذِي تَسْمَعُ مِنْهُمْ مُعْتَفِرُ
وقال أبو العتاهية :

وَأَلَنْ جَنَاحَكَ تَعْتَقِدُ فِي النَّاسِ مُحَمَّدَةً بِلِينِهِ
فَلَرَبِّمَا اخْتَقَرَ الْفَتَى مَنْ لَيْسَ فِي شَرَفٍ بِدُونِهِ
وَكَانَ يُقَالُ : أَوَّلُ الْمَرُوءَةِ طَلَاقُ الْوَجْهِ ، وَالثَّانِيَةُ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ ،
وَالثَّالِثَةُ قَضَاءُ حَوَائِجِ النَّاسِ .

وروى أن أعرابياً قال : يا رسول الله ، إنا من أهل البادية ، فنحب أن تعلمنا عملاً لعل الله أن ينفعنا به . قال : لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي ، وأن تكلم أخاك ووجهك إليه منطلق .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعواهم ببسط الوجه والخلق الحسن .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : تمام تحمياتكم المصافحة .

وقال الحسن البصري : المصافحة تزيد في المودة

وروى مجاهد عن معاذ قال : إن المسلمين إذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ، ثم أخذ بيده تحاقت ذنوبهما كما يتحامت ورق الشجر^(١) وأعلم أنه إذا صلحت النيات ، وخلصت السريرات ، صلحت أصفية^(٢) المودة ، وثبتت المحبة ، وانفقت القلوب ، واغتفرت الذنوب ؛ وإذا فسدت النيات ، وخبثت السريرات ، بطل خالص الإخاء ، وانحلت عرى^(٣) المودة والصفاء ؛ وقد شرحت في ذلك باباً ، تقف عليه إن شاء الله تعالى

٧ — باب اتفاق القلوب

على مودة الصديق ، وقلة الخلاف على الرفيق

روينا عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، وعن الوليد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر^(٤) اختلف .

وقال بعض الشعراء :

إنَّ القلوب لأجناد مجندة لله في الأرض بالأهواء تعترف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف
وقال طرفة :

وانَّ امرءاً لم يعف يوماً فكاهةً لمن لم يرِذ سوءاً بها لجَّهول

(١) تحات الورق من الشجر : تناثر .

(٢) أصفى فلانا الود ، وأصفى له الود : أخلصه له .

(٣) العرى : جمع عروة : ما يوثق به .

(٤) تناكر القوم : تعادوا وأنكر بعضهم بعضاً .

تَعَارَفُ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ إِذَا التَّقَوُّوا فَمِنْهُمْ عَدُوٌّ يُتَّقَى وَخَلِيلٌ
وكان يقال : المودّة قرابة مستفادة .

وقيل لخالد بن صفوان : أخوك أحب اليك ، أم صديقك ؟ فقال : إن
أخى إذا كان غير صديق لم أحبه .

وروينا عن واصل مولى ابن عيينة قال : كنت مع محمد بن واسع بمرو ،
فأتى عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان فقال عطاء لمحمد : أى عمل فى الدنيا
أفضل ؟ قال صحبة الأصحاب ، ومحاذاة الإخوان ، إذا اصطحبوا على الأمن
والتقوى ، فحينئذ يذهب الله بالخُلُف من بينهم . فواصلوا وتواصلوا .

وروى عن بشر بن السرى قال : ليس من البر أن تبغض ما أحبه حبيبك
وقال عبد الله بن صالح : اجتمعت أنا ومحمد بن نصر الحارثى ، وعبد الله
ابن المبارك . وفضيل بن عياض ، فصنعت لهم طعاما فلم يخالف محمد بن نصر
عليهنا فى شيء أصلا . فقال له عبد الله : ما أقلّ خلافاك ! فقال محمد :

وَإِذَا صَاحِبَتَ فَاصْحَبْ مَا جَدَا ذَا حِيَاءٍ وَعَفَافٍ وَكَرَمٍ
قَوْلُهُ لِلشَّيْءِ : لَا ، إِنْ قُلْتَ : لَا وَإِذَا قُلْتَ : نَعَمْ ، قَالَ : نَعَمْ

وقال آخر :

هُمُومٌ رِجَالٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَهَمٌّ مِنَ الدُّنْيَا خَلِيلٌ مُسَاعِدٌ
إِذَا غِيبَتْ عَنْهُ لَمْ أَغِبْ عَنْ ضَمِيرِهِ كَأَنِّي مُقِيمٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ شَاهِدٌ
نَكُونُ كَرْوَحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ فُرْقًا فَجِسْمَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ
وَأَنْشَدَنِى آخَرُ :

وَالْفَيْنِ كَالْغُضَيْنِ ضَمَّيْهُمَا الْهَوَى فَرُوحَاهُمَا رُوحٌ وَقَلْبَاهُمَا قَلْبٌ
إِذَا غَابَ هَذَا سَاعَةً عَنْ خَلِيلِهِ تَجَلَّاهُ يَوْمًا عِنْدَ فُرْقَتِهِ كَرَبٌ
فِيَا مَنْ رَأَى الْفَيْنِ صَانَا هَوَاهُمَا فَهَذَا بِذَا صَبٌّ وَهَذَا بِذَا صَبٌّ

وَأَنْشِدْتُ لِلْحَكَمِيِّ :

رُوحُهَا رُوحِي وَرُوحِي رُوحُهَا وَلَهَا قَلْبٌ وَقَلْبِي قَلْبُهَا
فَلَنَا رُوحٌ وَقَلْبٌ وَاحِدٌ حَسْبُهَا حَسْبِي وَحَسْبِي حَسْبُهَا

ولعمري ان ذلك لحسن جميل ، والذي قيل في ذلك كثير طويل .
وقد نهى قومٌ عن استعمال الميل في المودة ، واعلم أن ذلك مع دوام المحبة ،
وصفاء المودة ، لحسن غير مدفوع ؛ غير أنه قد نهى عن استعمال الميل في المودة ،
وكثرة الإفراط في المحبة ، وإدمان الزيارة في كل يوم وساعة ، لموضع الملل
والسلوان ، الذي هو طبع الانسان ، وأمرنا بالقصد في كل الأمور ، بدوام
المحبة والسرور ، وقد ذكرتُ بعض ذلك وفيه مقنع .

٨ — باب النهي عن استعمال الإفراط في حب الصديق

رُوي عن بعض الحكماء أنه قال : لا يفرط الأديب في محبة الصديق ،
ولا يتجاوز في عداوة العدو ، فانه لا يدري متى تنتقل صداقة الصديق عداوة ،
ولا متى تنتقل عداوة العدو صداقة .

وحكى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال : أحبب حبيبك
هو نأماً^(١) عسى أن يكون بغضك يوماً ما ، وأبغض بغضك هو نأماً ، عسى
أن يكون حبيبك يوماً ما .

ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : لا يكن حبك كلفاً ،
ولا بغضك تلفاً .

ومن أمثال أكتثم بن صيفي : الانقباض من الناس مكسبة للعداوة ،
وإفراط الأنس مكسبة للملال . قال أبو عبيدة : يريدان الاقتصاد أدنى إلى السلامة ،

(١) أحبب حبيبك هو نأماً . . . : أي حبا مقتصدًا لا إفراط فيه ، وإضافة ما
تفيد التقليل ، يعني لا تسرف في الحب والبغض فحسى أن يصير الحبيب بغيضًا والبغض
حبيبًا ، فلا تكون قد أسرفت في الحب فتندم ولا في البغض فتستحي .

قال أبو زيد : من أمثالهم : لا تَكُنْ حُلُوءًا قَسْرَطَ ^(١) ولا مُرًّا فَشَقِي ^(٢)
أى تَلَفِظْ من المرارة .

ومثله قول مُطَرِّف بن الشَّخِير : الحسنة بين السيئتين ، وخير
الأمور أوسطها .

وكان يقال : لا تهذر في منطقك ، ولا تُخْبر بذات نفسك ، ولا تَفَرَّ
بعدوك ، ولا تفرط في حب صديقك ، ولا تفرغ إلى من لا يرحمك ، ولا
تألف من لا يرشدك ، ولا تبغض من لا ينصح لك ، فإن شر الأخلاق مالة
الصاحب ، وتقريب المتباعد .

وأنشدني أحمد بن يحيى المقتنع الكندي :
وَكُنْ مَعْدًا لِلْإِحْلَامِ وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَأَيْتَ مَا عَلِمْتَ وَسَامِحُ
وَأَحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَارِعُ
وَأَبْغِضُ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَاعِدٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
وأنشدني أحمد بن يحيى لسعيد المساحق :

فَهَوِّنْكَ فِي حُبٍّ وَبَغْضٍ فَرَبًّا يَرَى جَانِبٌ مِنْ صَاحِبٍ بَعْدَ جَانِبٍ
وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ يَنْشُدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَأَحْسِبُهُمَا لَهُ :
إِذَا أَنَا أَكْرَمْتُ الْيَتِيمَ فَعَدْنِي هَبِينَا لَهُ حَقَّقْتُ بَاطِلًا مَا عَدَا
فَإِنَّ صَلَاحَ الْأَمْرِ يَرْجِعُ كُلُّهُ فَسَادًا إِذَا الْإِنْسَانُ جَزَتْ بِهِ الْحُدَا
وهذا طويل يُقْنِعُكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ .

وأما طول الزيارة ، فقد يجب على أهل الصداقة ترك المداومة عليها ،
وكثرة الجنوح ^(٣) إليها ، فإن ذلك يخلق الحب ، ويذهل الصب ، ويضجر

(١) سطر الشيء : ابتلعه . (٢) عني الأمر : كرهه . وأعني : صار مرا .

(٣) جنح إليه : مال .

المزور ، ويعدم السرور ، ويوقع البذل ، ويمدئ الملل ؛ وقد شرحنا في ذلك باباً فاعرفه وقف عليه إن شاء الله تعالى

٩ — باب الأصر بأغصاب زيارة الأوصياء

والنهي عن مداومة غشيان الأصحاب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : زُرْ غُيْبًا تَزِدُّ حُبًّا
وقال بعض الحكماء : من كثرت زيارته قلت بشاشته

وقال آخر : من أدام زيارة الأصدقاء : عديم الاحتشاد عند اللقاء * وقال آخر :

أَقْلِبْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيقَ قَدْ تَكُونُ كَالثَّوْبِ اسْتَجَدَّهُ
إِنَّ الصَّدِيقَ يَمْلَأُ أَنْ لَا يَزَالَ يَرَاكَ عِنْدَهُ

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِأَقْلَالِ الزَّيَارَةِ إِنَّهَا تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلُكًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْقَطَرَ يُسَامُ دَائِبًا وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ^(١)

وأنشدت لأبي تمام ، حبيب بن أوس :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلَقٌ لِدِيَابِجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدُ^(٢)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ^(٣)

وأنشدني لأبراهيم بن المهدي :

إِنِّي كَثُرْتُ عَلَيْهِ فِي زِيَارَتِهِ وَالشَّيْءُ مُسْتَقْبَلٌ جِدًّا إِذَا كَثُرَا
وَرَأَيْتُ مِنْهُ أَنِّي لَا أَزَالُ أَرَى فِي طَرَفِهِ قِصْرًا عَنِّي إِذَا نَظَرَا^(٤)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

(٢) مخلق : بال أو ممزق . الديباجة : الخد .

(١) القطر : المطر .

(٤) الطرف : العين .

(٣) السرمد : الدائم .

لَا تَجْعَلُنِ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا
وَصَلَ الصَّدِيقُ إِذَا كَلَفْتَ بِحُبِّهِ
فَلَذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ
لَا بَلْ يَمْلِكُ عَنْدَ دَعْوَتِهِ
أَحَبُّ إِلَيْهِ وَهُوَ يَتَهُ رَبًّا^(١)
وَاطْوَى الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِيًّا^(٢)
لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
فَيَقُولُ آهَ وَطَالَ مَا لَبِىَّ^(٣)
وَقَالَ آخِرُ :

أَغْبَى الزِّيَارَةَ لَمَّا بَدَأَ
وَمَا صَدَّ هَجْرًا وَلَكِنَّهُ
وَكَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ رُقْعَةً وَطَرَحَهَا فِي مَجْلِسِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ
حَيْثُ حَرَّمَ الْقِيَانُ :

عَزَمَاتُ الْأَمِيرِ أَصْلَحَهُ اللَّهُ
بَاعَدَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُجَابٍ
فَوْقَ مُحَمَّدٍ فِي ظَهْرِ الرُّقْعَةِ
حُسْنُ رَأْيِ الْأَمِيرِ فِي الْعِشَاقِ
وَفَرَّ الْحِظُّ فِي بَعَادِ التَّلَاقِ
خَافَ أَنْ يَحْدِثَ الْوِصَالُ مَلَالًا
وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ لِي مُحِبًّا
وَإِلَى حِينَ أُغِيبُ صَبًّا

(١) الرب . مفعول ثانٍ لتجعلين . ويطأ في اللغة على المالك والسيد والمدير والمرئ
والقيم والمنعم .

(٢) كلف به : أحبه حباً شديداً وأولج به : وى : إذا سمعت به . واطو الزيادة :
اقتطعها . غب غيًّا : جاء زائراً بعد أيام ، وغب عنه وعابه : أتاها يوماً وتركه آخر .

(٣) مل الشيء : سئمه وضجر منه ، آه : توجع . لبي : أجب النداء وى :
لا بل يملك ثم تدعو باسمه فيقول هاه وطالما لبي

فَهَجَرْتُ لَا مَلَالَةَ حَدَّثْتُ وَلَا اسْتَحْدَثْتُ ذَنْبًا
الَا لِقَوْلِ نَيْمًا زوروا على الأيام غيبًا
ولقوله مَنْ زَارَ غِيًّا مَا مِنْكُمْ يَزْدَادُ حُبًّا
وَهَجَرْتُ حِينَ هَجَرْتُ كَيْ أَرْدَادَ بِالْهَجَرَاتِ قَرِيبًا
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَكَ أَخْلَصُ الثَّقَلَيْنِ قَلْبًا^(١)
أَرْغَى لَكَ الْوُدَّ الْقَدِيمَ مَ وَإِنْ جَنَيْتَ عَلَى حَرِيبًا
ومن ذلك ما روى ان العتّابي دخل على يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت
له جارية يقال لها : خلوب ، تجالس الأدباء ، وتناقض الشعراء ، فقال لها :
سليبه لا بطائه عنّا جائزة ، فقالت له : قل على هذه القافية .

إِذَا شِئْتُ أَنْ تُقْلِي فَرُّ مَوَارِأَ^(٢) وَإِنْ شِئْتُ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَرُّ غِيًّا
فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَقِيتُ بِسَلَا قَلْبٍ لِأَنِّي هَائِمٌ فَهَلْ مِنْ دُعِيرٍ يَا خَلُوبُ بِكُمْ قَلْبًا
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ أَنَّكَ مُنِيَّتِي فَكُونِي لِعَيْنِي حَيْثُ مَا نَظَرْتَ نَضْبًا
عَسَى اللَّهُ يَوْمًا أَنْ يُرِيدَ بِكَ خَالِيًا فَأَجْنِي بِلَحْظِي مِنْ عَاسِنِكُمْ نَجْبًا
يَقُولُونَ لَا تَكْثُرْ زِيَارَةَ صَاحِبِ فَانْكَ أَنْ أَكْثَرْتَهُ كَرِهَ الْقَرِيبَا
وَكَيْفَ يُطِيقُ الصَّبُّ سِلْوَانَ حَبِيبِ^(٣) إِذَا كَانَ مَشْعُوفًا قَدْ اسْتَشْعَرَ الْكَرْبَا^(٤)
وَقَدْ قَالَ بَيْنَمَا مَا سَمِعْتُ بِهِ شِئْلَهُ خَلِيٍّ مِنَ الْأَحْزَانِ لَمْ يَذُقِ الْحُبًّا
إِذَا شِئْتُ أَنْ تُقْلِي فَرُّ مَوَارِأَ وَإِنْ شِئْتُ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَرُّ غِيًّا

(١) الثقلان : الإنس والجن .

(٢) قلى الرجل : أبغضه . وانزل الكتب : أرسل بعضها في أثر بعض ، ويريد أن
تكون الزيادة متواصلة .

(٣) شغفه الحب : غشى قلبه وغلبه .

فقال له : لله أبوك أحسنت : خذ بيدهما فهي لك ، وأمر له بألف درهم .
واعلم أن كل ما رسمناه في هذه الأبواب ، وذكرناه ، وشرطنا على
الأدباء ، ووجدناه داخلًا في باب حدود الأدب على ما أصبناه غير خارج منه ،
ولا منفصل عنه ، وأن يكون الأديب عاقلًا ، واللييب كاملاً ، حتى تكون
له مودة قد قرن بها بأدبه ، وثابر عليها في طلبه ، فاذا جمع ذلك ، رهب منه
الأعداء ، ورغب فيه الأدباء .

وسندكر من أنشأته المروّة ما يكون فيه بلاغ وهداية ، إن شاء الله تعالى .

١٠ - باب سرائع المروّة وصفها

اعلم أن المروّة هي عماد الأدباء ، وعتاد^(١) العقلاء ، يرأس بها صاحبها ،
ويشرف بها كاسبها ، ولا شيء أزين بالمرء من المروّة ، فهي رأس
الظرف والفتوة .

وقد قال بعض الحكماء : الأدب يحتاج معه الى المروّة ، والمروّة لا يحتاج
معه الى الأدب ، وربما رأيت ذا المروّة الخامل ، وذا السخاء الجاهل ، قد
غطت مروّته على عيوبه ، وستره سخاؤه من معيبه .

وأهل المروّات محسودة أفعالهم ، متبعة أحوالهم ، وقل ما رأيت حاسداً
على أدب ، وراغباً في أرب .

من ذلك ما حكى عن محمد بن حرب أنه قال : كنت على شرطّة جعفر
بالمدينة ، فأُتيت بأعرابي من بني أسد يُستعدى^(٢) عليه ؛ فرأيت رجلاً له بيان ،
يحتمل الصنيعة^(٣) فرغبت في اتخاذها عنده ، فتخلصته ، ثم لم يلبث أن ردّ

(١) العتاد : ما أعد لأمر ما .

(٢) استعدى الرجل : استعان به . (٣) الصنيعة : الإحسان .

إلى فقلت : حماس ، فقال لي : حماس والله ، قلت : ما أرجعك ؟ قال : الشر ، وما قاله رجل منّا يقال له خالد ، فأنشدني :

عَادُوا مَرَوْتَنَا فَضُلَّ سَعِيمُهُمْ وَلَسْكَلَ بَيْتَ مَرَوَّةٍ أَعْدَاءُ
لَسْنَا إِذَا عُدَّ الْفَخَارُ كَعَشِيرٍ أَزْرَى بِفَعْلِ أَيْيِهِمِ الْإِنْسَاءُ

قال : فتخلّصتَه ثانية .

وقيل لبعض حكماء الفُرس : أى شيء للمروّة أشدّ تهجيناً^(١) ؟ فقال : للملوك صغرٌ في الهِمة ، وللعمامة الصّلف ، وللفقهاء الهوى ، وللنساء قلة الحياء ، وللعمامة الكذب ، والصبر على المروّة صعب ، وتحملها عبء .
وقد قال خالد بن صفوان : لولا أن المروّة اشتدت مؤونتها ، وثقل حملها ، ماترك اللثام للكرام منها شيئاً ، ولكنّه لما ثقل حملها ، واشتدت مؤونتها ، حاد عنها اللثام ، فاحتملها الكرام .
وقال بعضهم : المكارم لا تكون إلا بالمكاره ، ولو كانت خفيفةً لتناولها السّفلة بالغبلة .

وقال ابن عمر : ما يحمل رجل حملاً أثقل من المروّة ، فقال له أصحابه : صف لنا ذلك . فقال : ماله عندي حدٌّ أعرفه إلا أنّي ما استحييتُ من شيء قط علانية إلا استحييتُ منه سراً .

وقام رجل من بني مُجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أأست أفضل قومي ؟ فقال : ان كان لك عقل فلك فضل ، وان كان لك خُلُق فلك مروّة ، وان لك مال فلك حسب ، وان كان لك دين فلك تقى ، وان كان لك تقى فلك دين .

وروى الهلالي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من ثقيف .

(١) هجين لأمر : قبيح وعابه .

ما المروءة فيكم؟ قال : الصلاحُ في الدين ، وإصلاحُ المعيشة ، وسدُّ حاجة النفس ،
وصلَّةُ الرَّحمِ ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كذلك هي فينا .
وقال عمر بن الخطاب : المروءةُ الظاهرة ، الثيابُ الطاهرة ، يعنى النقيَّة
من الذنوب .

وقيل للأحنف : ما المروءة؟ قال : إصلاحُ المعيشة ، واحتمالُ الجريرة .
وقال معاوية لصعصعة بن صفوان : ما المروءة قال : الصبر على ما ينوبك ،
والصمت حتى تحتاج إلى الكلام .
وقال محمد بن علي بن الحسين : كمال المروءة الفقه في الدين ، والصبر على
النوائب . وحسن تقدير المعيشة .

وقال معاوية لرجل من عبد القيس : ما تعدُّون المروءة فيكم؟ قال :
العِفَّة والحِرْفَة .
وقيل لأبي زهرة : ما المروءة؟ قال : إصلاحُ الحال ، والرزانةُ في المجالس ،
والغذاء والعشاء بالافنية .

وقال عمر بن الخطاب : حسب المرء ماله ، وكرمه دينه ، وأصله عقله ،
ومروءته خلقه .

وقال علي بن أبي طالب : مروءة الرجل حيث يضع نفسه .
وقال عبد الله شبيب بن نجحان : سمعتُ أيوب السجستاني يقول : لا ينبغي
الرجل حتى تسكون فيه خصلتان : العفة عن الناس ، والتجاوز عنهم

وقال مسلمة بن عبد الملك : مروءتان ظاهرتان ، الرياسة والفصاحة
وكان يقال : ثلاثٌ تفسد المروءة ، الالتفاتُ في الطريق ، والشُّحُّ ، والحِرْصُ
وقال عمر بن هبيرة : عليكم بمباكرة الغداء ، فإن في مباكرة الغداء
ثلاث خلال : يطيب النَّسَكَةُ ، ويُطْفِئُ المرَّة^(١) ، ويُعين على المروءة ؛
(١) المرَّة : خلط من أخلاط البدن ، وهو الصفراء أو السوداء . واجمع : مرار .

قيل : وما إعادته على المروءة ؟ قال : لا تتوق النفس إلى طعام غيره .
وقال سلم بن قتيبة : لا تتم مروءة الرجل حتى يصبر على مناجاة الشيوخ الدرد^(١)
وسأل ابن زياد رجلاً من الدهاقين^(٢) : ما المروءة فيكم ؟ قال : أربع خصال :
أن يعتزل الرجل الريبة ، فلا يكون في شيء منها فانه إذا كان مريباً كان ذليلاً ،
وأن يصلح ماله ، فإن من أفسد ماله لم تسكن له مروءة ، وأن يقرم لأهله
بما يحتاجون إليه حتى يستغنوا به عن غيره ، فإن من احتاج أهله إلى الناس لم
تسكن له مروءة ، وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه فإن المروءة
ألا يخطط على نفسه في مطعمه ولا مشربه
وكان يقال : ثلاث من المروءة : تعاهد الرجل إخوانه ، وإصلاح معيشته ،
وإقالته^(٣) في منزله

وسئل العتّابي عن المروءة ، فقال : إخفاء مالا يستحي من اظهاره ،
ومواطأة^(٤) القلب للسان

ويروى عن عبد الله بن بكر السهمي أن عبد الملك بن مروان دخل على
معاوية ، وعنده عمرو بن العاص فجلس ملياً ثم انصرف . فقال معاوية : ما أكمل
مروءة هذا الفتى ، وأخلقه أن يبلغ . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ان هذا
أخذ بخلائق أربع ، وترك ثلاثاً ، أخذ بأحسن الحديث اذا حدث ، وبأحسن
الاستماع اذا حدث ، وبأيسر المؤونة اذا خولف ، وبأحسن البشر اذا لقي ؛
وترك مزاح من لا يؤثق بعقله ولا دينه ، وترك مخالفة لثام الناس ، وترك
من الكلام ما يعتذر منه

(١) الدرد : جمع أدرد وهو من ذهب أسنانه .

(٢) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو رئيس الإقليم .

(٣) نومه في الظهيرة . (٤) المواطأة : الموافقة .

(فهذه) جملة شرائع المروءة لا يقدر على القيام بأدنى المفترض فيه إلا ذور العقول الفاضلة والآداب السكاملة .

(وأعلم) أن من المروءة أيضا عشرة خصال ، لا مروءة لمن لم يكن فيه :
الحلم والحياء وصدق اللبحة وترك الغيبة وحسن الخلق والعفو عند المقدرة
وبذل المعروف وإنجاز الوعد ؛ وفي تبينهن أخبار تحث على استعماطن ،
وآثار تدعو إلى المشاورة عليهن ، وأنا ذاكر بعض ذلك إن شاء الله وبه القوة

١١ - باب ما جاء من فضل الصدق

لذوى ، الآداب وما كره من الكذب لذوى الألباب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يصلح الكذب فى جد ولا هزل
وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : إذا كذب العبدُ تباعد الملك منه
مِثْلًا لِنِسْتِنِ ما جاء منه

وقال : لسان الصديق خير للبرء من المال يأكله ويورثه

وقال المهلب بن أبى صفرة : ما السيف الصارم فى يد الرجل الشجاع
بأعز له من الصدق

وكان يقال : الصدق قوة ، والكذب عجز أنشدنى بعض الأدباء :

لا يكذب المرء إلا من مهانتِهِ أو عادة السوء أو من قلة الأدب
لجيفة الكلب عندى خير راحة من كذبة المرء فى جد وفى لعب

وكان يقال لا رأى لكذب ، ولا مروءة لكذاب

ويقال لا تستعين بكذاب ، فإنه يقرب لك البعيد ، ويباعدك القريب .

وأنشدنى آخر :

وكن صادقاً فى كل شيء تقوله ولا تك كذاباً فتدعى منافقاً

وقال آخر :

الكذب عارٌ وخيرُ القولِ صدقُه والحقُّ مامسُه من باطلٍ زهقُه^(١)

وأنشدني غيره :

الصدقُ منجاةٌ لمن هو صادقٌ وترى الكذوبَ بما يقولُ يوبخُ

وقال أبو العتاهية :

كن في أمورك ساكناً فالمرءُ يدركُ في سُكونِه

وأعِدْ إلى صدقِ الحدي ثم فانه أنكى فنونه

رُبَّ امرئٍ متيقنٍ غلبَ الشقاءُ على يقينه

وحدثني بعض شيوخ الكتاب ، قال : حدثني علي بن هشام قال : قال
لى محمد بن الجهم ذات يوم : يا أبا الحسن : الكذاب والموات بمنزلة
واحدة ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لأن علامة الحي النطق ، ومن لم يوثق
بنطقه بطلت حياته .

والذى جاء فى ذلك يطول شرحه ، ويكثر وصفه ، والكلام فيه يتسع ،
وأنا أُفردُ لهذا الباب كتاباً ، وأرصفُه أبواباً ، أبين فيه فضل الصدق على الكذب ،
ليُرغب فيه ذوو المروءة والأدب ، إن شاء الله تعالى

وأما ما جاء فى انجاز العِدات عن ذوى الاخطار والمروءات ، فكثير
يكثر عدده ويطول أمده ، وقد شرحتُ لك بعض ذلك لتقف عليه إن
شاء الله تعالى

(١) أزهى الباطل : لاشاء وأبطله .

١٢ — باب ما جاء في تجميع هذاه المواعيم

وما يلحق صاحبه من الاوم والتفنيد

إعلم أن أقبح ما استعمله أهل الأدب مطلُ العدا
وقال المشي بن خارقة : لأن أموت عطشا أحبَّ إلىَّ من أن أخلف موعدا
ورويانا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاث علامات في المنافق ،
وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا أُوْتمن خان ،
وإذا وعد أخلف

وروي عنه أنه قال : عدة المؤمن أخذ بالسكف
وقال بعض الأعراب : وعد الكريم تعجيل ، وعد اللئيم مطل وتسويق
وكان يقال اليأس أحد الراحتين ، وأنشدني يعقوب بن يزيد التمار :
متى ما أقل يوما لطالب حاجة : نعم يا فتى ، أفعل ، وذلك من شكلي
وإن قلت : لا ، بينتُها من مكانها ولم أؤدِه فيها بحر ولا مَطْل
وأنشدني آخر :

إذا قلت في شيء نعم فأتّمه
وإلا فقل لا واسترح وأرح بها
وأنشدني آخر :

لا تقولنَّ إذا ما لم تُزِدْ
وإذا قلت نعم فامضِ بها
وأنشدني ابراهيم بن محمد النحوي :

أنت الفتى كل الفتى
لا خير في كذب الجوا
لو كنت تفعل ما تقول
د وحبذا صدق البخيل

وكان يقال : اعتذار من منع أجمل من وعدٍ مطول .

وقال علي بن هشام : أمرني المأمون بحاجة فأخرتها ، فكتب إلي :

تعجيلُ جودِ المرءِ أَكْرَمُ تَنْشُرُ عَنْهُ أَحْسَنَ الذِّكْرِ^(١)

والحُرُّ لَا يَظَلُّ مَعْرُوفَهُ وَلَا يَلِيْقُ الْمَطْلُ بِالْحُرِّ

وكان يقال : المعروف يحتاج الى ثلاث : تعجيله ، وكتمانه ، وإتمامه .

وأنشدنا ليزيد بن جبَل :

يَا صَانِعَ الْمَعْرُوفِ كُنْ تَارِكًا تَرَدَادِ ذِي الْحَاجَةِ فِي حَاجَتِهِ

فَشَرُّ مَعْرُوفِكَ مَمْطُولُهُ وَخَيْرُهُ مَا كَانَ مِنْ سَاعَتِهِ

لِسُكْلِ شَيْءٍ يُرْتَجَى آفَةٌ وَحَسْبُكَ الْمَعْرُوفُ مِنْ آفَتِهِ

وقال آخر :

صِلْ مَنْ أَرَدْتَ وَصَالَهُ وَإِخَاءَهُ إِنْ الْأَخُوَّةُ خَيْرُهَا مَوْصُولُهَا

وَإِذَا ضَمِنْتَ لَصَاحِبٍ لَكَ حَاجَةٌ فَادْلَمْ بِأَنْ تَمَامَهَا تَعَجِيلُهَا

وقال آخر :

لَا تَنْشُرَنَّ مَوَاعِيدًا وَتَسُدُّهَا إِلَى الْمَطَالِ فَمَا يَرْضَى بِهِ الْأَدَبُ

لَا تَطْلُبَنَّ بِمَنْعِ الْمَالِ مُحَمَّدَةً إِنْ الْحَمَامِدَ بِالْأَمْوَالِ تُكْتَسَبُ

وكان يقال : لسكْلُ شَيْءٍ آفَةٌ ، وآفَةُ الْمَعْرُوفِ الْمَطْلُ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لسكْلُ شَيْءٍ رَأْسٌ ، ورَأْسُ

المعروف تعجيله .

وفي وصية عبد الملك بن مروان لابنيه : يَا بَنِيَّ ، لَا تَعْدُوا النَّاسَ بِمَا

لَا تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ .

(١) الْأَكْرَمُ : فِعْلُ الْكَرَمِ .

ويقال إذا وعدت الرجل نائلاً ثم مطلته به فقد أوفاك ثم معروفك عنده .
وأنشدونا لِدُعْبِل بن علي الخزامي :

إِيَّاكَ وَالْمَطْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ فَانَّهُ آفَةٌ لِكُلِّ يَدٍ
إذا مطلّت امرأً بحاجتِهِ فأمض على مطله ولا تجِدِ
فلستَ تلتقاه شاكراً لِيَدِ قد كدّهما المِطْلُ آخِرَ الْأَبَدِ (١)
وللفقيمي أيضاً في مثله :

ما كَفَّ اللَّهُ نَفْساً فَوْقَ طَاقَتِهَا وَلَا تَجُودُ يَدٌ إِلَّا بِمَا تَجِدُ
فلا تعدّ عِدَةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا وَلَا تَسْكُونُ مَخْلَافاً لِمَا تَعِدُ
ولِدُعْبِل أيضاً في مثله :

وَأَرَى النَّوَالَ يَزِينُهُ تَعَجُّيلُهُ وَالْمَطْلُ آفَةٌ نَائِلِ الْوَهَابِ
وكان يقال : بذل جاه السائل ثم معروف المسائل .

وقال أكرم بن صيفي : السؤال ، وإن قل ، ثم لكل معروف ، وإن جل .
أنشدني محمد بن إبراهيم الحمداني لعل بن ثابت الكاتب :

ما اعتاض بأذل وجهه بسؤالِهِ بذلاً ولو نال الغنى بسؤالِ
وإذا السؤالُ مع النوال وزنتُهُ رجح السؤالُ وخف كل نوالِ
وقال بعض الحكماء : أخى معروفك بإماتة ذكره ، وعظمته بتصغيرك له .

أنشدني أبو العباس ثعلب لأبي يعقوب الحريري :

زاد معروفك عندي عظماً أنه عندك مستورٌ حقيرٌ
وتناساه كأن لم تأتِهِ وهو عند الناس مشهورٌ كبيرٌ

(١) كد : ألح في الطلب .

وقال عدى بن حاتم : لا يصلح المعروف إلا بثلاث : تعجيله وكتمانه وتصغيره ، لأنك إذا عجّلته هنيئته ، وإذا كتمته استهفنته ، وإذا صغّرته عظّمته .
وشرح كل ما جاء في ذلك بطول ، والاختصار أحسن من الاكثار ، وقد ذكرت معنى هذا الباب مع ما يلائمه من الاخبار في كتاب لطيف التأليف والاختصار ، هو كتاب البث والحث ، غنيا بما فيه عن الزيادة ، وعن التطويل والاعادة ، ونحن نتبع هذا الباب بما ضمناه على الحث على كتمان السر ، ليرغب فيه ذوو الأدب والقدرة ان شاء الله تعالى .

١٣ — باب الحث على كتمان السر

والترغيب في حفظ ما حنت عليه ضلوع الصدر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : استعينوا على حوائجكم بكتمان السر .

وكان يقال : سرّك من دمك ، فانظر أين تجعله .

وكان يقال : ما كتمته من عدوك فلا تطّلع عليه صديقك .

وقال المهلب بن أبي صفرة : من ضاق قلبه اتسع لسانه .

وأشددني أحمد بن يحيى لقيس بن الحداذية الخزاعي :

بَكَتْ مِنْ حَدِيثِ نَمَّهِ وَأَشَاعَهُ وَلَصَقَهُ وَاشٍ مِنَ الْقَوْمِ رَاضِعٌ^(١)

بَكَتْ عَيْنٌ مِنْ أَبْكَاءٍ لَا يَشْجُكَ الْبُكَاءُ وَلَا تَتَخَالُجُكَ الْأُمُورُ النَّوَازِغُ^(٢)

وَلَا تُسَمِّعِي سِرِّي وَسِرِّكَ ثَالِشًا إِلَّا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ ضَائِعٌ

وأشددني لبعض الطالبين :

(١) الراضع : اللّثيم

(٢) شجاء : أحزنه ، وهيجه . خالجه الأمر : شغل فكره .

أَكْفَى خَلِيلِي مَا اسْتَقَامَ بِوَدِّهِ وَأَمْنَحَهُ وَدِّي إِذَا يَتَعَتَّبُ
وَلَسْتُ بِبَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ وَلَا أَنَا مُفْشِي سِرِّهِ حِينَ أَغْضَبُ ^(١)
عَلَيْكَ يَا خَوَانِ الثَّقَاتِ فَإِنَّهُمْ قَلِيلٌ فَصَلِّهِمْ دُونَ مَنْ كُنْتَ تَصْحَبُ
وَمَا الْخِدْنُ إِلَّا مَنْ صَفَا لَكَ وَدَّهُ وَمَنْ هُوَ ذُو نَصِيحٍ وَأَنْتَ مُغَيَّبُ
إِذَا مَا وَضَعْتَ السِّرَّ عِنْدَ مُضَيِّعٍ فَذُو السِّرِّ مِمَّنْ يَضِيْعُ السِّرَّ أَذْنِبُ
وَقَالَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ : الْحَازِمُ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ مِنْ صَدِيقِهِ مَخَافَةَ أَنْ
تَبَدَّلَ صِدْقَتُهُ عِدَاوَةً فَيُذَيِّعُ سِرَّهُ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

تَوَاقَفُ مَعْشُوقَيْنِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ وَغَيْبٍ عَنْ نَجْوَاهُمَا كُلُّ كَاشِحٍ ^(٢)
وَكَلْتُ جَفُونَ الْمَاءِ عَنْ حَمْلِ مَائِهَا فَهَذَا لِمَكْتُ فَيُضْ الدَّمُوعِ السَّوَافِحُ
وَإِنِّي لَا طَوِي السِّرَّ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ وَإِنْ كَانَ لِلْأَسْرَارِ عِدَلُ الْجَوَانِحِ
وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بَعْضَ سِرِّهِ إِلَى الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، فَفُشِيَ ،
حَتَّى بَلَغَهُ ذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ يِعَاتِبُهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ مَا أَخْبَرْتُ بِهِ إِلَّا إِنْسَانًا وَاحِدًا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنَّ لِكُلِّ
إِنْسَانٍ نَصِيحًا يَفْشِي إِلَيْهِ سِرَّهُ

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ذَلِكَ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ وُشَاةَ الرِّجَالِ لَا يَتَرَكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا
فَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
وَقَالَ آخَرُ :

(٦) الْكَاشِحُ : الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ الْعِدَاوَةُ

(١) الْقَطِيعَةُ : الْهَجْرَانُ

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسر لك عند الناس أفشى وأضيع
وقال آخر :

أَمِتِ السِّرَّ بَكْتَمَانٍ وَلَا يَمْدُونُ مِنْكَ إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرَّ
فَإِذَا ضَيَّقَتْ بِهِ ذُرْعًا فَسَلَا تَكْتَمَانُ سِرَّكَ إِلَّا عِنْدَ حُرٍّ
وقيل لأعرابي استودع سرًّا ففكتمته : أفهمت ؟ قال : لا ، بل نسيت
وأخبرني أحمد بن عبيد ، قال : أخبرني ابن الأعرابي ، قال : قيل لأعرابي :
كيف كتمانك السر ؟ فقال : أجهل المُنْخَبِرِ ، وأحلف للمستخبر
وقيل لأعرابي : كيف حفظك للسر ؟ فقال : أنا لأحده
وما استحسنته في كتمان السرِّ قول كثير :

أَتَى دُونَ مَا تَخْشَوْنَ مِنْ بَثِّ سِرِّكُمْ أَخُو ثِقَةٍ سَمِلَ الْخُلَاقُ أَرْوَعُ^(١)
ضَنِينَ بِبَذْلِ السَّرِّ سَبَّحَ بِخَيْرِهِ أَخُو ثِقَةٍ عَفَّ الْوَصَالُ سَمِيدَعُ^(٢)
أَبَى أَنْ يَبْثُ الدَّهْرَ مَا عَاشَ سِرِّكُمْ سَلِيمًا وَمَا دَامَتْ لَهُ الشَّمْسُ تَطْلُعُ
وَلَهُ أَيْضًا :

كَرِيمٌ يُمِيتُ السَّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا اسْتَطَقَّوهُ عَنْ حَدِيثِكَ جَاهِلُهُ
رَعَى سِرَّكُمْ فِي مَضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ لَا تَخَافُ غَوَائِلُهُ^(٣)
وَأَكْتَمُ نَفْسِي بَعْضَ سِرِّي تَكْرُمًا إِذَا مَا أَضَاعَ السَّرَّ فِي النَّاسِ حَامِلُهُ
وقول صاحبه أيضا :

لَعَمْرِي مَا اسْتَوْدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهَا سِوَانَا حِذَارًا أَنْ تَشِيْعَ السَّرَّائِرُ
وَلَا خَاطِبَتَهَا مُقْلَتَايَ بِنَظْرَةٍ فَتَعْلَمَ نَجْوَانَا الْعَيُونَ النَّوَاطِرُ

(١) الأروع : من يعجبك بحسنه أو شجاعه . الشهم الذكي

(٢) السמידع : السيد الكريم الشريف ، الشجاع

(٣) رعى الأمر : حفظه . الغوائل : جمع غائل : الشر

وَلَسَكُنْ جَعَلْتُ اللَّحْظَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا رَسُولًا فَأَدَّى مَا تَجَنُّ الضَّمَائِرُ
ومنه قول الآخر :

لَيْمَنِكَ مِنِّي أَنَّنِي غَيْرُ مُظْهِرٍ هَوَالِكِ وَلَوْ أَشْرَفْتُ مِنْهُ عَلَى نَحْبِي
وَلَوْ أَنَّ خَلْقًا كَاتَمَ الْحُبَّ قَلْبَهُ لَمْتُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِحُبِّكُمْ قَلْبِي
وقال آخر :

لَوْ كَانَ أَمْرًا أَخْفَى الْهَوَى عَنْ عَيْنِهِ لَمْتُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ غَيْرِي
وَلَسَكُنْ سَأَلَتِي اللَّهَ وَالْقَلْبُ لَمْ يَبْعِ بِسَرِّكَ وَالْوَأَشُونَ عَنْكَ كَثِيرٌ
وقال العباس بن الأحنف :

أَيَا مَنْ سُرُورِي بِهِ شِقْوَةٌ وَمَنْ صَفْوُ عَيْشِي بِهِ أَكْدَرُ
تَجَنَّيْتُ تَطَلُّبَ مَا أُسْتَحَقُّ بِهِ الْهَجَرَ هِيَمَاتٍ لَا يُقْدَرُ
وَمَاذَا يَضُرُّكَ مِنْ شَهْرَتِي إِذَا كَانَ سَرِّكَ لَا يُشْهِرُ
أُمِّي يُخَافُ انْتِشَارُ الْحَدِيثِ وَحَظِّي فِي صَوْنِهِ أَكْثَرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بَقِيَّةٌ عَلَيَّكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ
وَأُنْشِدُنِي لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

وَمَوْتِي بِالْحَزْمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَأَسْرَارُهُ مِنْهُ بِحَيْثُ الْمُقَاتِلُ
فَلَا سِرٌّ عَنْ سَاحَةِ الصَّدْرِ نَازِحٌ وَلَا هُوَ عَنْ سِرِّ تَعْدَاةٍ سَائِلٌ^(١)
والغيره في مثله :

فَلَمَنْقَلُ الْجِبَالِ أَهْوَنُ مِنْ بَثِّ حَدِيثٍ حَنَّتْ عَلَيْهِ الضُّلُوعُ^(٢)
فَلَكَ اللَّهُ أَنَّنِي لَكَ رَاعٍ مَا بَدَأَ كَوَكْبٌ وَبَرَقَ لَمُوعٌ

(١) الساحة : الناحية . النازح : البعيد جدا . (٢) بَث : أذاع ، نشر

وأنشدني أحمد بن عبد الله ، قال أنشدني ابن الكلبي لابن أمينة :
وإني على السر الذي هو داخل إذا باح أصحاب الهوى لضموم
وإني ما استودعت يا أم مالك على قدم من عهدنا لكتوم
وقال أبو الطيب : الضموم : الممسك ، وكذلك الزميت أيضا .

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد شجيت بها خلفتها للذي أخفيت عنوانا
إني كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط الناس عريانا
وأنشدني أحمد بن يحيى بن الخطيم :

وإن ضيع الأحرار سرا فأنسى كتوم لأسرار العشير أمين
يكون له عندي إذا ما ضمنته مكان بسوداء الفؤاد مكين
وقال بشار بن برد المرعث :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا
لأخرجن من الدنيا وسرهم بين الجوانح لم يعلم به أحد
وأحسن والله الذي يقول :

يأبى لي الذم أخلاق ومكرمة مني وأذن عن الفحشاء صماء
والنجم أقرب من سرى إذا اشتملت مني على السر أضلاع وأحشاء

والذي قيل في ذلك كثير جدا ، تطول به الخطب ، ويتسع فيه القول ،
وليس قصدنا في كتابنا هذا المعنى ، وإنما تقدمنا بذكر ما شرحناه ، ونعت
ما وصفناه ، لأنه لا بد للظريف من استعمال كل ما ذكرناه من حدود الأدب
وشرائع المروءة .

واعلم أن مذهبنا في هذا الكتاب إلى معنى صفة الظرف ، وما يجب على

الظريف استعماله ، وذكر ما يجب تركه ، وما اخترعنا في كتابنا هذا علماً
من عند أنفسنا ، يجب لنا به الامتحان ، ولا يلحقنا فيه عيبٌ من عاب إن عاب ،
ولا على أنه لا يطلب لفظه ، ولا يمتنع عند معانيهم إلا معيب .

وأنشدني أحمد بن يحيى قال : أنشدني ابن السكيت :

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحٍ الْجَيْبِ وابنِ أَبٍ مَتَّهِمِ النَّيْبِ^(١)
وَرُبَّ عَيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ مشتمِلٌ مِنْهُ عَلَى الْعَيْبِ

ولسكننا ألفناه وجمعناه من أقاويل جماعة من الظرفاء والمتظرفات ، وأهل
الأدب والمروءات ، سمعناهم ورأيناهم يتكلمون به ويستعملونه ، فأحببنا أن نجتمع
ذلك ونجعله طوعاً لمن أراد سماعه ، وعلماً لمن أراد اتباعه ، وهدياً لمن أراد
رُشده ، ومناراً لمن أراد قصده ، وطيباً لمن أراد شمّه ، وأدباً لمن أراد فهمه .
وكتابنا هذا روضةٌ تتنزه فيها العقول ، وعقودٌ جوهر زينتها الفصول ،
اذ لم نخله من أخبار طريفة ، وأشعار ظريفة . وأشياء نمت إلينا من زى
ظرفاء الناس ، في الطعام والشراب والعطر واللباس ، ومذهبهم فيما اجتنبوه
من ذميم الأفعال ، واستحسنوه من جميل الشيم والأخلاق ، وسأشرح ذلك
وأبينّه باباً باباً ، لتقف عليه إن شاء الله .

١٤ — باب من الظرف

اعلم أن عماد الظرف عند الظرفاء ، وأهل المعرفة والأدباء : حفظ الجوار ،
والوفاء بالذمار ، والأنفة من العسار ، وطلبُ السلافة من الأوزار ؛ ولن
يكون الظريف ظريفاً حتى تجتمع فيه خصال أربع : الفصاحة والبلاغة ،
والعفة والنزاهة .

(١) الجيب : القلب والصدر ، يقال : ناصح الجيب ، أى صادق أمين

وسألت بعض الظرفاء عن الظرف : فقال : التودُّدُ إلى الإخوان ، وكفُّ الأذى عن الجيران .

وقال آخر : الظَّرْفُ ظَلْفٌ ^(١) النفس ، وسخاءُ السكف ، وعفَّةُ الفرج .
وأخبرني أحمد بن عبيد ، قال : قال الأصمعي ، وابن الأعرابي : لا يكون الظَّرْفُ إلَّا في اللسان ، يقال : فلان ظريف ، أي هو بليغ جيد المنطق ، ومنه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا كان اللصُّ ظريفاً لم يقطع ، أي لأنه يكون له لسان فيحتج به فيدفع عن نفسه .

قال وروى عن محمد بن سيرين أنه قال : الظرف مشتق من الفطنة .
وقال غيره : الظرفُ حُسْنُ الوجه والهيئة .

وقال بعض المشيخة : الظَّرِيفُ الذي قد تأدب وأخذ من كل العلوم فصار وعاءً لها ، فهو ظرف .

وقال أحمد بن عبيد معناه : أنه يعي أدبا وعلما ، كما يعي ظرف الشيء ما يكون فيه ، ولذلك معنى : إذا كان اللصُّ ظريفاً لم يقطع ، إذا كان واعيا للعلم لم يسرق إلا بتأول ، كما فعل الشعبي وقد دخل بيت المال فأخذ منه دراهم ، وإنما أراد به التأول لما له فيه من الحق .

وسألت بعض متظرفات القصور عن الظرف ، فقالت : من كان فصيحاً عفيفاً ، كان عندنا متكادلاً ظريفاً ، ومن كان غنياً عاهراً ، كان ناقصاً فاجراً .
وقال بعض الأدباء : الظرف ظَلْفُ النفس ، ورقة الطبع ، وصدق اللہجة ، وكتبان السر .

وسألت بعض الظرفاء فقال : الظرف في أربع خصال : الحياء والكرم ، والعِفَّةُ والورع .

(١) ظلف نفسه عن الشيء : كف عنه

وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه في هذا المعنى :

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفه حتى يكون عن الحرام عفيفاً
فاذا تورّع عن محارم ربه فمنك يدعوهُ الآنمُ ظريفاً
ومثله لبعض المتأدبين :

إن أكن طامحاً اللحاظ فاني والذي يملك العباد عفيفاً
ليس ظرفُ الظريف بالنفس لكن كل ذي عفة فذاك ظريف
وخبرت أن عبد الملك بن مروان وجد على بعض عماله فقيداً وحبسهُ
في داره ، فأشرفت عليه ابنة لعبد الملك ، فنظرت إليها ، فأنشأت تقول :

أيها الرامي بالطر ف في الطرف الحتوف^(١)
إن ترد وضلاً فقد أمة كمنك الظبي الألوف
فأجابها الفتى فقال :

إن تريني زاني العي نين فالفرج عفيف
ليس إلا النظر الفاس تن والشعر الظريف
فأجابه الجارية :

قد أردناك على أن تعتق ظبياً ألوفاً
فتأبنت فلا زلت لقيديك حليفاً

فداع الشعر : وبلغ عبد الملك ، فدعا به فزوجه إياها ، ودفعها إليه
واجتماع عبد الله بن عبد الرحمن ، الذي كان يُعرف بالقس لعبادته ،

(١) الحتوف : جمع حتف ، وهو الموت ، يقال : مات حتف أنفه ، أو حتف فيه ،
أي مات غير قتل ولا ضرب ، بل على فراشه

بِسَلَامَةٍ الْمَغْنِيَةِ، الَّتِي صَارَتْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَسَمِعَهَا وَهِيَ تُغَنِّي، فَوَقَفَ
يَسْتَمِعُ غَنَاءَهَا، فَأَدْخَلَهُ مَوْلَاهَا عَلَيْهَا، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ وَوَقَعَ بِقَلْبِهَا، فَقَالَتْ لَهُ
يَوْمًا، وَقَدْ خَلَا مَجْلِسُهُمَا: أَنَا وَاللَّهُ أَحَبُّكَ، فَقَالَ: وَأَنَا وَاللَّهُ أَحَبُّكَ،
قَالَتْ، فَأَنَا وَاللَّهُ أَشْتَهِي أَنْ أَضَعَ فِي عَلَى فَمِكَ، وَالصَّقُّ صَدْرِي بِصَدْرِكَ،
وَأُضَمِّكَ إِلَيَّ وَتَضَمَّنِي إِلَيْكَ؛ قَالَ: وَأَنَا أَشْتَهِي ذَلِكَ، قَالَتْ: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ
ذَلِكَ: فَوَاللَّهِ إِنْ الْمَوْضِعَ لَخَالَ وَمَا بِقَرَبِنَا أَحَدٌ؛ فَقَالَ: وَيَحْكُ، إِنْ سَمِعْتُ
اللَّهُ يَقُولُ: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)، فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ
تَكُونَ خَلَّتِي لَكَ فِي الدُّنْيَا مَنْقُطَعَةً فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ وَثَبَ فَانْصَرَفَ.

وَكَانَ لَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَارِيَةٌ تَدْخُلُ وَتَخْرُجُ، وَكَانَ لَهُ
مَوْذَنٌ شَابٌّ، فَكَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ لَهَا: أَنَا وَاللَّهُ أَحَبُّكَ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ
عَلَيْهَا أَتَتْ عَالِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَتْهُ، فَقَالَ لَهَا إِذَا قَالَ لَكَ ذَلِكَ: فَقُولِي: أَنَا
وَاللَّهُ أَحَبُّكَ فَهَـ^(١)، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الْفَتَى قَوْلَهُ، فَقَالَتْ لَهُ: وَأَنَا وَاللَّهُ أَحَبُّكَ فَهَـ،
فَقَالَ: تَصْبِرِينَ وَنَصْبِرُ حَتَّى يَوْفِيَنَا مِنْ يَوْفَى^(٢) الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ،
فَأَعْلَيْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَا بِهِ فَزَوَّجَهُ مِنْهَا: وَدَنَعَهَا إِلَيْهِ.

وَأَنشَدَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ لِنَفْسِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

كَمْ قَدْ ظَفِرْتُ مِنْ أَهْوَى فِيمَنْ مَعْنَى	مِنْهُ الْحَيَاءُ وَخَوْفُ اللَّهِ وَالْحَذَرُ
وَكَمْ خَسَاوَتْ مِنْ أَهْوَى فَيَقْنَعُنِي	مِنْهُ الْفِكَاهَةُ وَالتَّحْدِيثُ وَالنُّظَرُ
أَهْوَى الْمَلَاخِ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالَسَهُمْ	وَلَيْسَ لِي فِي حَرَامٍ مِنْهُمْ وَطَرُ ^(٣)
كَذَلِكَ الْحُبُّ لَا إِتْيَانَ مَعْصِيَةٍ	لَا خَيْرَ فِي لَذَةٍ مِنْ بَعْدِهَا سَقَرُ ^(٤)

(١) مه: اسم فعل مبني على السكون بمعنى انكشف

(٢) وفي الرجل حقته: أعطاه إياه تاما

(٣) الوطر: الحاجة والبهجة

(٤) سقر: علم للجنهم. والكلمة متنوعة من الصرف

ومثل ذلك قول الآخر :

تَفَنَّى اللَّذَازَةُ يَمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا من الحرام ويبقى الأثم والعارُ
تَبَقَى عَوَاقِبُ سَوْءٍ مِنْ مَغَبَّتِهَا لا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ
ومما أَسْتَحْسَنُهُ فِي الْعِفَّةِ أَيْضًا : مَا أَنْشَدَنِيهِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبُ لِبَعْضِ
نِسَاءِ الْعَرَبِ :

وَبِتَّنَا خِلَافَ الْحَيِّ لَا نَحْنُ مِنْهُمْ
وَبِتَّنَا يَقِينًا سَاقِطَ الطَّلِّ وَالنَّدَى
نَذُودُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَنَّا مِنَ الصَّبِيِّ
وَنَصْدُرُ عَنْ رِيِّ الْعَفَافِ وَرَبِّمَا
وَلَا نَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ مُخْتَلِطَانِ
مِنَ اللَّيْلِ بُرْدًا يُمْنَةً عَطِرَانِ
إِذَا كَادَ قَلْبَانَا بِنَا يَرِدَانِ
نَفِينَا غَلِيلَ النَّفْسِ بِالرَّشْفَانِ

وَأَنْشَدَنِي حَمْدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبُ :

أَحْبَبُّكَ لَأَمِنْ رِيْبَةٍ كَانَ بَيْنَنَا
أَحْبَبُّكَ إِنْ خُبِّرْتُ أَنَّكَ فَارِكُ
أَحَبُّ فَتَاةٍ أَنْ تُشَاغِبَ زَوْجَهَا
وَلَا نَسَبٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَابِكُ
لَعَسْمَرِي أَنْي مُوَلِّعٌ بِالْفَوَارِكِ
وَإِنْ لَمْ أَنْلِ مِنْ وَصْلِهَا غَيْرَ ذَلِكَ

قال أبو الطيب : الفارك : المبغضة لزوجها ، يقال : قد فركت المرأة زوجها
تَفْرُكُهُ إِذَا أَبْغَضَتْهُ ، وَهِيَ فَارِكٌ ، وَالرَّجُلُ مَفْرُوكٌ .

ومثله قول الحسين بن مطير :

أَحْبَبُّكَ يَا سَلَمَى عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ
وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُ الْآخَرِ :

أَتَأْذَنُونَ لِصَبٍّ فِي زِيَارَتِكُمْ
لَا يَفْعَلُ الشُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ
فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
عَفَّ الضَّمِيرُ وَلَسَكُنَ فَاسِقُ النَّظَرِ

وقال محمود الوراق :

إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبًّا لَا لِفَاحِشَةٍ وَالْحُبُّ لَيْسَ بِهِ فِي اللَّهِ مِنْ بَاسٍ ^(١)

وأنشدني بعض الأدباء ، قال أنشدني أعرابي ببلاد نجد :

وَيَوْمَ كَأَيْبِهِمُ الْحُبَّارَى قَطَعَتْهُ بِمَقْمَعَةٍ وَالْقَوْمُ فِيهِمْ تَحَرُّفٌ

إِذَا مَا هَمَمْنَا صَدَّ زَيْ نَفُوسِنَا كَمَا صَدَّ دِينَ بَعْدَ التَّهَمُّمِ يَوْسُفُ

قال أبو الطيب قوله : كَأَيْبِهِمُ الْحُبَّارَى : يريد نهاية ما يكون من القصر .

وأنشدني آخر :

مَا الْحُبُّ إِلَّا قُبَيْلٌ وَغَمَزُ كَفٍّ وَعَضْدٌ

أَوْ كُتِبَ فِيهَا رُقَى أَنْفَذَ مِنْ نَفْثِ الْعُقَدِ ^(٢)

مَا الْحُبُّ إِلَّا هَكَذَا إِنْ نِكَحَ الْحُبُّ فَسَدَ

مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا عِفَّةٍ فَأَيْنَمَا يَبْغَى الْوَلَدُ

ومن ذلك قول بُشَيْنَةَ الْجَمِيلِ ، وقد قال لها : هل لك يا بُشَيْنَةُ أَنْ نَحْقُقَ قَوْلَ

النَّاسِ فِينَا ؟ فَقَالَتْ لَهُ : مَهْ ، دَعْ حُبَّنَا مَكَانَهُ ، إِنْ الْحُبُّ إِذَا نِكَحَ فَسَدَ .

ودخلت بُشَيْنَةُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهَا : وَاللَّهِ يَا بُشَيْنَةُ مَا أَرَى

فِيكَ شَيْئًا مِمَّا كَانَ يَقُولُ جَمِيلٌ ! قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ كَانَ يَرْنُو إِلَى بَعْضَيْنِ

لَيْسَتْ فِي رَأْسِكَ ، قَالَ : وَكَيْفَ صَادَفْتِيهِ فِي عِفَّتِهِ ؟ قَالَتْ : كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ،

حَيْثُ يَقُولُ :

لَا وَالَّذِي تَسْجُدُ الْجَبَاهُ لَهُ مَا لِي بِمَا دُونَ ثَوْبِهَا خَبِيرٌ

وَلَا بِفِيهِمَا وَلَا هَمَمْتُ بِهِ مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ

وقيل لأعرابي : هل زينتَ قط . قال معاذ الله إنما هما اثنتان : إما حرة
أنف لها من فسادها ، وإما أمة أنف لنفسى من فسادى أياها .

وروى عن ابن سهل بن سعد الشاعر قال : دخلتُ على جميل بن معمر
العُذرى وهو عليل ، وإني لأرى آثار الموت على وجهه ، فقال : يا ابن سهل
أتقول إن رجلا يلقى الله لم يسفك دما حراما ، ولم يشرب خمرًا ، ولم يأت بفاحشة ،
أترجو له الجنة ؟ قالت : أى والله ، فمن هو ؟ قال : إني لأرجو أن أكون
أنا ذلك الرجل ، قلت : بعد زيارتك بثينة وما تحدث به عنك ؟ فقال : والله
إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة ولا نالني شفاة
محمد صلى الله عليه وسلم ان كنتُ حدثتُ نفسي فيها بريية ^(١) قط ، قال :
فما انقضى يوده حتى مات .

وقال الأصمعي : كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق جالسين بفناء
الكعبة ، فمرت بهما امرأة من ربيعة . وقيل من آل أبي سفيان ، فدعا عمر
بكتفٍ فكتب فيها :

ألمّا بذات الخال فاستطلعنا لنا على العهد باقٍ ودُّها أم تصرّما ^(٢)
وقولا لها إن النوى أجنبيّة بنا وبكم قد خفت أن تقتمما ^(٣)

فقال له ابن أبي عتيق : ما تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل
هذا ؟ فقال : أترى ما سيرت في الناس من الشعر ، ورب هذه البيعة ما قبل
منها وما دبر ما قولات امرأة قط ما لم تقبله ، ولا طالعت فرج حرام قط
وقيل لكثير عزة : هل نلت من عزة شيئا طول مدتك ؟ فقال : لا والله

(١) الريّة : الشك والتهمة (٢) العهد : الوفاء . تصرم : تقطع وانقطع

(٣) النوى : البعد . أجنبيّة : بعيدة شاقة . تقتما : يصير هواها تبميا

الأنَّهُ رُبَّما كان يشتدُّ بِي الأمر فأخذ يدها فأضعها على جبينِي . فأجد لذلك راحةً .

وقال أعرابي ، وخلا بامرأة كان يتعشقهما : ما زال القمر يُرينيها فلما غاب أرتثيه . قيل : فما كان بينكما؟ قال : أقصَى ما أحلَّ الله وأدنى ما حرم الله عزَّ وجلَّ ، إشارةً في غير باس ، ودنو في غير مساس ، وأنشأ يقول :

وَلَرُبَّ لَذَةٍ لَيْلَةٍ قَدْ نَلَيْتُهَا وَحَرَامِهَا بِحُلَاظِهَا مَدْفُوعٍ
قال أعرابي من فزارة : عشقت جارية من الحى ، فإدتها سنين كثيرة .
والله ما حدثت نفسي بريبة قط ، سوى أن خلوت بها فرأيت بياض كفِّها في سواد الليل ، فوضعت كفي على كفِّها ، فقالت : مه ، لا تفسد ما صلح .
فأرفض^(١) جبينِي عرقاً ولم أعد .

(واعلم) أن الظرف ليس بمستغنى عنه ، ولا هو مما يُخلُّ منه ، ولا يُعَفِّ فيه صاحبه ، ولا يفنِّد عليه طالِّبه ، بل هو أنبل ما استعمله العلماء ، وصبا إليه الأدباء ، وتزينوا به عند أودائهم^(٢) ، وتحلَّوا به عند أخلائهم^(٣) وربما تكلفه قوم ليس من أهله فظرف ، وعاناه فلطف ، وأنه من المطبوعين أحسن منه من المتكافين ، وللمتكلف علامات تظهر في حركاته ، وتبين في لحظاته ، لا يسترها بتصنعه ، ولا تتغيَّب بتستره ، وإن المطبوع على الظرف ليَشْهَدُ له القلب عند معاينته بحلاوته ، وتسكن النفس عند لقائه الى مجالسته ، وتصبو الى محادثته ، وترتاح الى مشاهدته ، وهو بين في شمائله^(٤) ظاهر في خلائقه^(٥)

(١) أرفض : سال وترشش .

(٢) الأوداء : جمع الوديد وهو الحب

(٣) الأخلاء : جمع الخليل وهو الصديق المختص

(٤) الشمائل : جمع الشمال والشميلة . أى الطبع

(٥) الخلائق : جمع الخليقة وهى الطبيعة

بين في منطقته ، غير مستتر عند صمته ، دلائله واضحة في مشيئته وزيه ولفظه ،
يُستدل عليه بظاهر حركة الملاحظة دون اختبار باطن الخلاوة ؛ ألا ترى أن
من زيهم التقرّز والنظافة والملاحة واللطافة واطهار البزة وطيب الرائحة ،
فالتفوس اليهم تائقة^(١) ، والقلوب وامقة^(٢) ، والعيون رامقة^(٣) ، والأرواح
عاشقة ، وإن من زيهم الوقار والخشوع ، والسكون والخضوع ، والتصنع
بالأخلاق الوضيّة ، والشيم السنية ، والمذاهب الجميلة ، والهمم الجميلة ، وما
يُستدل به على كمال أدبهم ، ويعرف به رجحان هممهم : كثرة استعمالهم
الهوى ، وطول معاناتهم الجوى^(٤) ، وهو من أحسن مذاهبهم ، وأجل
مناقبهم ؛ ولنا نقول إن الهوى ليس بفرض على ذوى العقل ، كما قال ذو التقصير
والجهل ، بل هو من أوكبر الفرض عليهم ، وأثبت الحجّة للمتفرس الناظر
اليهم على حسن تركيب الطباع والغرائز ، وصفاء جواهر الهمم والنحائر^(٥)
إذ هو عند ذوى العلوم والأحكام ، من أجمل مذاهب الأدباء والكرام ،
وقال محمود الوراق في ذلك ، إذ كان الحبّ عنده كذلك :

ألم تعلم فـداك أبى وأُمّى بأنّ الحبّ من شيم الكرام
وليس يخلو أديب من هوى ، ولا يعرى من ضنى ، لأن الهوى كما وصفته
العلماء ، وكما قال فيه الحكماء : إنه هو أول باب تفتق به الأذهان ، وينفسح
به الجنان ، وإنه سورة^(٦) في القلب ، يحيا بها اللب ، وقد يشجّع الجبان
ويسخّي البخيل ، ويطلق لسان العى ، ويقوى حزم العاجز ، ليأنس به

(١) تائقة : مشتاقة

(٢) وامقة : محبة

(٣) رمتة : أطال النظر إليه

(٤) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق

(٥) النحائر : جمع النحيظة أى الطبيعة ، يقال : فلان كريم النحيظة

(٦) السورة : الحدة والشدة

الجليس ، ويمتنع به الأنيس ، وينذل له العزيز ، ويخضع له المتجبر ، ويبرز له كل محتجب ، وينقاد له كل ممتنع ، وهو أمير مطاع ، وقائد متبع ، وليس بأديب عندهم من خرج من حد الهوى ، وقد قال الأحوص بن محمد الأنصاري :
 إذا أنت لم تعشق ولم تدّر ما الهوى فكن حَجَرًا من يابس الصخر جَلَمَدًا
 هل العيش إلا ما تَلَدَّ وتشتبهى وإن لآم فيه ذو الشنان وفندأ^(١)
 واجتاز رجل بمجنون بنى عامر ، وهو يخوض سور الحوض ، فقال له :
 ما بك يافتي ؟ ولم يعرفه ، فأنشأ يقول :

بِـ اليأسِ أو داءِ الهيامِ أصابني فأيساك عني لا يكن بك ما ييا
 قال أبو الطيب : الهيام : داء يأخذ الأبل وتشرب الماء ولا تروى ،
 ويقال للأبل التي يصيبها ذلك : الهيم : قال الله جل ثناؤه : « فَشَارِبُونَ شُرْبَ
 الْهِيمِ » ، فعرفه ، فقال : أعاشق أنت ؟ قال : نعم ، وأنشأ يقول :
 إذا أنت لم تعشق فتصبيح هائمًا ولم تك معشوقًا فأنت حمار
 وقال :

الحبّ أولُّ ما يكون لـ حاجةً تأتي به وتسوقه الأقدارُ
 وروينا عن الهزنادي ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : كانوا لا يرون
 بالعشق بأسًا في غير ريبة .

وقيل لبعض البصريين : إن ابنك قد عشق ، فقال : وما بأس به ، إنه
 إذا عشق : نظف ، وظرف ، ولطف .

وقيل لبعض العرب : متى يكون الفتى بليغا ؟ قال : إذا وصف هوى حَبَّاء .

(١) الشنان : البغض مع عداوة وسوء خلق

وأنشدني بعض الأدباء :

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى وما خير فيمن لا يحب ويعشق

وقال آخر :

وما تلفت إلا من العشق مهجتي وهل طاب عيش لا يرى غير عاشق

وقال آخر :

وما خير في الدنيا إذا أنت لم ترز حبيباً ولم يطرِب إليك حبيب

وقال آخر :

وما سرّني أني خلى من الهوى ولا أن لي ما بين شرق إلى غرب

وأعلم أن أول علامات الهوى على ذى الأذنب : نحول الجسم ، وطول

السقم^(١) ، واصفرار اللون ، وقلة النوم ، وخشوع النظر ، وادمان الفكر ،

وسرعة الدموع . واهتزاز الخشوع ، وكثرة الأنين ، وإعلان الحنين ،

وانسكاب العبرات ، وتتابع الزفرات ؛ ولن يخفى المحب وإن تسرّ ،

ولا ينكتم هواه وإن تصبّر ، ولن يغبي ادعاء أنه قد قارن العشق والهوى ،

لأن علامات الهوى نائرة ، وآيات الادعاء ظاهرة . وقد قال

الأحوص الأنصاري :

ما عالج الناس مثل الحب من سقم ولا برى مثله عظماء ولا جسداً

ما يلبث الحب أن تبدو شواهدُه من المحب وإن لم يُبْدِه أبداً

وقال آخر :

ما يعرف الحزن إلا كل من عشقاً وليس من قال إنني عاشق صدقاً

للعاشقين نحول يُعرفون به من طول ما حالفوا الأحزان والأرقا

(١) السقم : المرض

وحدثت عن الزبير بن بكار ، قال : رأيت رجلاً بناحية الشجر عليه أثر ذلة وخضوع ، واستكانة وخشوع ، كان يُكثِر التنفس ، ويخفي السكوت ويبدى الأنين ، وحركات الحب لا تخفى في شمائله ، ولا يسترها بتصاونه . فسأله في بعض أيامه وقد خلوت به عن حاله ، فكان جوابه ، وقد تحدّرت الدموع من عينيه :

أنا في أمرى رشاد بين غزو وجهاد
بدنى يغزو عدوى والهوى يغزو فؤادى
وركت سكينه ابنة الحسين بن علي ذات ليلة في جواربها ، فمرت بعروة ابن أذينة الليثي وهو في فناء قصر ابن عيينة ، فقالت لجواربها : من الشيخ ؟
اقبلوا عروة ، فعدلت إليه ، فقالت : يا أبا عامر : أنت ترعم أنك لم تعشق قط ، وأنت تقول :

قالت وأبشثها وجدى فبحث به قد كنت عندي تحب السّتر فاستتر
ألسّت تبصر من حولى ، فقلت لها : غطى هوائك وما ألقى على بصري ؟
كلّ من ترى حولى من جوارى أحرار ان كان خرج هذا الكلام من قلب سليم قط .

فهذان قد كتبا هواهما ، فنمت شواهد نجواهما ، لأن من اغتمس^(١) في بحر الهوى ، نمت عليه شواهد الضنى^(٢)

فأما أهل الدعاوى الباطلة ، الذين ليست أجسامهم بناحلة ، ولا ألوانهم بحائلة ، ولا عقولهم بذاهلة ، فهم عند ذوى الفراسة يكذبون ، وعند ذوى الظرف لصحتهم يوبخون

وقد روى أن العباس بن الأحنف قال : بينا بالطواف إذا بثلاث

(٢) الضنى : المرض والهزال

(١) اغتمس الماء : غاض فيه

جوار أتراب^(١) فليما أبصرني قلن ، هذا العباس ، ودنت إلى إحداهن ،
فقالت : يا عباس أنت القائل :

ماذا لقيت من الهوى وعذابه طلعت على بليّة من بابه ؟
قلت : نعم ، قالت كذبت يا ابن الفاعلة ، لو كنت كذلك كنت كائناً ،
ثم كشفت عن أشاجع^(٢) مَعْرَاةٍ من اللحم ، وأنشأت تقول :

ولمّا سكوت الحبّ قالت كذبتني فمالي أرى الأعضاء منك كواسياً
فلا حبّ حتى يُلصق الجلد بالحشى وتخرس حتى لا تجيب المنادياً^(٣)
ودخل ابراهيم بن المهديّ على أمير المؤمنين ، وكان أنجل^(٤) البطن ، كثير
اللحم والشحم ، فقال له المأمون : بالله يا عمّ عشقت قط ؟ قال : نعم يا أمير
المؤمنين ، وأنا الساعة عاشق ! قال : وأنت على هذه الجئّة ، والشحم الكثير ؟
ثم أذن المأمون يقول :

وجّهه الذى يعشق معروف لأنه أصفر منحوف
ليس كمن أمسى له جئّة كأنه للذبح معلوف
فأجابه ابراهيم بن المهديّ :

وقائل لست بالمحبّ ولو كنت مُحِبّاً لذبت من زمن
فقلت قلبي مكاتم بدني حبي فالحب فيه مُحْتَزَن
أحبّ قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام في السمن

(١) الأتراب : جمع التراب ، وهو الصديق . أو من ولد معه

(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف ، أو هى عروق

ظاهر الكف ، واحدها أشجع

(٣) الحشى : مادون الحجاب مما فى البطن من كبد وطحال وكرش .. الخ واجمع احشاء

(٤) الأنجل : الواسع الطويل العريض ، واجمع نجل ونجال

هذان أيضا قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهدُ النظر ، ولم يحز ادعاؤهما على
ذى المعرفة والبصر . وقول ابراهيم : أحب قلبي ومادري بدني ، محال لا يعلق
القلب فيسلم الجسم ، ولكنه لا استحيائه قد احتج بحجة ضعيفة ، وأنشدني
بعض المشيخة في مثل ذلك :

وقائلة ما بال جِسمِكَ سالماً وَعَمَدِي بأجسام المحبين تَسْقَمُ
فقلت طبا قلبي لجُسمي لم يَبُحْ بِحَيِّ جِسمي بالهوى ليس يعلم
فالعرب تَدح بالضمر ، وتذم بالسمن ، وتنسب أهل النحول إلى الأدب
والمعرفة . وأهل السمن إلى الفدامة ^(١) وقلة الفهم .

وللفلاسفة والأطباء في ذلك قول يثبت ما ادعت العرب ، وزعموا أن
من غلب عليه البلغم عظم جسمه ، وكثر شحمه ولحمه ، وقل فهمه ، وطال سباته ،
وانعقد لسانه ، لغلبة البلغم على فهمه ، واحتواء الرطوبة على لُبّه ، ومن كان أغلب
مزاجاته المرّة خف جسمه وقل لحمه ، وذاب شحمه ، وحسن ذهنه ، وصح
فهمه ، لأن النحول علامة المتفرسين ، ودلالة المتوسمين ^(٢) لا يكاد أن تخطيء
فيه الفراسة ، ولا تكذب فيه العياقة ، لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على
صاحبه ، وابتناء قراره في مركبه ، وربما أنجب السمن ، وخاب الهزال ،
ولا يكون ذلك إلا في الفرد الشاذ من الرجال .

ومن أمثال العرب في ذلك : البطنة تذهب الفطنة .

وروى أن جميل بن معمر العذري صحبه رجل من عذرة وكان بطينا كولا ،
فجعل يشكو اليه هوى ابنة عم له ، فأنشأ جميل يقول :

وقد رابني دن جعفر أن جعفرأ ملسح على قرص ويشكو هوى جميل
فلو كنت عذري الهوى لم تكن كذا بطينا وأنساك الهوى كثرة الأكل

(١) الفدامة : الحمق (٢) توسم الشيء : تفرسه ، وتعرفه

(٣) البطنة : الامتلاء المفرط من الأكل

وَمَنْ عَشِقَ عِنْدَهُمْ ، فَلَمْ يَنْحَلْ جَسْمَهُ ، وَلَمْ يَطْلُ سَقْمَهُ ، وَيَتَبَيَّنَ الْحُشُوعُ
فِي حَرَكَتِهِ ، وَالذُّلُّ فِي نِعْمَتِهِ ، نَسْبُوهُ إِلَى فُسَادِ الطَّبْعِ ، وَنَقْصَانِ اللَّبِّ ، وَبُعْدِ
الْفَهْمِ ، وَمَوْتَ الْقَلْبِ ؛ وَمَنْ ادَّعَى الْحُبَّةَ ، فَلَمْ يَنْحَلْ وَلَمْ يَسْهَرْ ، وَلَمْ يَخْشَعْ ،
وَلَمْ يَذُلَّ وَلَمْ يَخْضَعْ ، وَلَمْ يَحْمِلْ نَفْسَهُ عَلَى الْأُمُورِ الْمُتَعَبَةِ وَالشَّدَائِدِ الْفَظِيحَةِ ،
وَيَرْكَبَ فِيهَا الْمَرَاقِبَ الْوَعِرَةَ ، وَيَتَقَدَّمَ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْمَهُولَةِ ، وَالْأَهْوَالِ
الْمَخُوفَةِ ، الَّتِي يَلَاقِي فِيهَا الْمَوْتَ ، وَيَعَايِنُ فِيهَا الْفُوتَ ، وَيَبَاشِرُ فِيهَا الْهَلَكَةَ ،
وَيُغَرَّرُ فِيهَا بِالْمُهْجَةِ ، وَيَصْبِرُ عَلَى حَتْفِهِ ، وَيَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ ، وَيُرَدُّ الْمَوَارِدُ الَّتِي
يَلَاقِي فِيهَا الْمَوْتَ ، وَيَشْرَفُ مِنْهَا عَلَى مَهُولِ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ تَلْفُهُ وَحَيْنُهُ ،
وَحَتَّى يَعْصِي فِي هَوَاهِ الْأَقَارِبِ ، وَيَعَالِجُ فِيهِ الْعَجَائِبَ ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ الْعَرَجِيُّ :

كَمْ قَدْ عَصَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَتَنَصِّحٍ دَانِي الْقَرَابَةِ أَوْ وَعِيدِ أُعَادِي
وَتَسْوُفَةٍ أَرْمِي بِنَفْسِي عَرْضَهَا شَوْقًا إِلَيْكَ بِأَلْهَادِيهِ هَادِي^(١)
وَكَمَا قَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :

كَمْ جَشِمْنَا دُونَ سَلَمَى مَهْمَهَا نَازِحَ الْغُورِ إِذَا الْآلُ لَمَعَ^(٢)
وَكَذَاكَ الشَّوْقُ مَا أَشْجَعَهُ يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَيَعْصِي مَنْ وَزَعَ^(٣)

فَلَيْسَ بِعَاشِقٍ عِنْدَهُمْ ، وَلَا يَثْبِتُ لَهُ اسْمُ الْهَوَى ، وَلَا يَلْحَقُ بِالظُّرْفَاءِ ،
وَلَا يُعَدُّ فِي الْأَدْبَاءِ ؛ لِأَنَّ الْهَوَى عِنْدَهُمْ فِي النَّحُولِ وَالذَّهُولِ ، وَالضَّنَى وَالْعَنَاءِ ،
وَالْأَرْقِ وَالْقَلَقِ ، وَالسَّهْرِ وَالْفِكَرِ ، وَالذُّلِّ وَالْخُضُوعِ ، وَادْمَانِ الْبُكَاءِ ،
وَقِلَّةِ الْعِزَاءِ ، وَكَثْرَةِ الْآلَيْنِ ، وَطُولِ الْحَنِينِ ؛ وَلَيْسَ بِعَاشِقٍ مَنْ خَرَجَ عَنْ

(١) التَّنَوُّفَةُ : الْبَرِيَّةُ لَا مَاءَ فِيهَا وَلَا أَنْيْسَ .

(٢) جَشِمَ الْأَمْرَ : تَكَلَّفَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ . الْمَهْمَةُ : الْمَفَازَةُ الْبَعِيدَةُ ، أَوْ الْبِلَدُ الْمَقْفَرُ ،
النَّازِحُ : الْبَعِيدُ جِدًّا . الْغُورُ : مَا انْخَدَرَ وَاطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ ، الْآلُ : السَّرَابُ وَهُوَ
مَا يَشَاهَدُ فِي النَّهَارِ مِنْ اشْتِدَادِ الْحَرِّ كَأَنَّهُ مَاءٌ .

(٣) وَزَعَهُ : كَفَّهُ وَمَنْعَهُ .

هذه الصفات ، وانتقل من هذه الحالات ، أو وُسِمَ^(١) بغير هذه العلامات ،
وعُرف بغير هذه الدلالات ، أنشدني بعض الأدباء :

علامة من كان الهوى في فؤاده إذا ما لقي أحبابه يتحيراً
ويصفر لون الوجه بعد احمراره فإن حركوه للكلام تشوراً^(٢)
أنشدني أبو الحسن بن الرومي :
أرى ماءً وبى عطش شديد
ولكن لا سبيل إلى الورود^(٣)
أما يكفيك أنك تملكيني وأن الخلق كلهم عبيدي
وأنت لو قطعت يدي ورجلي لقلت من الهوى أحسنت زيدي
وحدثت عن ابن مخارق عن أبيه قال : كنّا عند المأمون يوماً ، فقام
فدخل إلى حرمة ، وخرج وعيناه تذرفان ، فقال لي : يا مخارق تغنّ لي
بهذين البيتين :

سلام على من لم يطق عند يمينه سلاماً فأومى بالبنان المخضب^(٤)
فما استطعت إلا بالبكاء جوابه وذلك جهد المستهام المعذب
لحفظتهما وتغنيت بهما ، فجعل يبكي ، وينتحب في بكائه ويزفر ، ثم قال
لنا : أتدرون ما قصتي ؟ قلت : أمير المؤمنين أعلم ، وإن شاء أعلنّا ! قال :
إنني دخلت إلى بعض المقاصير ، فرأيت جارية لي كنت أجد بها وجداً^(٥)
شديداً ، وهي للهوت ، فسلمت عليها ، فلم تطرد السلام ، فأشارت بأصبعها ،
فغلبتني العبرة^(٦) ، وأرهقني الزفرة^(٧) ، فخرجت من عندها ، فحضرني هذان

(١) وُسِمَ : كواه وجعل له علامة يعرف بها

(٢) تشور : أوما (٣) ورد الماء : صار إليه وبلغه .

(٤) البين : الفرقة . (٥) الوجد : المحبة .

(٦) العبرة : الدمعة ، أو الحزن بلا بكاء .

(٧) الزفرة : التنفس مع مد النفس .

البَيْتَانِ مِنْ بَابِ قَصْرِهَا إِلَى بَابِ مَجْلِسِي ، ثُمَّ أَمَرَ بِرَفْعِ الشَّرَابِ ، فَمَا رَأَيْتُ
يَوْمًا أَكْذَرَ مِنْهُ .

وَأَنْشَدْتُ لِلْمُعْتَصِمِ فِي بَعْضِ جَوَارِيهِ :

أَيَا مُنْقَذِ الْغَرَقِ أَجْرُنِي مِنَ الَّتِي بِهَا نَهَلْتُ رَوْحِي سَقَامًا وَعَلَّتْ^(١)
لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَدَى الْعَيْنِ مِنْ سَائِي التُّرَابِ لَضُنَّتِ^(٢)
وَأَنْشَدْتُ لِلْمُتَوَكِّلِ فِي جَارِيَةِ لَهُ :

أَمَّا زُحْمُنَا فَتَغَضُّبُ ثُمَّ تَرْضَى وَكُلُّ فَعَالِهَا حَسَنٌ جَمِيلُ
فَإِنْ تَغَضُّبُ فَأَحْسَنُ ذَاتِ دَلٍّ وَإِنْ تَرْضَى فَلَيْسَ لَهَا عَدِيلُ
حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْفَضْلِ الرَّبْعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ قَالَ :
حُمِّ الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِعَقَبِ شَرْرٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَبِيحَةٍ ، فَرَمَاهَا
بِمَخْدَةٍ فَغَضِبَتْ وَاحْتَجِمَتْ ، فَخُفَّتْ بِعَقَبِ ذَلِكَ ، وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَإِذَا الْفَتْحُ
قَائِمٌ فِي يَدِهِ قَارُورَةٌ فِيهَا الْمَاءُ ، وَيُحْيِي بِنَاسِوِيَّةٍ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : لَيْسَ
أَرَى إِلَّا مَا أَحَبُّ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشَدَكَ أَيْيَاتَا ؟ فَقَالَ لِي :
أَنْشِدْ ، فَأَنْشَدْتُهُ :

تَنْكَرَ حَالِ عَلَّتِي الطَّيِّبُ فَقَالَ : أَرَى بِجَسْمِكَ مَا يُرِيبُ
جَسَسْتُ الْعَرَقَ مِنْكَ فَدَلَّ عِنْدِي عَلَى دَاءٍ لَهُ شَأْنٌ عَجِيبُ
فَمَا هَذَا الَّذِي بَكَ هَاتِ قُلِّي فَكَانَ جَوَابُهُ مَنَى النَّحِيبُ
بِجَسْمِي بِالْحَبِيبِ بُلَى سَقَامًا وَقُلْتُ يَا طَيِّبُ هُوَ السَّكِينُ
فَرَّكَ رَأْسَهُ وَدَنَا إِلَيَّ وَقَالَ : الْحُبُّ لَيْسَ لَهُ طَيِّبُ

(١) نَهَلَ : شَرِبَ أَوَّلَ الشَّرْبِ . عُلَّتْ : سَقَامًا سَقِيًا بَعْدَ سَقَى .

(٢) الْقَدَى : مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ مِنْ تَبَنَةٍ وَنَحْوِهَا . سَائِي التُّرَابِ : تَذَرَى وَتَبَدَّدُ .

فأعجبني تظرفه عليّ فقلت: بلى إذا رضى الحبيب
فقال: هو الشفاء فلا توان فقلت: أجل ولكن لا تجيب
ألا هلم مسعد يبكي لشجوى فإنني هاهنا أبداً غريب

فضحك ، ودعا بالشراب وشرب ، وشربنا معه ، ووجهه إلى قبيحة ،
فوقع الصلح بينهما ، وخرجت عندها رقعة بخط فضل الشاعرة :

لأصبرن على ما بي من المضض حتى أموت ولا يشعربى الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه إن الشكاة لمن يهوى هى الياس
ولا أبوح بسر كنت أكتمه عند الجليس إذا ما دارت الكاس

وأما من عشق من الشعراء ، فما يحصرهم عدد ولا يحصيهم أحد .

وقد عشق أكثر العرب ، بل كلهم قد عشق ، فمن المذكورين منهم
المشهرين بالصبوة والغزل ، فقيس مجنون بن عامر عاشق ليلي ، وقيس بن
ذريح عاشق لبنى ، وتوبة بن الحير عاشق ليلي الأخيلية ، وكثير عاشق
عزة ، وجميل بن معمر عاشق بثينة ، والمؤمل عاشق الدلفاء ، ومرقش عاشق
أسماء ، ومرقش الأصغر عاشق فاطمة بنت المنذر ، وعروة بن حزام عاشق
عفراء ، وعمر بن عجلان عاشق هند ، وعلي بن أديم عاشق منهلة ، والمهذب
عشق لذة ، وذو الرثة عاشق مية ، وقابوس عاشق منية ، والمجبل السعدي
عشق الميلاء ، وحاتم طي عاشق ماوية ، ووضاح الين عاشق أم البنين ،
والغمر بن ضرار عاشق جمل ، والنمر بن تولب عاشق خزة ، وبدر عاشق
نعم : وشميل عاشق فالون ، وبشر عاشق هند ، وعمر وعشق دعد ، وعمر بن
أبي ربيعة عاشق الثريا ، والأحوص عاشق سلامة ، وأسعد بن عمرو عاشق
ليلى بنت صيفى ، ونصيب عاشق زينب ، وسحيم عبد بن الحساس عاشق عهيرة ،

وعبيد الله بن قيس عشق كثيرة ، وأبو العتاهية عشق عتبة ، والعباس بن الأحنف عشق فوز ، وأبو الشيص عشق أمانة .

فهؤلاء قليل من كثير ممن عشق ، وإنما اقتصرنا على ذكر بعضهم دون بعض ، ليقال به الخطاب ، ويحسن به الكتاب ، ولكل واحد منهم سبب في حبه ، وحديث في عشقه ، يطول شرحه ، ويكثر وصفه .

ونحن مفردون لأهل العشق كتابا نذكر فيه أخبار المتيمين ، ومُلح المتعشقين ، وأشعار المتغزلين ، مع جملة من صفات الهوى في كتاب المقتفى إن شاء الله تعالى .

وقد شمر أيضا بالصبوة والغزل جماعة من شعراء العرب ، منهم أبو كثير الهذلي ، وأبو صخر الهذلي ، وأبو دهبيل الجحفي ، وريسان العذري ، والصمة بن عبد الله القشيري ، وابن أذينة ، وابن الدمينية ، وابن الطائية ، وابن ميادة ، والحسين بن مطير ، إلى آخرين لا يحصيه العدد ، ولا يبلغهم الأمد ؛ وقد ضرب في عروة بعشقه المثل ، لأنه كان أطولهم صبوة ، وأكثرهم في العشق كثرة .

أنشدني أحمد بن يحيى ، لأبي وجزة السعدي^(١) :
وفي عروة العذري ، إن مت أسوة وعمر بن عجلان الذي فتنت هند^(٢)
وبني مثل ما ماتا به غير أني إلى أجل لم يأتني وقته بعد
هل الحب إلا عبدة بعد زفرة وحر على الأحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين بالليل كلما بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو^(٣)

(١) يروي هذا الشعر لقيس بن ذريح .

(٢) يروي : وعمر بن عجلان الذي قتلت هند

ويقال : إنه طلق زوجته هنداً وندم فوات أسفا عليها .

(٣) يروي : وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال كثير :

وأصبحتُ مما أحدث الدهرُ خاشعاً
وعُرْوَةُ لم يلقَ الذي قد لقيتهُ
وكنْتُ لربِّ الدهرِ لا أتخشعُ
بعفراء ، والنهدى ما أتفجعُ

وقال جرير :

هل أنتِ شاقيةٌ قلباً يهيمُ بكمُ
لم يلقَ عُرْوَةُ من عفراء ما وجدا
وقال أيضاً :

بالعنبرية والنحيت أوانسُ
هل لا نهيتك إذ قتلن مرَّ قشاً
قدن الهوى بتخلُّبٍ وعِدامٍ^(١)
أما صنعن بعُرْوَةَ بن حزام
وقال الأحوص الأنصاري :

لا شكَّ أن الذي بي سوف يقتلني
أحببتُها فوتغتُ الناس كلهم
لو قاس عُرْوَةُ والنهدى وجدَّهما
إِنْ كان أهلك حبُّ قبله أحداً
يا رب لا تشفني من حبِّها أبداً^(٢)
لكان وجدى بسعدى فوق ما وجداً
وقال أيضاً :

إذا جئتُ قالوا قد أتى وتهامسوا
فعرْوَةُ سنَّ الحبَّ قبلى إذ شق
وقال جميل بن معمر :

وما وجدتُ وجدى بها أمٌ واحدٍ
ولا وجد العذرى عُرْوَةَ إذ قضى
ولا وجد النهدى وجدى على هِنْدٍ
على أن من قدمات صادف راحة
كو جدى ولا من كان قبلى ولا بعدي
وما لفؤادى من رواحٍ ولا رُشدٍ^(٣)

(١) اختلبه : خدعه بلطف الكلام . العدام : اللوم . (٢) وتغ : ساء خلقه .

(٣) الرواح : وجدان السرور الحادث من اليقين . الرشد : الهداية والاستقامة .

وقال مروان بن أبي حفصة :

أُرْدَيْنَ عُرْوَةَ وَالْمَرْقُشَ قَبْلَهُ

ولقد تركن أبا ذؤيب هائماً

وتركن لابن أبي ربيعة مَنْطِقاً

وأشدني عمرو بن قناب لنفسه :

إن الأولى ماتوا على دين الهوى

قيس وعمرؤ والمرقش قبلهم

ندبوا الطلول لأهلها لأنهم

ولبعض المتأدبين :

يا عذولي قد هويت فكفأ

مات قيس وعروة وجميل

وقال جميل بن معمر :

قد مات قبلي أخونهد وصاحبه

وكلمهم كان في عشق منيته

إن لم تئلني بمعروف تجود به

وقد أحسنت والله امرأة من خثعم إذ تقول :

فأقسم أني قد وجدت بجحوش

فما أنا إلا مثلها غـير أني

وأحسن الذي يقول :

عجبت لعروة العذرى أضحي

وعروة مات موتاً مستريحاً

وأخا بني نهيد تركن قتيلاً

ولقد قتلان كثيراً وجميلاً

فبين أصبح سائراً محمولاً

وجدوا المنية منهملاً معسولاً

كانوا لتنزيل الهوى تأويلاً

عشقوا مغاني أربع وطولاً

إني بالهوى المميت رضيت

وأراني بموتهم سأموت

مرقش واشتقى من عروة الكمد

وقد وجدت بها فوق الذي وجدوا

أويدفع الله عني الواحد الصمد

كما وجدت عفراء بابن حزام

معلقة نفسى ليوم حكام

أحاديثاً لقوم بعند قوم

وكيف هبت في كل يوم

وبلغنا أن منهم من عشق صورة في حُمام ، وخيالاً في منام ، وكفأ في حائط ، ومثلاً في ثوب ؛ والعشق ألوان وأنواع ، وضروب وفنون ، وأمره غريب ، وقال بعض الشعراء :

أبيت كأتى للكوكب عاشقُ فأكثر همى أن تزل الكواكبُ
عجبت لما يلقى من العشق أهله وفيما يلاقى العاشقون عجائبُ
وبلغ العشق من عروة بن حزام أن أفرده ببلائه ، وعذبه بدائه ، وأنسه بانفراده ، وشرده عن بلاده .

وحكى عن ابن أبي عتيق قال : بينا أنا أسيرُ في أرض بني عذرة ، إذا أنا ببیتٍ حريرٍ ، فدنوت منه ، فاذا عجوز تمرّض شاباً ، وقد نهكته العلة ، وبانت عليه الذلة ، فسألتها عن خبره ، فقالت : هذا عروة بن حزام ، فدنوت منه ، فسمعتُه يقول :

من كان من أمهاتي با كياً لغدٍ فاليوم إني أراني اليوم مقبوضاً
تسمعني فإني غير سامعٍ اذا علوت رقاب القوم معروضاً

فقلت : أنت عروة بن حزام ؟ قال : نعم ، أنا الذي أقول :

جعلت لعراف اليمامة حُكمهُ وعرفاني نجدٍ إن هما شفياني
فقالا : نعم تُشفى من الداء كله ، وقاما مع العوادِ يبتدِراكَ
فما تركا من سلوةٍ يعلمانها ولا شربةٍ إلا بها سقياني
فقالا : شفاك الله ، والله مالنا بما حملت منك الضلوع يدانِ
فلهفي على عفرَاءٍ لهفأ كأنه على النحر والأحشاء حد سنانِ
فعفرَاءُ أحظى الناسِ عندي مودةً وعفرَاءُ عني المعرض المتواني

ثم خفق خفقةً ، فتوهمت أنها غشبية ، فتنتحيت عنه ، ودنت العجوز منه ،
فما برحت حتى سمعت الصيحة ، فاذا هو قد فارق الدنيا .

وبلغ العشق أيضا من مجنون بنى عامر أن أخرجه إلى الوسواس
والهيمان^(١) ، وذهاب العقل وكثرة الهذيان ، وهبوط الأودية وصعود
الجبال : والوطء على العوسج وحرارة الرمال ، وتمزيق الثياب ، واللعب
بالتراب ، والرمي بالأحجار ، والتفرد بالصحارى ، والاستيحاء من
الناس والاستئناس بالوحش ، حتى كان لا يعقل عقلا ، فاذا ذكرت ليلى
ثاب إليه عقله ، وأفاق من غشيته ، وتجلت عنه غمرته^(٢) ، وحدثهم عنها أصح
الرجال عقلا ، وأخلصهم ذهنًا ، لا ينكرون من حديثه شيئا ، فاذا قطع ذكرها
رجع إلى وسواسه وهذيانه ، وتماديه في ذهاب عقله .

وقد حكى عنه في أول ابتداء وسواسه أنه قيل لأبيه : لو أخرجت قيسا
أيام الموسم ، وأمرته بأن يتعلق بأستار الكعبة ، ويقول : اللهم أرخني من
حب ليلى ، لعل الله كان يريحه من ذلك ، ففعل ، فلما طاف بالببيت أمره
فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : قل اللهم أرخني من حب ليلى ، فقال : اللهم
زدني ليلي حبا إلى حبها وأرني وجهها في خير وعافية ، فضربه أبوه ،
فأنشأ يقول :

ذَكَرْتُكَ وَالْحَجِيجُ لَهُ ضَجِيجٌ بِكَكَّةٍ وَالْقُلُوبُ لَهَا وَجِيبٌ^(٣)
فَقُلْتُ وَنَحْنُ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ بِهِ لِلَّهِ أَخْلَصْتُ الْقُلُوبُ
أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنُ عَمِلْتُ فَقَدْ تَظَاهَرَتْ الذُّنُوبُ

(١) هام على وجهه هيانا : ذهب لا يدرى أين يتوجه .

(٢) غمرة الشيء : شدته .

(٣) وجب القلب : رجف وخفق .

وأما من هوى ليلى وترى
وكيف وعندها قلبي رهين
وقال أيضا :

دعا المحرمون الله يستغفروا
وقلت لرب الناس أول سألت
فإن أعط ليلى في حياتي لا يتب
وقال أيضا :

فلو أن ما بي بالخصى فلق الخصى
ولو أنى أستغفر الله كلما
وبات في بعض ليالى حجة تحت شجرة ، فانتبه بنوح حمامة ، فأنشأ يقول :
لقد هتفت في جنح ليل حمامة
فقلت اعتذاراً عند ذاك وإنتى
أزعم أنى عاشق ذو صبا
كذبت وبنت الله لو كنت عاشقاً
وسمع هاتفاً من الليل وهو ينادى : يا ليلى ، نخر مغشياً عليه ، ثم أفاق
وهو يقول :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من مني
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه
عرضت على قلبي العزاء فقال لي :
فهيح أحزان الفؤاد وما يدرى
وليلي بأرض عنه نازحة قفر^(٢)
من الآن فاجزع لا أعزك من صبر

(١) الفتن : الغصن المستقيم . (٢) أسخن عينه وبعينه : أنزل به ما يبكيه .

إِذَا بَانَ مَنْ تُهَوَّى وَأَسْلَمَكَ النُّوَى فُفْرَقَةٌ مِنْ تَهْوَى أَحْرَمٍ مِنَ الْجَهْرِ ^(١)

وقال أيضا :

فَلَيْتَ نِكَ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَلَوْ أَنَّهُ صَدَى بَيْنَ أَحْجَارٍ لَظَلَّ يُجِيبُهَا

وقد أحسن إذ حكم على صدى في رسمه باجابة لدعوتها ، والمبادرة الى تلبيةها ؛ وهكذا فلتكن غلبة العشق ، وصدق الهوى ، ومثل ذلك قوله أيضا :

لَمَسْتُ ثِيَابِي إِنْ قَدَرْتُ ثِيَابَهَا وَلَمْ يَنْهَنِي عَنْ مَسِّهِنَّ حَرَامُهَا

ولو شِدَّتْنِي حِينَ تَحْضُرُ مِيتِي جَلَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ عَنِّي كَلَامُهَا

ومثل ذلك قول الآخر :

وَلَوْ كَلَّمْتُنَا بَيْنَ زَمْرٍ وَالصَّفَا وَبَيْنَ حُطَيْمِ الْبَيْتِ أَصْبَى كَلَامُهَا ^(٢)

وَلَوْ مَكَّشْتُ بَعْدَ التَّطَّاعِ سَاعَةً بِمَكَّةَ وَلَاَهَا الصَّلَاةَ إِمَامُهَا

وَلَوْ نَطَقْتُ وَالْمَوْتَ يَجْرِي ظِلَامُهُ لَجَلَّى ظِلَامَ الْمَوْتِ عَنِّي ابْتِسَامُهَا ^(٣)

ومثله قول جميل بن معمر :

حَلَفْتُ يَمِينًا يَا بُثَيْنَةَ صَادِقًا فَإِنْ كُنْتُ فِيهَا كَاذِبًا لَعَمِيتُ

حَلَفْتُ لَهَا بِالْبُذْنِ تَسْدِي نَحُورَهَا لَقَدْ شَقِيتُ نَفْسِي بِكُمْ وَعَنِيتُ ^(٤)

فَلَوْ أَنَّ جِلْدًا غَيْرَ جِلْدِكَ مَسَّنِي وَبَاشَرَنِي دُونَ الشَّعَارِ شَرِيتُ ^(٥)

(١) بَانَ عَنْهُ : انقطع عنه وفارقه . النوى : البعد .

(٢) حطيم البيت : حطيم مكة ، وهو ما بين الركن والباب ، وقيل : هو الحجر المخرج منها ، سمي به لأن البيت رفع وترك هو محطوما ، وقيل لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت به من الثياب فبقى حتى حطم بطول الزمان ، فيكون فعिला بمعنى فاعل .

(٣) جَلَى الْأَمْرَ عَنْهُ : كشفه عنه .

(٤) البدن (بضم النون وسكونها) : جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها .

(٥) الشعار : ما يمس الجسم من اللباس . شري الرجل : غضب .

ولو أنَّ داعٍ منك يدعوك جنازتي وكنتُ على أيدي الرجال حبيبت
ومثله قول الأعشى :

عهدى بها في الحى قد سُرِّبَتْ صفراءُ مثل المهرة الضامِر
لو أسندت ميتا إلى نحرها عاش ولم يُنقل إلى قابر
حتى يقول الناسُ ممَّا رأوا يا عجباً لبيت النّاشِر
قد حَجَمَ الثَّدْيُ على نحرها في مُشرقٍ ذى بهجة زاهر
ومثله قول المجنون أيضا :

ولو كنتُ أعمى أَخْبَطُ الأرض بالعصا أصمٌّ فنادتني أجبتُ المناديا
وأشهد عند الله أني أحبُّها فهذا لها عندى فما عندها ليا

قال : وسرق هذا المعنى جميل بن عبد الله بن معمر ، فقال :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تقودنى بُثينةُ لا يخفى على كلامها
فهؤلاء قد زعموا أنَّ كلام النساء يجلو العمى ، ويسمع الصم ، ويحيى
الميت ، ويدفع الموات ، وينشر القبور من قبل أوان النشور .
وقد قال بعض الأعراب : إنَّ من كلام النساء ، ما يقوم مقام الماء ،
فيروى من الظماء .

وقال آخر : حلاوة نغم النساء في الآذان ، ألدُّ من موقع الماء العذب
من العطشان .

وقال القطامي في مثل ذلك :

وفي الجدور غماماتُ برقن لنا حتى تصيدننا من كلِّ مُصطاد
قتلنا بحديثٍ ليس يعالجه من يتقين ولا مكروهه بادي

وَهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُ بِهِ مواقع الماء من ذى الغلة الصّادى^(١)
وعمر بن أبى ربيعة يقول فى سَكِينَةٍ بنت الحسين بن على رضى الله عنهما :
أَسْكِينِ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَبَرْدُهُ منى على ظمأ وحُبِّ شراب
بأحبّ منك وإن نأيتِ وقلّ ما ترعى النساء أمانة الغِيَاب
ولبعض المتأدبين فى مثله :

والله ما شربةً من ماء غاديةٍ اذا ظمئتُ وكرُب الموت يغشاني
أَلَذُّ من شربةٍ من فيك أسمعها تلك الشفاء لقلب الهائم العاني
وروى أن عمر بن أبى ربيعة قال : أتتني امرأتان فى أيام غزلى ، فجعلت
احدهما تُسرّ إلى سرّاً ، والأخرى تعصّنى ، فما شعرتُ بعضةٍ هذه من لذة
سرار هذه .

ودخل كُثَيِّرٌ على عبد الملك بن مروان ، فقال : يا كُثَيِّرُ حدّثنى ببعض
أخبار جميل ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، لقيتُ جميلاً ذات يوم ، فقال :
هل لك فى المسير معى نحو بُثينة ؟ قلت : نعم ، فسايرته ، حتّى دنا من
موضعها ، فقال : تصير اليها فتعلمها ، كانى ، فمضيت فأعلمتها ، فأقبلت فى نسوة
من الحى ، فلما رأيته انصرفن عنها ، وتنحيت عنهما ، فلم يزل من أول الليل
إلى أن رهنهما الصبح قائمَيْن فى أقداهما ، فلما عزمنا على الافتراق قالت :
أدن منى يا جميل ، فدنا منها ، فأسرّت إليه سرّاً ، فخرّ مغشياً عليه ، فما أيقظه
الاحرُّ الشّمس ، فأفاق وأنشأ يقول :

فما ماءٌ مَزَنٍ من جبالٍ مُنيفةٍ ولا ما أكنّنت فى معادنها النّخل

بأشهى من القول الذى قلت بعدما
تسكن فى حيزٍ ومناقى الرُّحل^(١)
وقال جرير أيضا :

ولقد رمينك يومَ رُحْنٍ بأُعينٍ
ويَنطقُ شَغَفَ الفؤادِ كأنَّه
يقتلن من خَلَلِ السُّتورِ سواجي^(٢)
عسلٌ يَجْدُنَ به بغيرِ مزاجٍ
وقال الفرزدق :

إذا هُنَّ ساقِطُنَ الحديثَ كأنَّه
تراهنَّ من فَرَطِ الحياءِ كأنَّها
جنى النَّحلِ أو أبكارَ كَرَمٍ تَقَطَّفُ^(٣)
مراضُ سَلالٍ أو هَوَالِكُ زُفٍّ
وليس يمكن أن يكون ذلك عندهم كذلك .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم — من وجوه شتى بأحاديث
صحّت عن الثقات ، ونقلت عن الرواة — : إنَّ حبك للشئ يعمي ويصم .
وليس بعجب ما قال المجنون وأشباهه من غلبة العشق عليهم ، وقد قال
غيره أعظم مما قاله وأقطع وأجل ، ولقد رأينا وسمعنا وخبرنا أن منهم من
قتل نفسه غرقاً وذبحاً وخنقاً ، كل ذلك أسفاً وحسرةً وتلهفاً .

فمن ذلك ما حكى عن شيخ حضر مجلس العتي ، فأخبرهم أنه حضر مجلساً
فيه قينة وفقى ، وكان الفقى ، يهوى القينة ، وكانت القينة تهوى ابنة الشيخ ،
وابنة الشيخ تهوى الفقى ، فغنت القينة :

(١) الحيزوم : الصدر ، وقيل : وسطه . الرحل : ما يجعل على ظهر البعير كالسرج
(٢) الخلال : المنفرج بين الشئيين . السواجى : جمع ساجية ، وعين ساجية : فاترة
النظر ، أى ساكنة لينة .

(٣) ساقطة الحديث : تكلم الواحد وسكت الآخر بالتناوب . أبكار كرم : عنى
السكرم البكر الذى لم يحمل قبل ذلك .

علامةٌ ذُلُّ الهوى على العاشقين البسكا

ولا سِيَّما عاشق إذا لم يجدْ مُشْتَكِي

فقال لها الفتى . أحسنتِ والله ياسق ، أتأذنين لى أن أموت ؟ قالت : مُتْ راشدا ، فوضع رأسه على الوسادة ، وغمض عينيه ، فخر كنهاه ، فوجدناه ميّتا ، قال الشيخ : فخر جئنا متعجبين من ذلك ، وصرتُ إلى منزلى ، فأعلمتهم ما كان من قصة الفتى ، ونظرتُ إلى ابنتى وقد حاضرت ، فدخلتُ مجلسا لى ، فدخلتُ وراءها ، فاذا هى متوسدة على مثال ما كان عليه الفتى ، فخركتها فاذا هى ميّنة ، فغدونا بجنازتها ، وغدوا بجنازة الفتى ، فاذا بجنازة ثالثة ، فسألنا عنها ، فاذا هى جنازة القيمة ، وبلغها موت ابنتى ، فصنعت مثل ذلك فماتت ، فدفنّا ثلاثة بموت واحد فى موضع واحد ؛ وهذا من عجيب ما سُمع به فى هذا الامر .

ومن ذلك ما أخبرنى أبو العِيْناء قال : حدثنى عمرو بن بحر الجاحظ قال : ذُكِرْتُ لأَمير المؤمنين المتوكل لتأديب ولده ، فلما نظر إلى استبشع منظرى ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى ، فخرجتُ فلقيتُ محمد بن ابراهيم ، وهو يريد الانحدار إلى مدينة السلام ، فعرض على الانحدار معه ، وقرّبتُ حراقة^(١) ، ودعا بطعامه وشرابه ، ونصب ستارته ، وأمر بالغناء ، فاندفعت عوادة له تمنى :

كلّ يوم قطيعةٌ وعتابٌ ينقضي دهرُنا ونحنُ غضابُ

ليست شعرى أنا خصّصتُ بهذا دون ذالخلق أم كذا الأحياب ؟

(١) الحراقة : السفينة فيها مرأى نيران يرمى بها العدو .

ثم سكنت ، وأمر طنبورية فغنت :

وَارْحَمْنَا لِلْعَاشِقِينَ مَا إِن أَرَى لَهُمْ مَعِينًا
كَمْ يُجَرِّونَ وَيُظْلِمُونَ ن وَيَقْطَعُونَ فِيصْبِرُونَا
وَتَرَاهُمْ مِمَّا بِهِمْ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ خَاشِعِينَ
يَتَجَلَّدُونَ وَيُظْهِرُونَ ن تَجَلَّدًا لِلشَّامِتِينَ

قالت لها العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : يصنعون هكذا ، وضربت بيدها على الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فِلَقَةٌ قمر ، فزجت بنفسها إلى الماء ، قال : وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال ، وبيده مذبة ، فلما رآها وما صنعت ألقاها من يده ، وأتى إلى حيث رمت بنفسها ، فنظر إليها وهي تمور بين الماء فأنشأ يقول :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتَنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَ

وزج نفسه في أثرها ، فأدار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقين ، ثم غاصا ولم يريا ، فهال ذلك محمدا واستفظعه . وقال للجراحظ : يا عمرو لتحدثني بحديث يسكن عني فعل هذين ، وإلا ألحقتهك بهما ! قال الجراحظ : فيحضرني خبر سليمان بن عبد الملك ، وقد قعد للبظالم ، وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها : إن رأى أمير المؤمنين أطل الله بقاءه ان يخرج إلى فلانة ، يعنى جارية من جواريه ، حتى تغنيى ثلاثة اصوات فعَل ، فاغتاظ من ذلك سليمان وأمر من يخرج اليه فيأتيه براسه ، ثم اتبع الرسول برسول آخر فأمر ان يدخل الرجل إليه ، فأدخل ، فلما مثل الرجل بين يديه ، قال له : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : الثقة بحملك ، والاتكال على عفوك ، فأمره بالقعود حتى لم يبق أحد من بنى امية ، ثم امر فأخرجت الجارية ومعها عودها ثم قال له : اختر ، قال له : قل لها تغنى بقول قيس بن الملوّح :

تَعَلَّقُ رَوْحِي رَوْحَهَا قَبْلَ خَلْقِهَا وَمِنْ بَعْدِ مَا سَكَنَّا نِطَافًا وَفِي الْمَهْدِ ^(١)
 فَعَاشَ كَمَا عِشْنَا فَأَصْبَحَ نَامِيًا وَلَيْسَ وَإِنْ مَتْنَا بِمَنْقُضِ الْعَهْدِ ^(٢)
 وَلَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَسَاءَ لَنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ
 يَكَادُ فَضِيضُ الْمَاءِ يَخْدِشُ جِلْدَهَا إِذَا اغْتَسَلَتْ بِالْمَاءِ مِنْ رِقَّةِ الْجِلْدِ ^(٣)
 وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى رِيحِ جَنِبِهَا كَمَا اشْتَاقُ إِذْ رِيسٌ إِلَى جَنَّةِ الْحُلْدِ
 فَغَنَّتْهُ ، فَقَالَ سَلِيمَانُ : قُلْ ، قَالَ : تَأْمُرُ لِي بِرَطْلٍ ، فَأَمَرَ لَهُ بِرَطْلٍ فَشَرِبَهُ ،
 ثُمَّ قَالَ : تَغْنَى بِقَوْلٍ جَمِيلٍ :

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدًا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
 وَأَفْنَيْتُ عَمْرِي فِي انْتِظَارِ نَوَالِهَا وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ
 فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِهَا جِئْتُ طَالِبًا وَلَا حُبُّهَا فِيهَا يَبِيدُ يَبِيدُ
 إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةَ قَاتِلِي مِنْ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
 ثُمَّ قَالَ : تَغْنَى بِقَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ :

لَقَدْ كُنْتُ حَسْبَ النَّفْسِ لَوْ دَامَ وَدَّنَا وَلَكِنَّا الدُّنْيَا مَتَاعٌ غُرُورِ
 وَكُنَّا جَمِيعًا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ النَّوَى بِأَنْعَمِ حَالٍ غَبَطَةٌ وَسُرُورِ
 فَمَا بَرِحَ الْوَاشُونَ حَتَّى بَدَتْ لَنَا بُطُونُ الْهَوَى مَقْلُوبَةً لِظُهُورِ

فَتَغَنَّتْ ، فَقَالَ لَهُ : قُلْ ، قَالَ : تَأْمُرُ لِي بِرَطْلٍ ، فَمَا اسْتَتَمَهُ حَتَّى وَثَبَ إِلَى
 أَعْلَى قُبَّةِ سَلِيمَانَ ، ثُمَّ زَجَّ بِنَفْسِهِ عَلَى دِمَاغِهِ فَمَاتَ ؛ فَقَالَ سَلِيمَانُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
 إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَتُرَاهُ تَوَهَّمُ الْجَاهِلَ أَنْنِي أُخْرِجُ إِلَيْهِ جَارِيَتِي وَأُرُدُّهَا إِلَيَّ وَلَسْكَى ؟

(٢) النطاف : جمع النطفة : ماء الرجل أو المرأة .

(١) انقضب : انقطع .

(٣) الفضيض : ما انتشر من الماء عند صبه .

خذوا بيدها فانطلقوا بها الى أهله ، إن كان له أهل ، والا فبيعوها وتصدقوا بها عنه ؛ فلما انطلقوا بها نظرت الى حفرة في دار سليمان ، قد أُعِدَّت للبئر ، فجذبت نفسها وأنشأت تقول :

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلَيْمَتْ هَكَذَا لَا خَيْرَ فِي الْعِشْقِ بِلَا مَوْتٍ
وَزَجَّتْ بِنَفْسِهَا فِي الْحَفْرَةِ عَلَى دِمَاعِهَا فَمَاتَتْ ؛ فَسُرِّيَ عَنْ مُحَمَّدٍ ، وَأَحْسَنَ صَلَةَ الْجَا حِظِّ .

١٥ — بَابُ مَنْ مَاتَ مِنْ شِدَّةِ الْفَقْرِ

وَتَضَعُضَعَتْ أَعْضَاؤُهُ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ

حُكِيَ لَنَا عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدَى ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ قَالَ : حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَالَ : خَرَجْتُ فِي طَلَبِ نَاقَةٍ لِي ، فَوْرَدْتُ عَلَى مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ طِيٍّ ، فَإِذَا بِعَسَاكِرِينَ أَحَدَهُمَا قَرِيبٌ مِنَ الْآخَرِ ، وَإِذَا فِي أَحَدِ الْعَسَاكِرِينَ شَابٌّ مَذْنُفٌ قَدْ نَسِكَتْهُ الْعِيْلَةُ ، فَهُوَ كَالشَّنِّ الْبَالِي ، فَدَنَوْتُ لِأَعْرِفَ خَبْرَهُ ، فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ :

أَلَا مَا لِلْمَلِيحَةِ لَا تَعُودُ أَجُلُّ بِالْمَلِيحَةِ أَمْ صَدُودُ
مَرْضْتُ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعًا فَمَا لَكَ لَا تَرَى فِيمَنْ يَعُودُ
فَقَدْتُكَ بَيْنَهُمْ فَتَلَفْتُ شَوْقًا وَفَقَدْتُ الْإِلْفَ يَا أُمْلَى شَدِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ الْمَقِيمَةَ كُنْتُ أَسْعَى إِلَيْكَ وَلَمْ يُنْهِنِي الْوَعِيدُ (١)

قَالَ فَسَمِعْتُ كَلَامَهُ ، فَبَادَرْتُ نَحْوَهُ ، وَبَدَرْنَاهَا النِّسَاءُ فَتَعَكَّفْنَ بِهَا ، فَأَحْسَنَ بِهَا ، فَوَثَبَ مَبَادِرَا نَحْوَهَا ، فَخَبَسَهُ الرِّجَالُ ، فَجَعَلَتْ تَجْذِبُ نَفْسَهَا مِنَ النِّسَاءِ ، وَيَجْذِبُ نَفْسَهُ مِنَ الرِّجَالِ ، حَتَّى التَّقِيَا فَاعْتَنَقَا وَبَكِيَا ، ثُمَّ شَهَقَا نَحْرًا مِيتَيْنِ ،

(١) نَهْنَه عَنْ الشَّيْءِ : كَفَّهُ عَنْهُ وَزَجَرَهُ .

فخرج شيخ من بعض الأخبية ، فوقف عليهما ، فاسترجع ، ثم قال : رحمكما الله ،
أما والله لقد كنت لم أجمع بينكما في حياتكما لأجمعن بينكما بعد موتكما ، فأمر
بهما فكفنا في كفن واحد ، ودفنا في قبر واحد ، فسألت عنهما ، فقال :
هذه بنتي وهذا ابن أخي ، بلغ بهما الحب ما ترى .

ومن ذلك أيضا ما حكى عن اسحاق الرافقي قال : كنت في مجلس بالرقّة
في عدة من الظرفاء ، وجماعة من القيان ، ومعنا فتى كاهياً من رأيت من الفتيان ،
وعليه أثر ذلة الهوى ، يُدِيم الأنين والبكاء ، فتغنّت إحداهن :

إِنِّي لَا بُغْضَ كُلِّ مُصْطَبِرٍ عَنْ إِنْفَسِهِ فِي الْوَصْلِ وَالْهَجْرِ
الصَّابِرُ يَحْسُنُ فِي مَوَاطِنِهِ مَا لِلْفَتَى الْحَزُونِ وَالصَّابِرِ
فنظر إليها الفتى وتبادرت عبراته ، ثم وثب على قدميه ووضع يده على
رأسه وقال :

غدا يكثر الباكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بُعداً
ثم رمى بنفسه فسقط مجدلاً من قامته ، فوثبنا إليه فحملناه ميتاً .
ومن ذلك ما حكى عن جميل بن معمر العذري أنه دخل على عبد الملك بن
مروان ، فقال له : يا جميل حدثني ببعض أحاديث عذرة ، فانه يبلغني أنهم
أصحاب أدب وغزل ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن آل بذيمة انتجعوا الحى ،
وقطعوا بلداً آخر ، فخرجت أريدهم ، فغلطت الطريق ، وجننى الليل ، ولاحت
لى نار ، فقصدتها حتى دنت ، ووردت على راعٍ فى أصل جبل قد ألقا غنمه
الى كهف فى الجبل ، فسألت فردّ على السلام ، وقال : أحسبك قد ضللت
الطريق ، قلت : قد كان ذاك فأرشدني ، قال : بل انزل حتى تريح ظهرك وتبيت
ليلتك ، فإذا أصبحت وقفتك على الطريق ، فنزلت ، فترحب بى وأكرمى ،
وعمد الى شاة فذبحها ، وأجج ناراً وجعل يشوى ويلقى بين يدي ، ويحدثني

في خلال ذلك ، ثم قام بازار كان معه فقطع به جانب الحباء ، وهدى الى جانبها ، وترك جانباً خالياً ، فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكو الى شخص كان معه ، فأرقت له ليلتي ، فلما أصبحت طلبت الأذن فأبى ، وقال : الضيافة ثلاث ، فأقمت عنده ، وسألته عن اسمه ونسبته وحاله ، فانتسب لي ، فاذا هو من بني عذرة وأشرافهم ، فقلت : يا هذا وما الذي أحلك هذا الموضع ؟ فأخبرني أنه يهوى ابنة عم له وتهواه ، وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه ، منه لِقْلَة ذات يده ، وأنه زوجه رجل من بني كلاب ، فخرج بها عن الحى فأسكنها في موضعه ذلك ، وأنه تنكر ورضى أن يكون راعياً له لتأتيه ابنة عمه ، فتراه ويراه ، وجعل يشكو إلى صبا بته بها وشدة عشقه لها ؛ حتى إذا جئنا الليل وحان وقت مجيئها جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالمتوقع لها ، فأبطأت عن الوقت وغلبه الشوق ، فوثب قائماً وأنشأ يقول :

ما بال مَيَّة لا تأتي لِعَادِهَا	أهاجها طَرَبٌ أم صَدَّها شُغْلُ
لكن قَلْبِي لا يُلِمِيهِ غَيْرُهُمْ	حَتَّى المَمَاتِ ولا لي غَيْرُهُمْ أَمَلُ
لو تَعْلَمِينَ الَّذِي بِي من فِرَاقِكُمْ	لما اعْتَمَلْتُ ولا طَابَتْ لَكَ العِلَلُ
رُوحِي فدَاؤُكَ قد هَيَّجَتْ لي سَقَمًا	تَكَاد من حَرِّهِ الأَعْضاء تَنْفَصِلُ
لو أن عَادِيَهُ مَنِّي على جَبَلٍ	لزال وانهدَّ من أركانهِ الجَبَلُ

ثم قال : يا أخا بني عذرة ، مكانك حتى أعود إليك ، فإنني أتوهم أن أمراً عرض لابنة عمي ، ثم مضى فغاب عن بصرى ، فلم يلبث أن أقبل وعلى يديه شيء محمول ، وقد علا شهيقه ونحيبه ، فقال : يا أخا بني عذرة ، هذه بنت عمي أرادت أن تأتيني فاعترضها السبع فأكلها ، ثم وضعها عن يده ، وقال : على رسلك حتى أعود إليك ، ومضى فأبطأ حتى يئست من رجوعه ،

ثم أقبل ورأس الأسد على يده ، فوضعه وجهه ينسكت على أسنانه ، وهو يقول :

ألا أيُّها اللَّيْثُ الْمُخِيلُ بنفسه هَبِلْتُ لَقَدْ جَرَّتْ يَدُكَ لَنَا حَرْزَنَا^(١)
وَعَادَرْتُني فَرْدًا وَقَدْ كُنْتُ آفِيًا وَصَيَّرْتَ بَطْنَ الْأَرْضِ ثُمَّ لَنَا سِجْنًا
ثم قال : يا أخا بني عُذْرَةَ ، إنك ستراني بين يديك ميتاً ، فإذا أنا مت ،
فاعمد إليّ وإلى بنت عمي فادرجنا في كفن واحد ، واحفر لنا جدياً واحداً
وادفنا فيه ، واكتب على قبري هذين البيتين :

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا وَالْعَيْشُ فِي مَهَلٍ وَالشَّمْلُ يَجْمَعُنَا وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ بِالتَّشْتِيتِ الْفَتَنَا فَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا السَّكْفَنُ
وَرُدَّ الْغَنَمَ عَلَى صَاحِبِهَا ، وَأَعْلَمَهُ بِقَصَّتِنَا ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى خِنَاقِ فَطْرَحِهِ فِي
عُنُقِهِ ، فَنَاشَدَتْهُ اللَّهُ أَلَّا يَفْعَلَ ، فَأَبَى ، وَجَعَلَ يَخْنُقُ نَفْسَهُ حَتَّى سَقَطَ بَيْنَ يَدَيْ
مَيْتَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ كَفَّنَتْهُ وَابْنَةُ عَمِّهِ كَمَا أَمَرَنِي ، وَدَفَنْتَهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ ،
وَكَتَبَتْ الْبَيْتَيْنِ عَلَى قَبْرِهِمَا ، وَرَدَدَتْ الْغَنَمَ عَلَى زَوْجِهَا وَأَعْلَمَتْهُ بِقَصَّتِهِ ،
فَجَعَلَ يَأْكُلُ كَفِّهِهِ أَسْفَاً أَلَّا يَكُونَ جَمْعٌ بَيْنَهُمَا فِي حَيَاتِهِمَا ؛ فَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ
كَثِيرٌ جَدًّا .

وروى عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : كُنَّا عِنْدَ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ،
وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا عُذْرِيُّ بَلِّغْنِي أَنَّ فِيكُمْ رِقَّةً
وَعَزْلاً ، فَأَخْبَرَنِي بِبَعْضِ ذَلِكَ ، قَالَ : لَقَدْ خَلَّفْتُ فِي الْحَيِ ثَمَانِينَ مَرِيضًا
دَنَفْنَا عَشَقًا مَا بِهِمْ غَيْرُ الْحَبِّ قَدْ خَامَرُ قُلُوبَهُمْ .

(١) هَبِلْتُ : فَهَيْتُ ، هَلَكْتُ .

١٦ — باب من وصف الحب

وما فيه من شدة المرارة والسكر

واعلم أن الحب — مع ما فيه من المرارة والنكد ، وطول الحسرات
والسكمد — مستعذب عند أربابه . مستحسن عند أصحابه ، حلو لا تعدله

حلاوة ولا تعدله مرارة ، قال السكيت بن زيد :

الحب فيه حلاوة ومرارة سائلٌ بذلك من تطاعم أودق
ما ذاق بُوسَ معيشةٍ ونعيمها فيما مضى أحدٌ إذا لم يعشق
وقال آخر :

يا أيها الدنفُ المعذبُ بالهوى إني بأحوالِ الهوى أعلمُ
الحبُّ صاحبه يبيتُ مسهداً ويطير عنه فؤاده ويهيمُ
الحبُّ داءٌ قد تضمنَ في الحشا بين الجوانح والضلوع مُقيمُ
الحبُّ لا يخفى وإن أخفيتَه إن البكاءَ على الحبِّ نمومُ
الحبُّ فيه حلاوةٌ ومرارةٌ والحبُّ فيه شقاوةٌ ونعيمُ
الحبُّ أهونُ ما يكون مبرحٌ والحبُّ أصغرُ ما يكون عظيمُ^(١)

أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

سَلَنْتَنِي عَنِ الْحَبِّ يَا مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ مَا أَطْيَبَ الْحَبِّ لَوْلَا أَنَّهُ نَكْدُ^(٢)
طَعْمَانٍ حُلُوٍّ وَمُرٍّ لَيْسَ يَعْدِلُهُ فِي حَلْقٍ ذَائِقُهُ مُرٌّ وَلَا شَهْدُ

وأنشدني إبراهيم بن محمد الواسطي لنفسه :

سَلَنْتَنِي عَنِ الْحَبِّ فَإِنِّي بِهِ أَعْلَمُ ذِي وَطْءٍ عَلَى نَعْلِ

(١) برح به الأمر : أتعبه وآذاه أذى شديداً . (٢) النكد : الشد يد العسر

طعمان ضِدَّان ، فُستَعَذَّبُ
ولبعض المتأدبين أيضا في مثله :
سَلَّني عن الحبِّ يامن ليس يعلمه
أنا الذي بالهوى ما زلتُ مشتَهراً
الحبُّ أوله عَذْبٌ مذاقته
كَمْ تَيَّم الحبُّ أقواماً وذَلَّهم
أنشدني ابن أبي الرعد :

مَنْ كَانَ لَمْ يَذْرِ مَا حُبُّهُ وَصَفَتْ لَهُ
الحبُّ أوله عَذْبٌ وَآخِرُهُ
إِنْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدْ
مثل الحزازة بين القلب والكبد^(٢)

أنشدني الوليد بن عُبيد البحرى لأبي العتاهية .

أَخْلَى بِي شَجْوٌ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجْوُ
أَذَابَ الْهَوَى جَسْمِي وَلِحْيَ وَقْوِي
رَأَيْتَ الْهَوَى جَمَرَ الْغَضَى ، غَيْرَ أَنَّهُ
وَمَا مِنْ حُبٍّ نَالَ مِمَّنْ يُحِبُّهُ
قال وأنشدني ابن أبي الدنيا :

الحبُّ يَتْرَكَ مَنْ أَحَبَّ مَدْلَهَا
الحبُّ أَهْوَنُهُ ثَقِيلٌ فَادِحٌ
حَيْرَانٌ أَوْ يَقْضَى عَلَيْهِ فَيُسْرَعُ^(٤)
يَهْوِي الْجَلِيدَ مِنَ الرِّجَالِ فَيَضْرَعُ^(٥)

(١) أشرى : أشد .

(٢) الحزازة : داء يظهر في الجسد فينتشر ويتسع ، وهو القوباء .

(٣) النضو : المهزول . (٤) دله : حيره وأدهشه .

(٥) الجليد : ذوي القوة والصبر والصلابة .

١٧ — باب ما في معرفة الهوى

وما كان اسمه في البداية أو لا

واعلم أن الهوى عندهم هو الهوان الضراح ، والبلاء المستاح ، لأنه يهين
الكریم ، ويذل العزيز ، ويدله العاقل ، ويحط منزلة الشريف .

وسئلت أعرابية عن الهوى ، فقالت : الهوى هو الهوان ، وإنما غلط
باسمه ، واشتق من طبعه ، ولن يعرف ما أقول ، إلا من أبكته المنازل
والطلول ، وأنشأت تقول :

ليت الهوى لذوى الهوى لم يخلقِ بل ليت قلبي بالهوى لم يعلقِ
إنّ الذى علقَ الهوى بفؤاده كمنوطٍ دون النساء مُعلقِ
لا يستطيع نزوله لشقاقه لكن اليه كلُّ همٍّ يرتقى
إن الهوى لهو الهوان بعينه ما ذاق طعم الذلّ من لم يعشقى
وأنشدت غيرها أيضا :

إن الهوان هو الهوى نُقص اسمه فاذا هويت لقد لقيت هوانا
وإذا هويت لقد تعبدك الهوى فاضع حبك كائنًا من كانا
أنشدنا أبو عبد الله الواسطي لنفسه :

لم يذر ما يؤس الحياة ولينها إلا الذين من الهوى به كان
كم من عزيز قد ألم به الهوى فأقر بعد كرامة بهوان
ليس الهوى إلا الهوان ونونه نقصت كفعل الزور والبهتان
لين الحياة اذا نظرت وبؤسها بين الوصال وغصة الهجران
ما العشق عندى باختيار إنما ذاك البلاء يتاح للإنسان

قال وأنشدني أبو العيَّنَاء :

وما كَيْسٌ في الناس يُحْمَدُ رَأْيُهُ فَيُوجَدُ إِلَّا وَهُوَ في الحبِّ أَحَقُّ (١)
وما من قَتَى ما ذاق بُؤُسَ معيشَةٍ من الدَّهرِ إِلَّا ذاقَهَا حينَ يَعْشَقُ

١٨ — باب ما سئل عنه أهل الصَّمد

من تمام خَلَاتِ العشق

قال الأصمعيُّ لأبي وائل الأضاخِي : ما تقول في العشق ؟ فقال : إن لم يكن عَصَارَةً من الشَّجر ، فهو ضربٌ من الجنون ، وأنشأ يقول :
بقلبي شيءٌ لست أعرف وصفه على أنه ما كان فهو شديدٌ
تمرُّ به الأيام تسحب ذيلها فتبلى به الأيام وهو جديده
لعمري إنَّ بذلك ما وجب لهم الدعاء ، فصار مفترضاً على الأدباء ، كالفرض اللازب ، والحقِّ الواجب ، الجليل الخطب ، وفادح الأمر .

أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعيُّ قال : رأيت أبا السائب المخزومي متعلِّقاً بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم ارحم العاشقين ، واعطف عليهم قلوب المعشوقين ، بالرفقة والرحمة يا أرحم الراحمين ؛ فقلت : يا أبا السائب ، أفي هذا المقام تقول هذا المقال ؟ فقال : اليك عنى ، الدعاء لهم أفضل من حجة بعمره ، ثم أنشأ يقول :

يا هَجْرُ كَفِّ عن الهوى ودع الهوى للعاشقين يطيب يا هَجْرُ
ماذا تريد من الذين جفونهم قرَّحى وحشو صدورهم جمر (٢)

(١) الكيس : الظريف ، الفطن .

(٢) القرحة : الجراحة المتقدمة التي اجتمع فيها القيح .

وَسَوَابِقُ الْعِبْرَاتِ فَوْقَ خُدُودِهِمْ هَطْلًا تَلُوحُ كَأَنَّهَا الْقَطَرُ^(١)
صَرَخَى عَلَى جِسْرِ الْهَوَى لِشَقَائِهِمْ بِنُفُوسِهِمْ يَتَلَاَعَبُ الدَّهْرُ
قال : وَخَبَّرْتُ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ جَارِيَةً وَهِيَ تَقُولُ :

اللَّهُمَّ مَا لَكَ يَوْمَ الْقَضَاءِ ، وَخَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، ارْحَمِ أَهْلَ الْهَوَى
وَاسْنَقِذْهُمْ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ ، وَاعْطِفْ عَلَيْهِمْ قُلُوبَ أَوْدَائِهِمْ بِالْصَفَاءِ ، فَإِنَّكَ
سَمِيعُ النَّجْوَى ، قَرِيبٌ لِمَنْ دَعَا ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

يَا رَبَّ إِنَّكَ ذُو مَنٍّْ وَمَغْفِرَةٍ بَيْتٌ بِعَافِيَةٍ مِنْكَ الْمُحِبِّينَا
الذَّاكِرِينَ الْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا سَهَرُوا حَتَّى يَظْلَمُوا عَلَى الْأَيْدِي مُكْبِينَا
فَقُلْتُ : يَا هَذِهِ أَتَغْنِينَ وَأَنْتِ فِي الطَّوَافِ ؟ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، لَا يُرْهِقُكَ
الْحُبُّ ، فَقُلْتُ لَهَا : وَمَا الْحُبُّ ؟ وَأَنَا بِهِ أَعْرِفُ مِنْهَا ، فَقَالَتْ : جَلَّ أَنْ يَخْفَى ،
وَدَقَّ عَنْ أَنْ يُرَى ، لَهُ كَمُونٌ كَسَمُونِ النَّارِ فِي الْحَجَرِ ، إِنْ قَدَحْتَهُ أَوْرَاكَ ،
وَإِنْ تَرَكْتَهُ تَوَارَى ، قَالَ : فَتَبِعْتُهَا حَتَّى عَرَفْتُ مَنْزِلَهَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَ
مَطَرٌ شَدِيدٌ ، فَفَرَرْتُ بِيَابِهَا وَهِيَ قَاعَةٌ مَعَ أَتْرَابِهَا زَهْرٌ^(٢) يَقْلَنُ لَهَا : لَقَدْ
أَضُرَّ بِنَا الْمَطَرُ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَخَرَجْنَا إِلَى الطَّوَافِ ، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

قَالُوا أَضُرَّ بِنَا السَّحَابُ بِقَطْرِهِ لَمَّا رَأَوْهُ لَعَبْرَتِي يَحْكِي
لَا تَعْجَبُوا مِمَّا تَرَوْنَ فَإِنَّمَا هَذَا السَّحَابُ لِرَحْمَتِي يَبْكِي
وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ لَا ذَنْبَ عَلَى أَهْلِ الْهَوَى وَلَا وَزَرَ ، وَأَنْ خَطَايَاهُمْ
تَمَحَّصُ عَنْهُمْ بِطُولِ بَلَاءِهِمْ ، وَكَثْرَةِ زَفَرَاتِهِمْ ، وَمَا لَقُوا مِنَ الشَّقَاءِ بِأَوْدَائِهِمْ
وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْبٍ ، عَنْ رَجُلٍ ذَكَرَهُ ، قَالَ :

(١) الهطل : المطر الضعيف الداهم . القطر : المطر .

(٢) زهر : مشرقات اللون أو الوجه .

كنت عند مالك بن أنس ، فأتاه شابٌ فقال : إني قد قلت أبياتاً ذكرك فيها فاسمعها ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال لي : أحب أن تفعل ، قال : هات ، فقال :

سَلَوَا مَالَكَ الْمَفْتِيَّ عَنِ اللَّهِ وَالصَّبِيَّ وَحُبَّ الْحِسَانِ الْمَغْنَمَاتِ الْفَوَارِكِ
يُخَبِّرُكُمْ أَنِّي مُصِيبٌ وَإِنَّمَا أَسْأَلُ هُمُومَ النَّفْسِ عَنِ بَذَلِكِ
فَهَلْ فِي حُبِّ يَكْتُمُ الْحَبَّ وَالْهُوَى أَثَامٌ وَهَلْ فِي ضَمَّةِ الْمُتَمَالِكِ ؟
فَسَرَّيَ ^(١) عَنْ مَالِكٍ وَقَالَ : لَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَكَانَ ظَنُّ أَنَّهُ هِجَاهُ .

أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب ، عن عبد الله بن شبيب ، عن شيخ من عاملة ، قال : مرَّ ابنُ مَرْجَانَةَ الشَّاعِرِ بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ : هَذَا ابْنُ مَرْجَانَةَ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : هَذَا الَّذِي يَقُولُ :

سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ مَفْتِيَّ الْ مَدِينَةِ هَلْ فِي حُبِّ دِهْمَاءَ مِنْ وَزَرٍ ؟ ^(٢)
فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّمَا تَلَامُ عَلَى مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأَمْرِ
وَاللَّهُ مَا سَأَلَنِي إِنْسَانٌ عَنْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا ، وَلَوْ سَأَلَنِي لَأَجَبْتُ .

قال : وسئل شريك بن عبد الله القاضي عن العشَّاق ، فقال : أشدهم حباً أعظمهم أجراً .

وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمُسْلِمُ :
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي ، وَإِنِّي لَسَائِلٌ بِمَكَّةَ أَهْلَ الْعِلْمِ : هَلْ فِي الْهُوَى وَزَرٌ ؟
وَهَلْ فِي اكْتِحَالِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ رِيَّةٌ إِذَا مَا التَّقَى الْإِلْفَانِ ، لَا بَلْ بِهِ أَجْرٌ
وَأَنْشَدَنِي إِبْرَاهِيمُ الْأَزْدِيُّ لِنَفْسِهِ :

(١) سرى عنه : زال عنه الغضب أو الهم .

(٢) دِهْمَاءُ : اشتد سوادها حتى ذهب البياض . الوزر : الاثم .

ما العشق في الأحرار مستنكر^١ وما على العاشق من وزر
قال وأنشدني الجماش :

إذا قبل الإنسان إنسان يشتهي ثناياه لم يأثم وكان له أجراً
فان زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها وزراً
وقال سائب راوية كثير : حضرت مع كثير عدا بن أبي عتيق ، فأنشدنا
أبيات ابن قيس الرقييات التي يقول فيها :

خبروني : هل على رجل عاشق في قبلة حرج ؟
فقال كثير : لا إن شاء الله ، ونهض
وأنشدني علي بن العباس بن الرومي :

أيها العاشق المعذب أضرب خفطيات ذى الهوى مغفورة
زفرة في الهوى أخط لذنب من غزاة وحجة مبرورة^(١)
وقال المؤمل ، وأحسن والله في قوله :

صِفْ للأحبة ما لقيت من سهر إن الأحبة لا يدرون ما السهر
حسب المحبين في الدنيا عذابهم والله لا عذبتهم بعددها سقر
وقال الأصمعي : رأيت جارية بالطواف وهي تقول :

لن يقبل الله من معشوقة عملاً يوماً وعاشقها خيران مهجور
وليس يأجرها في قتل عاشقها لكن عاشقها لا شك مأجور
فقلت : يا جارية ، أفى هذا المقام ، أما حياءٌ فيردعك ! فأنشأت تقول :

بيض^٢ أو أنيس ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من إين الكلام زوانياً ويصدهن عن الخنا الاسلام^(٢)

(١) المبرور من الأفعال : ما لا شبهة فيه ولا كذب .

(٢) الخنا : الفحش .

وقد قيل أيضا : إن قتيل الهوى لا قود له ^(١) ، وإن دماء أهل الهوى تبطل وتهدر
ومن ذلك ما حكى عن ابن عباس أنه أتى بشاب محمول قد صار كالشن ^(٢)
البالي ، فقيل له : استشف الله لهذا المريض يا ابن عم رسول الله ،
فقال له ابن عباس : ما علمتك يا قتي ؟ فلم يحجر إليه جوابا ، ثم رفع رأسه ،
وقال بلسان فصيح طليق :

به لوعة لو تشكى الصم مثلها تفطرت الصم الصلاب وخرت
ولو قسم الله الذي بي من الهوى على كل نفس حظا ما أبلت
ثم خفت خففة ، ثم فتح عينيه وهو يقول :

بنا من جوى الحب المبرح لوعة تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة ما ترى على ما به عود هناك صليب ^(٣)

فقال ابن عباس : من الرجل ؟ فقال : من بني عذرة ، ثم شفق شهقة
فمات ، فقال ابن عباس لجلسائه : هل رأيتم وجهها أليق ، ولسانا أذلق من
هذا ؟ هذا والله قتيل الهوى ، لا قود له ولا دية ، وإلى أرغب في العافية
مما نرى .

وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب :

إذا هن ساقطان الحديث لذي الهوى سقوط حصي المرجان من كف ناظم
رمين فأصمى القلوب فما ترى دماسائلا إلا جوى في الحيازم ^(٤)
فأى دم لو تعلمين جنيتيه على الحر جاني غير مثله غير سالم

(١) القود : القصاص . (٢) الشن : القربة الخلق .

(٣) الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

(٤) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه .

أما أنه لو كان غيرك أرقلت إليه القنأ بالمرهفات الصوارم^(١)
ولكن وبيت الله ما ظل مسلماً كخز الثنايا واضحات المعاصم^(٢)
وأنشدني عبد الله الواسطي لنفسه :

قضى الله في القتلى قصاص دماهم ولكن دماء العاشقين جبار^(٣)
تطل دماء العاشقين وثأرها لدى الحدق المرضى وذلك ثار
قال الأحوص بن محمد الأنصاري ،

ما تذكر الدهر لي سعدى وإن بعدت إلا ترقرق ماء العين فاطردا
يا للرجال لمقتول بلا ترة لا يأخذون له عقلاً ولا قوداً^(٤)
وحدثني العنزي أبو علي ، عن الزبير بن بكار ، عن محمد بن عبد الله بن
مسلم بن جندب عن أبيه قال : خرجت مع أبي سفيان ، فلقينا نسوة ينظرن
العقيق ، فيهن امرأة حسناء العين ، فقال أبي :

ألا يا عباد الله هذا أخوكم قتيلاً فهل فيكم به اليوم ثائر ؟
خذوا يدي إن مت كل خريدة مريضة طرف العين والجفن ساجر^(٥)
قال : فالتفت إلى امرأة ، فقالت : يا بني احتسب^(٦) أباك واغتم نهيبيك^(٧)

(١) أرقل : أسرع .

(٢) طل الدم : هدر ، أو لم يثار له .

(٣) جبار : الهدر ، يقال : ذهب دمه جباراً ، أى لم يؤخذ بثأره .

(٤) الترة : الثأر . العقل : الدية .

(٥) الخريدة : من النساء : البكر التي لم تلمس قط ، وقيل : هي الحبيبة الطويلة
السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة قد جاوزت الاغصان ولم تعنس .

(٦) احتسبه : فقده كبيراً .

(٧) تناهبت الإبل الأرض : أخذت بقوائمها منها أخذاً كثيراً ، والمراد : انتهز
سرعة ساقيك وفر .

فان قَتِيلُنَا لَا يُودَى ^(١) ، وَأَسِيرُنَا لَا يُفْدَى ^(٢)

وَأَنشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ، لَجَرِيرِ بْنِ الْخَطَفِيِّ :

هَلْ فِي الْغَوَاكِى لِمَنْ قَتَلَنْ مِنْ قَوْدٍ أَوْ مِنْ دِيَّاتٍ لِقَتْلَى الْأَعْيُنِ الْخُورِ
تَبِيتَ لَيْلَكَ فِي وَجْدٍ تُخَامِرُهُ كَأَنَّ فِي الْقَلْبِ أَطْرَافَ الْمَسَاكِمِ
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مُحْزُونٍ أَضُرَّ بِهِ بَرْحُ الْهَوَى وَعَذَابٌ غَيْرُ تَفْسِيرِ

وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا كَحَلَنْ عُمُونًا غَيْرَ مُقَرَّقَةٍ رَيْشَنْ نَبْلًا لِأَصْحَابِ الصَّبِيِّ صَيْدَا ^(٣)
مَا بَالُ قَتْلَاكَ لَا تَخْشَيْنَ طَائِلَهُمْ لَمْ تَضْمَنْ دِيَّةَ مَنْهُمْ وَلَا قَوْدًا

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ لُجَأَ :

تَرَأَيْتَ كَيْ تَكِيدُكِ أُمُّ خَمْرٍ وَ وَكَيْدُكَ بِالتَّبَرْحِ مَا تَكِيدُ
وَكَيْفَ قَتَلْتَنِي يَا أُمُّ عَمْرِو وَلَا قَوْدٌ عَلَيْكَ وَلَا حُدُودُ
وَقَالَ أَعْرَابِي ، وَمَا أَسَاءَ :

أَقَاتَلْتَنِي يَا لِلرَّجَالِ حَبِيبَةً إِلَى بَلَا جُرْمٍ لَدِيهَا وَلَا ذَخْلِ
فَفَقِمْ دِمَاءَ الْعَاشِقِينَ مُضَاعَةً بَلَا قَوْدٍ عِنْدَ الْحِسَانِ وَلَا عَقْلِ

وَأَحْسَنُ وَاللَّهِ الْمُؤَمَّلُ حَيْثُ يَقُولُ :

إِنِّي قُتِلْتُ بِبَلَا جُرْمٍ وَقَاتَلْتَنِي يَا قَوْمَ جَارِيَةٍ فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ ^(٤)

(١) ودى القاتل القتيل : أعطى ديته .

(٢) فدى الرجل من الأسر : استنقذه بمال أو سواه .

(٣) المقرقة : المتهمة . ريش السهم : لزق عليه الريش .

(٤) حور العين : اشتداد بياض بياضها وسواد سوادها .

لَمَّا رَمَتْ مُهَجَّتِي قَالَتْ لِجَارَتِهَا إِنِّي قَتَلْتُ قَتِيلًا مَالَهُ خَطَرُ
قَتَلْتُ شَاعِرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ مُضَرٍّ فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرْضَى بِذَا مُضَرٍّ
شَكُوتُ مَا بِي إِلَى هِنْدٍ فَمَا اسْتَرَأْتُ يَا قَلْبَهَا أَحَدِيْدٌ أَنْتَ أُمَّ حَجَرٍ
إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِالْحُبِّ فَانْطَلِقِي إِلَى الْقُبُورِ فَفِيْمَنْ حَلَمَهَا عِبْرُ

وقد قيل أيضا : إن قتيل الهوى شهيدٌ على ذلك أجمع ، فالله يعلم للأدباء
وأهل العلم والظرف لموجود الأخبار ومُسند الآثار

حدثنا قاسم الزبيدي ، بإسناد ذكره عن ابن عباس ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : من تعشَّق فَعَفَّ فهو شهيد
وقال بشار بن برد العُقيلي :

قُرْبُ دَارِ الْحَبِيبِ قَرَّةٌ عَيْنٍ وَكَأَنَّ الْبَعَادَ فِي الْقَلْبِ ثُكْلُ
إِنَّ مَوْتَ الَّذِي يَمُوتُ مِنَ الْحُبِّ بَّ عَفِيفًا لَهُ عَلَى النَّاسِ فَضْلُ
ولبعض المتأدبين :

لَيْتَنِي مِتُّ وَالْهَوَى دَاءُ قَلْبِي إِنْ مَيِّتَ الْهَوَى لَمَيِّتٌ شَهِيدُ

ولقد أحسن جميل حيث يقول
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بَوَادِي الْقَرْيِ إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
يقولون جاهِدْ يَا جَمِيلُ بَغْزَوَةَ وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرَ هَذَا أُرِيدُ
لسكَلٌ حَدِيثٌ يَنْهَنُ بِشَاشَةٍ وَكُلُّ قَتِيلٍ يَنْهَنُ شَهِيدُ
وَمَلَحَ الْحَكَمِيُّ حَيْثُ يَقُولُ :

وَلَقَدْ كُنَّا رَوَيْنَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ
عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ

قال من مات محباً فله أجر الشهادة
واعلم بأنَّ العشق يحسن بأهل العفة والوفاء، ويقبح بأهل العهر
والخنس، مع أن الهوى قد فسد وقلَّ الوفاء، وكثرت الخيانة والغدر،
واستعمل الناس في العشق شيئاً ليس من سنة الظرف ولا من أخلاق
الظرفاء، وذلك أن أحدهم متى ظفر بحبيبه، وأصاب الغفلة من رقيبته،
لم يعفّ دون طلب المعنى، فهذا فساد الحب، ودمار العشق، وبطلان
الهوى، وتكدير الصفاء.

أنشدني عبد الحميد المملطي :

قد فسد الحبُّ وهان الهوى وصار من يعشق مُستعجلاً
يريد أن ينكح أحبابه من قبل أن يسهر أو ينحلاً
ولأحمد بن أبي قنن في مثل ذلك :
أنا لا أبداً بغدير أبداً فاذا ما غدرت لم أترك^(١)
واجداً منها بديلاً مثل ما وجدت مني بديلاً لا تشك
أتراني أقعد الليل لها ساهراً أطلب وصلاً قد هلك
وهي فيما تشتهي لاهية^٢ ميت إن دار بهذين فلك
كان للناس وفاء مرة^٣ فانقضى وانحلت اليوم التّك
وحدثني أبو العيناء قال : حدثني الجاحظ قال : كتب بعض الظرفاء

إلى ملكٍ بجارية أبي جعفر :

يا مُلكُ قد صرتُ إلى خُطّةٍ وكنتُ فيها منك ذا ضمير
يلومني الناسُ على حبِّكم^٤ والناس أولى فيك باللوم

(١) اترك : أهمل ، أغفل .

فكتبت اليه :

إِنْ تَكُنِ الْغُلْمَةُ هَاجَتَ بِكُمْ فَسَكُنِ الْغُلْمَةَ بِالصَّوْمِ^(١)

ليس بك الشَّقُّ وَلَكِنَّمَا تَدُورُ مِنْ هَذَا عَلَى الْكُومِ^(٢)

واعلم أنَّ العشق لا يكون مع الفسق ، ومتى مازج العشق الفسقُ ضَعُفَتْ قُوَاهُ ، وانْقَضَتْ^(٣) عُرَاهُ^(٤) وهم لا يريدونَ غَيْرَ الرَّفَثِ^(٥) ، ويسمونه مَسَامِيرَ الْحُبِّ ، وزعموا أنَّ أَسْبَابَ الْحُبِّ لَا تَتَّصِلُ إِلَّا بِهِ ، وَلَا يَزَالُ مُنْحَلًّا حَتَّى يَشُدَّهَا ذَلِكَ ، وَيَنْشُدُونَ :

العشق دَاءٌ دَوِيٌّ لَا دَوَاءَ لَهُ إِلَّا الْعِنَاقُ وَإِفْشَاءُ السَّرِيرَاتِ

وليس يلتذُّ طيبُ العيش من أَحَدٍ إِلَّا بِعَضِّكَ أَوْ رَشْفِ الثَّنِيَّاتِ

وَوَضْعِكَ الصَّدْرِ فَوْقَ الصَّدْرِ تَجْمَعُهُ ضَمًّا إِلَيْكَ عَلَى ظَهْرِ الْحَشِيَّاتِ

وينشدون أيضا في مثل ذلك :

رَأَيْتُ الْحُبَّ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ سِوَى وَضْعِ الْبَطُونِ عَلَى الْبَطُونِ

وَالصَّاقِ الثَّنَايَا بِالثَّنَايَا وَأَخْذِ بِالْمَنَاكِبِ وَالْقُرُونِ

وقد ناظرتُ بعضهم مرَّةً مِنَ الْمِرَرِ ، فاحتج بخبر ابن عباس ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاحتجُّوا بظاهر الخبر ، ولم يفحصوا عن التَّأْوِيلِ ، وهذا خلاف ما يفعل أهل الظرف والأدب ، وغير هذا جاء عن العرب .

وقد بلغني عن الأصمعي أنه قال : قلت لأعرابي مرَّةً : ما العشق فيكم ؟

(١) غلمة : كان منقادا للشهوة .

(٢) الكوم : الفرج .

(٣) انقضت : انكسر .

(٤) العرى : جمع عروة : ما يوثق به .

(٥) الرفث : التسكُّم بالفحش .

قال : النظرة بعد النظرة ، وإن كانت القبلة بعد القبلة ، فهو الوصول الى الجنة !
فقلت : ليس العشق عندنا كذلك ، قال : فما هو عندكم ؟ قلت : تفرق بين
رجليها وتحمل نفسك عليها !! فقال : بأبي أنت ، لست بعاشق ، إنما أنت
طالب ولد .

١٩ — باب ما جاء فيمن تنفك في حبه

ورعى عقود عمود مودته

وما وجدنا أحدا من العرب يفعل ذلك ، ولا صمد نحوه ، وقد كان
الواحد منهم يعشق من أول دهره الى آخره ، لا يحاول فسقا ، ولا يقرب
رفثا ، ولم يكن لهم مراد إلا في النظر ، ولا حظ في غير الاجتماع والمؤانسة ،
والحديث والشعر ، كما قال الفرزدق :

وجدتُ الحبَّ لا يشفيه إلا لقاءً يقتل العَلَلُ النَّهالا
أحبُّ من النساءِ وهنَّ شَيَّ حديثَ النَّزْرِ والْحَدَقِ الْكِلالا
مواقعَ الْحَرَامِ وَكُلِّ نَحْسٍ وتُبْدِلُ ما يكونُ لهما حَلالاً

وكان الواحد منهم اذا تعلق خلةً لم يفارقها حتى الممات ، ولم يشغل
قلبه بغيرها ، ولم يهم بالساو منها ، وقصر طرفه عن سواها ، وكذلك هي
أيضا ، كانت له بتلك المنزلة ، فأَيُّهما هلك صاحبه ، قتل الآخر نفسه
في أثره ، أو عاش حافظا لودّه ، قائما بعهده ، لا ينسى ذكره ، ولا يصل غيره ؛
فاستحسن الناسُ المملَّ والاستبدال ، والغدر والانتقال ، وسار أشدهم ظرفا ،
وأحسنهم إلما ، يعشق السنين الكثيرة ، والدهور الطويلة ، ويتوهم بفعله
أنه عاشق ، فاذا فقد حبيبته يوما واحدا استبدل به سواه ، وينشدون في ذلك :

إِفْخَرُ بِآخِرٍ مِنْ بَلَيْتَ بِحُبِّهِ لَا خَيْرَ فِي حُبِّ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَتَشْكُ فِي أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا سَادَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلِ
وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ شَعْرِ ظَرِيفٍ ، أَوْ مِنْ فَعْلٍ حَصِيفٍ ،
وَلَكِنْ قَدْ أَحْسَنَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي حَيْثُ يَقُولُ :

الْبَيْنُ جَرَعَنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ وَالْبَيْنُ أَتَمَكَّنِي وَإِنْ لَمْ أَتَمَكَّلِ (١)
مَا حَسَرْتَنِي أَنْ كِدْتُ أَقْضَى إِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلِ (٢)
نَقَلَ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَا أَلْفَهُ الْفَتَى وَحَنِينَهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ التَّنْقِلُ مِنْ حَبِيبٍ أَوَّلٍ إِلَى حَبِيبٍ ثَانٍ بِحَسَنِ ، وَإِنَّمَا الْحُبُّ
مَا أَقَامَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ ، فَلَمْ يَجِدِ التَّخْلَصَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، كَمَا قَالَ جَرِيرُ :

أَخَالِدَ قَدْ هَوَيْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيَّبَنِي الْخَوَالِدُ وَالْهِنْدُودُ
هَوَى بِتِهَامَةٍ وَهَوَى بِنَجْدٍ فَتُبِّلَنِي التَّهَامُ وَالنُّجُودُ (٣)
وَلَا كَقَوْلِهِ أَيْضًا :

أَحِبُّ ثَوْرِي نَجْدٍ وَبِالْغَوْرِ حَاجَةٌ فَغَارَ الْهَوَى يَا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدًا
وَلَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِنِّي سَأُبْدِي الْحُبَّ فِيمَا أُبْدِي لِي شَجَنَكَ شَجَنٌ بِنَجْدٍ (٤)
وَشَجَنٌ لِي بِبِلَادِ الْهِنْدِ

(١) البَيْنُ : الفراق . جرَعَنِي : سَقَانِي بِلَعَا . الْحَنْظَلُ : نَبْتٌ مَر . أَتَمَكَّنِي : أَفْقَدَنِي .

(٢) كِدْتُ : قَرَأْتُ . أَقْضَى : أَمُوتُ .

(٣) تِهَامَةٌ : بِلَادُ جَنُوبِ الْحِجَازِ . نَجْدٌ : قِسمٌ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ مَرْتَفِعٌ أَعْلَاهُ تِهَامَةٌ وَالْبَيْنُ
وَأَسْفَلُهُ الْعِرَاقُ وَالشَّامُ .

(٤) الشَّجَنُ : الْهَمُّ ، الْحُزْنُ .

ولا كقول الآخر :

هوى بالغور لي وهوى بتجدٍ فما أدري أأنجد أم أغور^(١)
 بكل حاجة وهوى مقيم بقلبك قد تضمته الضمير
 بشرقي العراق بباب عمرو وبالفورين زينب والقصور
 هذا والله من ألفاظ الشعر أسمع جداً ، وقد كذب هؤلاء وادّعوا
 وجداً ، وهل يجتمع وجدان في موضع ؟ ولكن قد أحسن جميل ،
 حيث يقول :

وَقُلْتُ لِنِسْوانِ تَعْرِضْنَ دُونَهَا إِلَيَّ إِنِّي غَيْرُ كُنْ أُرِيدُ
 وحيث قال أيضاً :

وكم من بديل قد وجدنا وطرفة فتأبى على النفس تلك الطرائف
 فهذا هو الصادق الهوى ، الخالص الوفاء ، لا جرير وصاحبه ، ولا
 الذي يقول :

أَرَى ذَا فَأَهْوَاهُ وَأَبْصُرُ غَيْرَهُ فَأَتْرُكُ ذَا ثُمَّ اسْتَبَدَّ بِذَا عِشْقًا
 ثَمَانُونَ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَحِبِّهِمْ وَمَا فِي فُؤَادِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَبْقَى
 ففبح الله هذا اللفظ لفظاً ، ولا أعطي قائله حظاً ، فليس من شعر وامي^(٢)

بل هو من فعل مما ذق^(٣) ، ولا والله ما التنقل من شأن الأدباء ، ولا الاستبدال
 من فعل الظرفاء ، وإنما الهوى ما حسن سريره ، وهيئات أن ذوو الوداد
 الخالص ، والصفاء الدائم ، والحب اللازم ، وذوو الحفاظ ، ورعاة العهود ،
 والمتمسكون بالوفاء ، والراغبون في صحيح الإخاء إليك ، فقد تنقضت وثائق

(١) الغور : ما انحدر واطمأن من الأرض . والنجد : ما أشرف من الأرض وارتفع .

(٢) الوامي : المحب . (٣) المماذق : من كان وده غير خالص .

الحب ، وانقصمت عُرَى الهوى ، وتقطعت أسباب العشق ، وتسكد رصافي المودة ، والناس كما قال الشاعر :

قَلَّ الثَّقَاتُ فَمَا أَدْرَى بِمَنْ أَثِقُ لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ إِلَّا الزُّورُ وَالْمَلَقُ
وإنَّ الغدر في النساء طبع ، والمطل منهن غريزة ؛ وهو في النساء أكثر منه في الرجال ، فقد أنشدني بعض الأدباء :

وَكُنَّا جَعَلْنَا اللَّهَ شَاهِدَ بَيْنِنَا وَفِي اللَّهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ شَهِيدٌ ^(١)
فَخِصْتُ بِعَهْدِ اللَّهِ لَوْ تَعْلَمِينَهُ وَفِيكَ مَن لَيْسَتْ لَهُنَّ عَهودٌ ^(٢)
واعلم أنهن لا عهود لهن ، ولا وفاء لحيهن ، ولا دوام لودهن ؛ وإن أقبح ما روى عن غدرهن ، ما حدثني ابن أبي خيثمة ، عن شيوخه : أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت عند ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأحبها حباً شديداً شغلته عن تجارتها ، فأمره أبو بكر فطلقها ، ثم اطلع ^(٣) عليه وهو يقول :

فَلَمْ أَرَ مِثْلِي طَلَقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تَطْلُقُ
لَهَا خَلْقٌ سَهْلٌ وَحَسَنٌ وَمَنْصُوبٌ وَخَلَقْتُ سِوَى مَا يُعَابُ وَمَنْحَقٌ
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْفَى النُّفُوسُ مَعْلَقُ
أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقُ
فرق عليه أبو بكر ، وأمره فراجعها ، فقال لما رجعت إليه :

أَعَاتِكَ قَدْ طَلَّقْتِ مِنْ غَيْرِ بَغْضَةٍ وَرُوجِعْتِ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَادٍ وَرَائِحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أُلْفَةٌ وَتَبَايُنٌ ^(٤)

(١) البين : الصداقة .

(٢) خاس بالوعد : نسكت وغدر .

(٣) اطلع عليه : أتاه فجأة .

(٤) باينه : هاجره .

وما زال قلبي للتفرُّق بائن فقلبي لما قد قَرَّبَ اللهُ ساكني
 لِيَمْنِكَ أَنِّي لم أَجِدْ مِنْكَ سَخِطَةً وَأَنْتَ قد جُلَّتْ عَلَيْكَ الْمَحَاسِنُ
 وَأَنْتَ مَنَّ زَيْنَ اللهِ أَمْرَهَا وَلَيْسَ لِمَا قَسَدَ زَيْنَ اللهِ شَاكِنُ
 فلم تزل عنده حَتَّى قَتَلَ يومَ الطائف ، رُمى بِسهمٍ فَمَاتَ ، فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ
 جزعا شديدا ، وَقَالَتْ تَرْثِيهِ :

أَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي حَزِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا
 فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ قَتَى أَشَدَّ وَأَحْمَى فِي الْهِيَاجِ وَأَصْبَرَا
 إِذَا شَرَعْتَ فِيهِ الْأَسِنَّةَ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتْرَكَ الرِّمَحَ أَشْقَرَا
 ثم خطبها عمر بن الخطاب فزوجها ، فَأَوَّلَ مَا عَلِمَهَا وَدَعَا أَصْحَابَ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِيذْنِي لِي لِأَدْخُلَ
 رَأْسِي إِلَى عَائِكَ أَكَلِّمَهَا ، قَالَ : افْعَلْ ، فَأَدْخَلَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا فَقَالَ ، يَا عَدِيَّةُ
 نَفْسِي ، أَهَكَذَا كَانَ قَوْلُكَ :

أَلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبَرَا
 فَبَكَتْ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا يَا أَبَا الْحَسَنِ ، فَخَفَرَ اللهُ لَكَ ، إِنْ هُنَّ
 يَفْعَلْنَ هَذَا ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أُعْلِمَهَا أَنَّهَا لَا عَهْدَ لَهَا ، فَسَكَتَتْ عَنْده حَتَّى
 قَتَلَ عُمَرُ ، قَتَلَهُ أَبُو لَوْلُؤَةَ ، فَقَالَتْ تَرْثِيهِ :

عَيْنِ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَحِيبِ لَا تَمَلِّي عَلَى الْأَمِيرِ النَّجِيبِ
 فَجَعَلَتْنِي الْمَنُونُ بِالْفَارِسِ الْمُعْ لَمْ يَوْمَ الْهِيَاجِ وَالتَّأْنِيبِ
 عِصْمَةُ اللهِ وَالْمُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ رَغِيَاكُ الْمُهْوَفِ وَالْمُسْكُوبِ
 قُلْ لِأَهْلِ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرِّ مَوْتُوا قَدْ سَقَتْنِي الْمَنُونُ أُمَّ الرُّقُوبِ

ثم تزوجها الزبير بن العوام ، فمكثت عنده حتى قُتِلَ عنها ، منصرفاً من
الجل بوادي السَّجَاع ، قُتِلَ ابنُ جُرْمُوز ، فرثته ، وفيه تقول :

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزَ بِفَارِسِ بَهْمَةٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مَعْرِدٍ ^(١)
يَا عَمْرُو لَوْ نَبَهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لَا طَائِشًا زَغَبَ الْجِنَانِ وَلَا أَيْدٍ
تُكَاتِكُ أَهْكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

نُفِطَهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَبَعِثْتُ إِلَيْهِ : إِنْ لَأَضُنَّ بِكَ عَنِ الْقَتْلِ ، وَإِنَّمَا
اسْتَحِيتُ فَا مَتَنَعْتُ ، وَقَدْ تَزَوَّجْتَ بَاثِنِينَ مِنْ بَعْدِ قَوْلِهَا :

أَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكَّ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكَّ جِلْدِي أَغْبَرَا
قال : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ الرَّبْعِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي أَبُو رَيْسَةَ الْعَامِرِيُّ الْمَكُونِيُّ ،
قال : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيُّ قال : دَخَلْتُ الْمَدْلَةَ الْبَكْرِيَّةَ زَوْجَةَ الْمَغِيرَةِ
ابْنِ أَبِي ضِمَامِ الْبَكْرِيِّ ، وَكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا ، عَلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ ،
تَخَاصَمَ فِي بَعْضِ أُمُورِهَا ، فَلَمَّا خَرَجْتَ الْمَدْلَةَ ، قَالَ : أَنْتِ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ الْمَعْذَلُ :
قُلْ لِلْمَدْلَةِ طَالَ ذَا التَّعْدِيدِ فَدَعِ التَّعْلِيلَ وَالْمِطَالَ قَلِيلًا
وَيَزِيدُهَا حَلَى النِّسَاءِ مَلَا حَةَ وَيَزِيدُ ذَلِكَ بَعْضَهُنَّ خُبُولًا ؟
قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ : فَلَمْ تَزَوَّجِي بَعْدَهُ ، أَفَّ لَكِنَّ ؟ قَالَتْ : أَتَنْصِفُ ،
مَا كُنْتُ بَدِيًّا ، وَمَا كُنْتُ بَنِيًّا !! فَضَحِكَ مِنْهَا وَأَمَرَهَا بِالْأَنْصِرَافِ .

وَرَوَى أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ الْعَرَبِ تَزَوَّجَتْ رَجُلًا مِنْ خَنْعَمٍ ، فَوَجَدَ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ وَجَدًا شَدِيدًا ، وَأَنْهُمَا تَحَالَفَا إِلَّا يَتَزَوَّجُ أَحَدُهُمَا بَعْدَ
صَاحِبِهِ ، فَمَاتَ قَبْلَهَا ، فَتَزَوَّجَتْ ، فَلَامَهَا بَعْضُ أَهْلِهَا ، وَقَالُوا : أَيْنَ مَا كُنْتَ

(١) البهمة : الشجاع . عرد : هرب .

تجددين به ؟ فأنشأت تقول :

وقد كان حُبِّي ذاك حُبًّا مبرِّحاً وحبِّي لندا ، إذ مات ذاك ، شديد

وكان هوايَ عند ذاك صسيابةً وحبِّي لندا طُول الحياةِ يزيد

فلما مضى عادت لهذا مودتي كذلك الهوى بعد الذهاب يعود

وقال صالح بن حسان : لما اختضر حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه ، كانت فاطمة بنت حسن بن علي جالسة عند رأسه تبكي ، فقال :

ما يبكيك ؟ قالت : علي فراقك ابن عم ، قال : مه ما صنعت ، فإياك أن

تسكحي عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وقد علم أن أحدا لا يجترئ على خطبتها

غيره ، قالت : ما كنت لأفعل ، وهلك وله منها عبد الله بن حسن وإبراهيم

ابن حسن ، فلما انقضت عدتها دعت مولاة لها يقال لها زير ، فقالت :

إيتي عبد الله بن عمرو فقلولي له : أعرنا بغلَّتكَ الشهباء برحالتها ، فإنني

قد أردت أن أسير إلى بعض أموال ولدي بالعالية ، فأنته فقال يا زير

إلو كان لي إلى مولاتك سبيل ؟ ارحلوا لها البغلة ، فلما جاءت قالت : هل

لقيته ؟ قالت : نعم ، قالت : فما قالت لك ؟ قالت : قال : لو كان لي إلى مولاتك

سبيل ؟ قالت : ويلك ، وأين المذهب عنه ! فرجعت زير فدخلت عليه

وأعلمته ، فأرسل اليها فخطبها فزوجته ، وولدت له الهيثم ومحمد ورقية

وكان لها من الحسن ثلاثة ومن عبد الله ثلاثة .

وروي عن سيبك بن حرب أنه قال : كانت العرب تقول : لم تنه امرأة

قط عن رجل إلا تزوجته .

وقال ابن عباس : حدثني شيخ من بني ضبة قال : كان رجل منا ظريفا

شريفا احتضر ، فبينما هو يجود بنفسه وبني له يسمى وعمر يدب بين يديه ،

فنظر إليه وبكى ، ثم التففت إلى امرأته فقال يا هذه :

إِنِّي لَأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ فَتَنْسَكِحَنِي وَيَقْذِفَ فِي أَيْدِي الْمَرَاضِعِ مَعْمَرٌ
فَخَالَتْ سَتُورٌ بَعْدَهُ وَوَلِيدَةٌ وَأَشْغَلَهُمْ عَنْهُ نَحُورٌ وَمِجْمَرٌ (١)

قَالَتْ : مَا كُنْتُ فَاعِلَةً ، قَالَ الشَّيْخُ : فَوَاللَّهِ مَا انْقَضَتْ عَنْهَا عِدَّتُهَا حَتَّى تَزَوَّجْتَ بِشَابٍّ مِنَ الْحَيِّ ، وَرَأَيْتُ مَعْمَرَ أَيْ وَصَفَ
قَالَ : وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورٌ
كُلُّ أَنْثَى وَإِنْ بَدَأَ لَكَ مِنْهَا غَايَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورٌ (٢)

وَإِنَّ الْوَفَاءَ فِيهِنَّ عَزِيزٌ غَيْرُ مُوجُودٍ ، وَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَعُرفِنَ
بِذَاكَ ، فَنِي الرِّجَالِ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ غَدْرًا ، وَأَسْرَعُ مِنْهُمْ خَيْرًا ، وَأَسْمَحُ
مِنْهُمْ تَنَقُّلاً ، وَأَقْبَحُ مِنْهُمْ تَبَدُّلاً

خُبِّرْتُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ يُظْهِرُ الْوَجْدَ لِمْرَأَتِهِ ،
وَالْحُبَّ لَهَا ، وَكَانَتْ تُظْهِرُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَتَعَاهَدَا أَلَّا يَتَزَوَّجَ مِنْهُمَا الْبَاقِي بَعْدَ
صَاحِبِهِ ، فَاخْتَرَمَتْ (٣) الْمَرْأَةُ قَبْلَهُ ، فَخَطَبَ الرَّجُلُ امْرَأَةً مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ :
أَتُخَطِّبُ بَعْدَ يَمِينِكَ وَعَهْدِكَ ؟ فَقَالَ :

خَطَبْتُ كَمَا لَوْ كُنْتُ قَدْ مِتُّ قَبْلَهَا اسْكَنْتِ بِلَا شَيْءٍ لَأَوَّلُ خَاطِبٍ
إِذَا غَابَ بَعْلٌ كَانَ بَعْلٌ مَكَانَهُ وَلَا بَدَّ مِنْ آتٍ وَآخَرَ ذَاهِبٍ

(١) المِجْمَرُ : مَا يُوضَعُ فِيهِ النَّارُ الْمُتَقَدَّةُ .

(٢) خَيْتَعُورٌ : كُلُّ شَيْءٍ يَتَلَوَّنُ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ ، وَالْخَيْتَعُورُ : الْغَادِرُ ، وَقِيلَ الذَّنْبُ ،
سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا عَهْدَ لَهُ وَلَا وَفَاءَ ؛ وَامْرَأَةُ خَيْتَعُورٍ : لَا يَدُومُ وَدَهَا ، مُشَبَّهَةٌ بِذَلِكَ ؛
وَيُرْوَى الْبَيْتُ :

كُلُّ أَنْثَى وَإِنْ بَدَأَ لَكَ مِنْهَا آيَةُ الْحُبِّ حُبُّهَا خَيْتَعُورٌ
وَالْغَايَةُ : النِّهَايَةُ . وَالْآيَةُ : الْعَلَامَةُ .

(٣) اخْتَرَمَتْ : مَاتَتْ .

وخبّرت أنّ بعض ولاية العهود كانت له جارية ، فكان يُظهر الميل إليها ،
والاستهتار بحبّها ، وكان يقول لها : إذا أفضت الخلاقة إليّ أن يفضلها على
نساءه ، ويقدمها في البرّ والكرامة عليهن ، فلما بلغ من ذلك أمّله ، جفاها
واطرحها وقلّاه^(١) ، فكتبت إليه :

أَيْنَ ذَاكَ الْوُدُّ وَالْقَبُولُ وَأَيْنَ مَا كُنْتَ لَنَا تَقُولُ ؟

فكتب إليها :

قَدْ قَالَ فِي أَشْعَارِهِ لَيْيِدُ يَا حَبِذَا الطَّارِفُ وَالتَّلِيدُ

فعلبت أنه لا حاجة له فيها

فهذا في القبح يتجاوز غدر النساء ، ويعلو على كثير من جنایات الإماء ،
وإنهنّ والله — على ما فيهن من الغدر والخيانة والشر — لربما عشقن فاشترن ،
ووفين فأحسنّ

وإنّ من حسن ما بلغ من وفائهنّ : ما صنّعه ابنة الفرافصة مع عثمان بن
عفان رضى الله عنه ، وكان من قصّتها أنّ سعيد بن العاص تزوج هند ابنة
الفرافصة بن الأخوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن
عدى بن جناب الكلبيّة ، فبلغ ذلك عثمان بن عفان ، فكتب إلى سعيد :
أمّا بعد ، فقد بلغني أنّك تزوجت امرأة من كلب ، فكتب إلى بنسبها وجمالها ،
فكتب إليه سعيد : أمّا بعد ، أمّا نسبها فهي ابنة الفرافصة بن الأخوص ،
وأمّا جمالها فيضاء مديدة ، والسلام ، فكتب إليه عثمان : إن كانت لها أخت
فزوّجنيها ، فبعث سعيد إلى أبيها فخطب إليه إحدى بناته على عثمان ، فقال
الفرافصة لابن له يدعى ضبّا ، وكان قد أسلم وأبوه نصراني : يا بُنَيَّ زوِّجْ

(١) اطرحها : أبعدها . قلّاه : أبغضها .

عثمان بن عفان أختك ، فزوجه ، فلما أراد حملها ، قال لها أبوها : أى بنية ، إنك ستقدمين على نساء قريش : وهن أقدر على الطيب منك ، فاحفظي عني اثنتين ، تسكحن أو تطيبن بالماء ، حتى تسكون ريحك كريح الشباب المطهرين ؛ فلما حلت شق عليهما الغربة ، واشتاقت إلى أهلها ، فقالت :

ألمت ترى يا صَبُّ بالله أنسى مُصاحبة نحو المدينة أركبا
إذا قطعوا خرقة تخب ركابها كما عزعت ريح يراعاً مقصبا
لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم لك الويل ما يغني الخباء المطنبا^(١)

فلما قدمت على عثمان بن عفان ، قعدت على سرير ، وألقى لها سريراً حماله ، جلست عليه ، ورفع العمامة عن رأسه فبدأ الصلح ، فقال : يا ابنة الفرافصة لا يهولنك ما ترين من الصلح ، فإن من ورائه ما تحبين ، قالت : إني لمن نسوة أحب بعولتهن إليهن الكهول البيض السادة ، فقال : إنما أن تقومين إلى ، وإما أن أقوم إليك ، فقالت : ما تجشمت من كراهة جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك ، ثم قامت إليه فجلست إلى جانبه ، فمسح رأسها ، ودعا بالبركة ، وقال : اطرحي عنك خمارك ، فطرحته ، ثم قال : اخلعي درعك فخلعته ، ثم قال : حلّي ازارك ، فقالت : ذاك إليك ، فخله ، فكانت من أحظى نساءه عنده ؛ فلما كان يوم الدار أهوى رجل إلى عثمان بالسيف ، فألقت نفسها عليه ، فضرب عجزتها ، وكانت من أعظم النساء عجيزة ، فقالت : أشهد أنك فاسق ، لم تأت غضباً لله ولا لرسوله ، فأهوى إليها بالسيف ليضربها ، فاتتته بيدها فقطع أصبعين من أصابعها ، فلما قتل عثمان ، قالت فيه ترثيه :

ألا إن خير الناس بعد نبيه قتيل التجوبي الذي جاء من مصر

(١) طنب البيت : شيدته بالأطناب ، والأطناب جمع طنب ، وهو حبل طويل يشد به سرادق البيت .

وما لي لا أبكي وتبكي قرأبي وقد ذهبت عنا فضول أبي عمرو
 فبعث معاوية بمد ذلك يخطبها ، فزعت ثيئتيها العليا ، وقالت : أذات
 عروس هذا : فهذا الله حسن من وفاء النساء
 وقد تقدم ذكر جماعة من أهل الوفاء اللاتي قتلن أنفسهن أثر
 متعشقين ، أغنى عن كثير من أخبارهن
 وقد روى أيضا عن أبي حنيفة الأسدي قال : نشأ فينا غلام يقال له
 عبد الله بن علقمة ، فعلق جارية منا يقال لها حبيشة ، لم تسكن من فخذ^(١)
 وكان يتحدث إليها كثيرا ، فخرج ذات يوم من عندها فنظر إلى ظبية على
 رابية ، فالتفت إلى أمه وهو يقول :

يا أمي خبريني ، غير كاذبة وما يريد مسؤل الخبر بالكذب
 حبيش أحسن ، أم ظبي رابية لا بل حبيشة من ظبي ومن ذهب

ثم انصرف من عندها مرة أخرى ، فأصابته السماء ، فأنشأ يقول :
 وما أدري إذا أبصرت يوما أصوب القطر أحسن أم حبيش^(٢)
 حبيشة والذى خلق الهدايا على أن ليس عند حبيش عيش

فلما سمع بذلك قومه ، قالوا لأمه : هذا غلام يتيم لا مال عنده ، وآل تلك
 يرغبون عنكم ، فانظري له بعض نساء قومه ، لعله يسلمى عنها ، فزوجته جارية
 ذات جمال وكمال ، وزينتها بأحسن زينة ، وأقامتها بين يديه ، فلما نظر إليها
 قال : مرعي ولا كالسعدان ، فذهبت كلمته مشلا ، والسعدان نبت يرعاه ابل
 الملوك : فعملوا أنه لا ينصرف عن هواها ، فتواعدوا حبيشة ، وقالوا : إذا جاء
 فأعرضي عنه وتجهمي^(٣) بالكلام رجاء أن ينصرف بعض الانصراف ، فلما

(١) الفخذ : حي الرجل . (٢) الصوب والقطر : المطر

(٣) تجهمه : استقبله بوجه عبوس

رأها لم تستطع أن تفعل ما أُمِرَتْ بِهِ ، غير أنها جعلت تنظر إليه وتبكي ، فعلم بقصتها ، فانصرف وهو يقول :

وما كان حُبِّي عن نوال بذلتُهُ فليس بِمُسْلِيهِ التَّجَهُّمِ والهَجَرُ
سِوَى أَنْ دَأَى مِنْكَ دَاءُ مُودَّةٍ قَدِيمًا وَلَمْ يُزَجَّ كَمَا مُزَجَّ الْخُمْرُ
وما أنْسَ مِلاشِيَاءَ لَا أنْسَ دَمْعَهَا وَنَظَرَهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِي الْقَبْرِ

ثم مكثا على حالهما وطول وجدهما إلى أن وافتهما خيل خالد بن الوليد يوم الغميصاء ، فأخذاً فيمن أخذ من الأسرى ، فأوثقاً رباطاً ، وهذا حديث مشتهر قد رواه محمد بن حميد الخراساني عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق ، وحكاه المدائني عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة الثقفي ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن أبي حذرد الأسلمي ، عن أبيه قال : كنت يوم الغميصاء ، وهو يوم بني جذيمة ، في خيل خالد بن الوليد المخزومي ، حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل وأسر ، فقال لي قتي منهم ، وقد جمعت يداه إلى عنقه ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا قتي ، هل أنت أخذ بزمام ناقتي فقائدي الى هؤلاء النسوة فأقضي اليهن حاجة ، ثم ترى بعد ذلك ما بدا لك ؟ قلت : يسير ما سألت ، فألحقته بهن ، فوقف عليهن فقال : اسلمي حبيش على نفاذ العيش .

قالت : وأنت فاسلم سعت سقاك ربّي الغيث ، ثم قالت : وأنت فحييت عَشْرًا وَسَبْعًا وَتَرَا وَثْمَانِيًّا تَتَرَى ^(١) فقال الفتى :

أَرَيْتُكَ إِذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِحَلِيَّةٍ أَوْ أَلْفَيْتُكُمْ بِالْخَوَائِقِ
أَلَمْ يَكْ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ يُكَافُ إِدْلَاجَ السَّرَى وَالْوَدَائِقِ ^(٢)

(١) تترى ؛ أصليها وتري ، ومعناها مجيء الواحد بعد الآخر .

(٢) أدج : سار من أول الليل أو في آخره . السرى : السير ليلاً . الودائق : جمع

الوديقة : شدة الحر .

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ نَحْنُ جِيرَةٌ
أُثْبِي بُودَّ قَبْلِ أَنْ يَشْحَطَ النَّوَى
وَأَيْسَى عَدُوٍّ بِالْحَبِّ الْمَفَارِقِ^(٢)
وَلَا رَاقَ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاقُ
عَلَى أَنْ مَا نَالَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلُ^(٣)
عَنِ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ^(٤)

ثم بكى وبكت ، ثم أنشأ يقول :

فَإِنْ يَقْتُلُونِي يَا حُبَيْشُ فَلَمْ يَدَعْ
وَأَنْتِ الَّتِي أَنْحَلْتِ جِلْدِي عَلَى دَمِي
وَعَظْمِي وَأَسْبَلْتَ الدَّمُوعَ عَلَى النَّحْرِ
ثُمَّ انصرفتُ به فضربت عنقه ، فنظرتُ إليه فأقبلتُ حتى أَكَبَّتْ عَلَيْهِ .
وقد فعلت مثل ذلك عفراء بنت عِقال بعروقة بن حزام لما بلغها موته ،
استأذنت من زوجها في زيارة قبره ، فخرجت في نسوة لها حتى وردت قبره ،
فلما رآته من بعيد صرخت ثم دنت فرمت بنفسها عن راحلتها . ثم جعلت
تبكي وتشهق إلى أن خمد صوتها ، فدنا منها فوجدوها ميتة ، فدفنت إلى جانبه .
وروى الأصمعيُّ أيضاً قال : خرجت أريد بعض أحياء العرب فجئني
الليل^(٤) ، وبتُ في جَبَّانٍ ، وتوسَّدتُ قبراً : فسمعتُ في الليل من القبر
قائلاً يقول :

أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْخَيَالَيْنِ عَيْنَا وَبِمَسْرَاكِ يَأْسُوعَادُ إِلَيْنَا
وَخَشَّةً مَا لَقِيتُ مِنْ خَلَلِ الْقَبْرِ رِ عَسَى أَنْ أُرَاكَ أَوْ أَنْ تَرِنَا
فأرقت له ليلتي ، فلما أصبحت دخلتُ الحيَّ ، فاذا بجنازة قد أُقْبِلَ بها ،

(١) الصفائق والصوائق : الحوادث .

(٢) شحط المكان : بعد .

(٣) توامق الرجلان : تحابا .

(٤) جن الليل : أظلم .

فَسَأَلْتُ عَنْهَا قَبِيلٌ : هَذِهِ سَعَادٌ كَانَتْ تُحِبُّ ابْنَ عَمِّهَا ، وَانَّهُمَا تَعَاقِدَا عَلَى الْوَفَاءِ ، فَمَلَكَ قَبِيلَهَا ، فَلَمْ تَزَلْ تَبْكِي عَلَيْهِ ، فَهَا هِيَ قَدْ لَحِقَتْ بِهِ ، فَتَبِعَتْهُمْ حَتَّى دَفِنْتُ إِلَى جَانِبِ الْقَبْرِ الَّذِي بَتُّ عَنْدهُ ، وَإِذَا هُوَ قَبْرِ ابْنِ عَمِّهَا ، فَخَبَرْتَهُمْ بِمَا سَمِعْتُ وَانْصَرَفْتُ .

وَرَوَى أَنَّ مَالِكَ بْنَ عَمْرِو النَّخَعَانِيَّ تَزَوَّجَ ابْنَةَ عَمٍّ لِلنَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ ، فَأَحَبَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَكَانَ شَجَاعًا بَطَلًا مَقْدَامًا ، فَعَمِدَتْ إِلَيْهِ إِلَّا بِبَاشِرٍ حَرْبًا ، ثُمَّ أَنَّهُ غَدَا فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَطَعَنَ ، فَقَالَ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي عَنْ غَزَالِ تَرْكُوتِهِ إِذَا مَا أَتَتْهُ مَيْتَتِي كَيْفَ يَصْنَعُ
أَيَلْبَسُ أَثْوَابَ الْحِدَادِ تَفْجَعًا عَلَى مَالِكٍ أَمْ فِيهِ لِلْبَعْلِ مَطْمَعٌ ^(١)
فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْمُؤَخَّرَ بَعْدَهُ لَمَّا بَرَحْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ تَقْطَعُ
فَلَمَّا أَتَاهَا خَبَرَهُ اسْتَمْسَكَ لِسَانُهَا حَوْلًا ، فَقَالَ رَهْطَهَا وَعَشِيرَتَهَا : أَلَوْ زَوَّجْتُمُوهَا غَيْرَهُ ، لَعَلَّهَا تَسْلَى وَتُفِيقُ ؟ فَزَوَّجُوهَا رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، فَسَاقَ إِلَيْهَا هَدِيَّةَ عَظِيمَةِ الْقَدَرِ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ بِنَائِهِ بِهَا أَخَذَتْ بَعْضَادَتِي الْبَابَ ^(٢) ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

يَقُولُ رَجَالٌ : زَوَّجُوهَا لَعَلَّهَا تُفِيقُ وَتَرْضَى بَعْدَهُ بِحَلِيلٍ
فَأَضْمَرْتُ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهُ رَجَاءُهَا وَالصَّدْقُ أَفْضَلُ قِيلٍ
أَبْعَدُ ابْنَ عَمْرِو سَيِّدِ الْقَوْمِ مَالِكٍ أَزَفُ إِلَى زَوْجِ بَعْضَبِ كَلِيلٍ ^(٣)

(١) تفجع : توجع .

(٢) عضادتا الباب : خشبتاه من جانبيه .

(٣) العضب : السيف . الكليل : الذي لا يقطع .

وخبرني أصحابه أن مالكا
 وخبرني أصحابه أن مالكا
 وخبرني أصحابه أن مالكا
 وخبرني أصحابه أن مالكا
 فما كان يشربني خليسي بخلة
 فقال لها بعلها : ارجعي الى أهلك ، ولك كل ما سقت إليك ، مثلك
 فليزوج الرجال .

ومن حسن وفاءهم أيضا ، ما رواه الهيثم بن عدي ، فإنه كان في
 بني عامر بن صعصعة امرأة توفى عنها زوجها . ولها ابنا عم ، فصارا إلى
 بعض شيوخهم ، فقالا له : فلانة جارية شابة ، والقاله^(١) إلى مثلها سريعة ،
 فوجه إليها فلتحضر ، وأعرض عليها أينما أهوى إليها ، حتى يتزوجها ، فوجه
 الشيخ إليها فأتته ، فعرض عليها مقاتلتهما ، فأطرقت مليا تنكت الأرض حتى
 حفرت فيها حفيرة وملاؤها من دموعها ، وكان زوجها دفن بمقبرة تدعى
 بحوضي ، فالتفت الى ابني عمها وأنشأت تقول :

فإن تسألاني عن هواي فإنه
 وإن تسألاني عن هواي فإنه
 ولاني لأستحييه والموت دوننا
 أما بك إجلالا وإن كنت في الثرى
 رهين بحوضي أيها الفتيان
 رهين له بالحب يا رجلا
 كما كنت أستحييه حين يراني
 لوجهك يوما أن يسؤك مكاني

(١) العلات : الحالات والشؤون المختلفة .

(٢) الشفرة : حد السيف .

(٣) القالة : ما يبتدعه الناس كذبا .

وقامت فانصرفت ، فقال : قد رأيتهما وسمعتهما ، فانصرفا وقد يئسا ، ثم لقيها يوما في المقابر وعليها مصبغات^(١) وحلي^(٢) وحلل ، فقال أحدهما لصاحبه : ما ترى في أي زى خرجت ، والله ما أراها الا متعرضة^(٣) للرجال ، هلم فلننظر ما تصنع ، فقربا منها ، فأتت القبر فالتزمته ، ثم أنشأت تقول :

يا صاحب القبر يا من كان يؤنسني	وكان يحسن في الدنيا مؤاتاني
أزور قبرك في حلي وفي حلل	سكأني لست من أهل المصيبات
أتيت ما كنت من قربى تحب وما	قد كان يلهمك في ألوان لذاتي
ومن يراكني يرى عبرى مفاجئة	طويلة الحزن في زوار أهوات

ثم شهقت فماتت .

ومثل هذا وأشباهه من الوفاء قليل في النساء ، وهو من وفائهن عجب ، والغدر عليهن أغلب ، إذ على ذلك طبع خلقهن ، وعليه جعلت بنيتهن ، وسأصف لك جملة من مكرهن ، لتقف به على غدرهن إن شاء الله ولا قوة إلا بالله

آخر الجزء الأول من كتاب الموشى

من أجزاء أبي الطيب بن الوشاء

والحمد لله كثيرا وصلواته على محمد نبيه وآله وسلامه

وحسبى الله ونعم الوكيل

(يتلوه الجزء الثاني من كتاب الموشى)

(١) مصبغات : أثواب ملونة .

(٢) تعرض للشئ : تصدى له وطلبه .

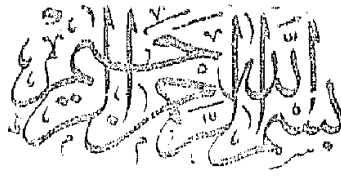
الجزء الثاني

من كتاب الموشى

تأليف

أبي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشا

رحمة الله عليه



لا إلهَ إلا الله وحده ، لا شريكَ له ، الحمد لله ربّ العالمين ، وسلام على عباده الذين اصطفى

(أما بعد) فإنّه قد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب أشياء من عُيُونُ فُنُونِ الأدب ، يرغب فيها ذوو الحِجَى ، وينتهي إليها ذوو الشُّهَى ، وقد مضى من الجدِّ عدّة أبواب ، فيها تقنع لذوى الألباب ، ولا بد من خلطها بشيء من الهزل ، إذ في ذلك ترويحٌ لقلوب ذوى العقل ، وآخر ما ذكرنا في الجزء الأول ذكر الوَفِيَّاتِ من النساء ، وأنا أتبعه في هذا الجزء بباب ذكر ذوات الغدر من الاماء ، ثم أصله بما يتصل ، وأفضله من حيث ينفصل ، إن شاء الله وبه القوة .

٢٠ - باب صفّة نرس القيان

ونفوذ حيلتهن في الفتيان

إعلم أنّهُ لم يُبتَلْ أحد من أهل المروءات والأدب ، وأهل التظرف والأرب ، ولا امتحن سرّة ^(١) الفتيان ببليّة ، هي أعظم من هوى القيان ^(٢) ، لأنّ حبّهنّ حبٌّ كذوب ، وعشيقٌ عشيقٌ مشوب ^(٣) ، وهواهنّ منسوب إلى الملل ، ليس بثابت ولا متصل ، وإنّما هو لطمع وعرض ^(٤) ، وهنّ سريعات الغرض ، يُستدلّ على ذلك بأفعالهن الرديّة ، وأخلاقهن السيّئة ، وأنهنّ إن

(١) السراة : جمع السرى : صاحب الشرف والمروءة والسخاء

(٢) القيان : جمع القينة : الأمة ، المغنية ، الماشطة

(٣) المشوب : الخلوّط

(٤) العرض : المتاع ، العطاء

يقصدن إلا أهل النشَب^(١) ، ويصدفن^(٢) عن ذوى الحسب ، وأنَّ محببتهم تظهر
ما ظهرت علامات اليسار والمال ، وتنتقل عند الافلاس والاقلال ، وليس
إظهارهنَّ للمحبة ممَّا ينعقد عليه منهنَّ ذوو الآداب . ولا بما يتخدع به لهنَّ
ذوو الالباب ، وكلُّ ذلك منهنَّ غرور ، وخداع وزور ، ولا مرجع له
ولا محصول ، وإنما أمرهنَّ عند ذوى الجهالة مجبول ، وما رأيت لكثير من
الادباء الذين سلكوا سبيل التشبيب بالنساء ، رغبة في تعشق الاماء ، وقد
أنشدني بعض الظرفاء :

ليس عشقُ الاماءِ من شكلٍ مثلي إنما يعشقُ الاماءِ العبيدُ
صِلْ إذا ما وصلتَ حُرَّةَ قَوْمٍ قد حماها آباؤها والجودُ
ومن أدلَّ الاشياء على خبث سرائر الاماء ، أنَّ الواحدة منهنَّ إذا رأت
في مجلسٍ قى له غنى وكثرة مال ، ويسار وحسن حال ، مالت إليه لتخدعه ،
وأقبلت عليه لتصرعه ، ومنحته نظرها ، وأبدته بصرها ، وغمزته بطرفها ،
وأشارت إليه بكفها ، وغنت على كاساته ، ومالت إلى مرضاته ، وشربت من
فضلة كأسه ، وأومأت إلى تقييل رأسه ، حتى توقّع المسكين في حبالها ،
وترهقه باحتياها ، وتعلق قلبه بحبها ، وتطمعه في قربها ، وتحويه بلطف تملقها ،
وتستبيه^(٣) ببديع تقنعها ، وبالمسكر والخداع ، وتطلبها للاجتماع ، وتباكيها
لفرقتها ، وتحازنها عند رَوْحته ، ثم ترسل إليه بالرُّسل ، وتُعاديها بالختل^(٤)
وتُخبره عن سرِّها ، وتُنبئُه عن فكرها ، وتشكو إليه القلق ، وتخبره بالارَق ،

(١) النشَب : العقار

(٢) صدَف عن الشيء : ارتد وانصرف

(٣) تستبيه : تأسره

(٤) الختل : الخداع

وتبعث إليه بخاتمها ، وفضلة من شعرها ، وقلامه من ظفرها ، وشظية من
مضربها ، وقطعة من مسواكها ، ولبيان قد جعلته عوضاً من قبلتها ، وهضغة
لتخبره عن نكبتها ، وكتاب قد نقته بظرفها ، وطيبته بكفها ، وسحته بوتر
من عودها ، ونقطت عليه قطرات من دمعها ، وختمته بغالية قد عدل بالعنبر
متمها ، واستمسك تحت الخاتم عجنها ، وطبع عليه بفص قد نقشته عليه
بعض مداعبتها ، وتمثلت عليه ببعض مجاتها ^(١) ، وضمنت الكتاب شكوى
شوق مريض ، وصفة شوق ممرض ، تسأله المواتاة على حبها ، والإعانة على
كربها ، وأن يبعث يطلب زيارتها ، لتقر بالنظر إليه عينها ، ويتفرج ^(٢) عنها
حزنها ، فيطمع الغمر ^(٣) في قربها ، ولا يشك في الكلام في إخلاص حبها ،
فيميل إليها بوده ، وتُصفيه بمكنون حبه ، حتى إذا حوت عقله ، وصارت
شغله ، واستمالت لبه ، وسلبت قلبه ، واستمكننت من قلبه ، ووثقت بصحيح
حبه ، وعلمت أنه غريق في بحر البلية ، أخذت في طلب الهدايا السرية ،
وتشبهت الشيا ب العذرية ، والأزر النيسابورية ، والأشفاق الانجائية ،
والأردنية الرشيدة ، والعمائم السوسية ، والتكك الأبريسمية ، والخفاف
الرنائية ، والنعال الكنباتية ، والحلق المحشوية ، والعصائب المرصعة ،
والدستينجات المفصلة ، وخواتيم الياقوت المشمئة ، وتمازيت من غير سقم ،
وشكت من غير ألم ، وفصدت من غير علة وداء ، وتعالجت من غير حاجة
منها إلى الدواء ، لتجيمها هدايا ذوى الوجد ، في المرض والنفسد ، من القمص

(١) مجن : مزح وقل حياء

(٢) تفرج الغم : تكشف

(٣) الغمر : من لم يجرب الأمور ، الجاهل

الْمُعْتَبِرَةِ ، وَالْغَلَائِلُ الْمَمْسُوكَةِ ، وَالْأَرْدِيَّةُ الْمَرْشُوشَةُ ، وَاللِّخَالِخُ الْمَعْجُونَةُ ،
وَوَحَاثِقُ السَّكَافُورِ الْمَنْظُومَةِ ، وَمَرَاثِلُ الْقَرَنَفُلِ الْجَمْرَةِ ، وَالْمَسَكُ الْأَذْفَرُ ،
وَالْعَنْبَرُ الْأَشْهَبُ وَالْعُودُ الْهِنْدِيُّ . وَالنَّدَى الْخَزَائِنِيُّ ، وَالْمَأْوَرَدُ الْجَوْرِيُّ ،
وَالْحَمْلَانُ الْحَوْلِيَّةُ ، وَالْجَدَاءُ الرُّضْعُ ، وَالْبَطُّ الصِّينِيُّ ، وَالْفَرَارِيحُ
السَّكْسُكْرِيَّةُ ، وَالْدَجَاجُ الْفَائِقُ ، وَالْفَرَاخُ الْمُسَمَّنَةُ ، وَالنَّبَاتِيحُ الْمَنْضُدَةُ بِأَنْوَاعِ
الرِّيَاحِينَ . وَالْفَاكَةُ يَتْبَعُهَا صَنُوفٌ مِنَ الشَّرَابِ ، مِنَ الْمَعْسَلِ وَالذُّوْشَكِ ،
وَالْمَطْبُوحِ وَالْمَشْمُسِ ، وَنَبِيذِ السُّكَّرِ ، وَالْقَشْمِشِ ، ثُمَّ الدَّنَانِيرُ الْجَدِيدُ الشَّهْرِيَّةُ ،
وَالدَّرَاهِمُ الْمَسِيْفَةُ الدَّارِيَّةُ ، فِي خَرَائِطِ الدِّيْبَاجِ الْإِبْرِيْمِيَّةِ ، وَمُنَادِيلِ
الْوَشْيِ الْأَنْجَمِيَّةِ ، فَلَا تَزَالُ فِي هَدَايَا مُتَوَاتِرَةٍ ، وَأَلطَافٍ مُتتَابِعَةٍ ،
وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ الْعِيدَانِ الْعَرَعَرُ الْمُوزُونَةُ ، وَالْمُضَارِبُ الْمَدْهُونَةُ ،
وَالْأَوْتَارُ الصِّينِيَّةُ ، حَتَّى إِذَا نَفَدَ الْيَسَارُ ، وَذَهَبَ الْإِكْشَارُ ، وَأُتْلِفَ الْمَالُ ،
وَجَاءَ الْإِقْلَالُ ، وَأُحْسِنْتَ بِالْأَفْلَاسِ ، وَتَفَرَّغَ الْأَكْيَاسُ ، أَظْهَرْتَ الْمَلَلَ ،
وَأَعْلَنْتِ الْبَدَلَ ، وَتَبَرَّمتْ بِكَلَامِهِ ، وَضَجَرَتْ بِسَلَامِهِ ، وَطَلَبْتَ عَلَيْهِ الْعِلَالَ ،
وَتَفَقَّدْتَ مِنْهُ الزَّلَالَ . وَتَتَبَّعْتَ عَلَيْهِ سَقَطَاتِهِ ، وَتَيَمَّمْتَ عَثَرَاتِهِ ، وَأَخَذْتَ فِي
الْجَفَاءِ وَالْعِتَابِ ، وَالْقَلَى وَالْإِبْعَادِ ، وَصَرَفْتَ عَنْهَا هَوَاهُ ، وَمَالَتِ إِلَى سِوَاهُ ،
وَنَفَرْتَ بَعْدَ الْقُرْبِ ، وَأَبْغَضْتَهُ بَعْدَ الْحُبِّ ، فَخَيْئْتُ يَدْرِكُ الْمَغْرُورَ النَّدَمُ ،
وَيُلْحِقُهُ الْأَسَفُ ، حِينَ لَا تُغْنِي عَنْهُ الْحِيلَةُ ، وَلَا يُجْدِي عَلَيْهِ اللَّهْفُ ، وَيَقَعُ
بَيْنَ لَيْتَ وَلَوْ وَهِيَّاتٍ ، وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِثْنَائِهِ
مَا سَلَفَ مِنَ الْأَيَّامِ ، بَعْدَ الْإِشْرَافِ عَلَى وَرُودِ حِيَاضِ الْحَمَامِ .

وَقَدْ أَنَشَدَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ لِبَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :

صَحَوْتُ فَأَبْصَرْتُ الْغَوَايَةَ مِنْ رُشْدِي وَأَيَقَنْتُ أَنِّي كُنْتُ جُرْتُ عَنِ الْقَصْدِ

فَلَا يَعْشَقَنَّ مَنْ كَانَ يَعْشَقُ قَيْنَةً
تَوَدُّكَ مَا دَامَتْ هَدَايَاكَ جَمَّةً
إِذَا مَا رَأَتْ فِي مَجْلِسٍ مَنْ تَخَالَهُ
وَعَنَّتْ عَلَى أَقْدَاحِهِ كُلِّ مَا اشْتَهَى
وَتُوِّمِي إِلَيْهِ إِشْرَبِ الرَّطْلَ وَاسْقِنِي
فَيَمْتَلِي الْمَغْرُورُ عِنْدَ مَقَالِهَا
فَإِنْ جَاءَ وَقْتُ الْإِنْصِرَافِ تَحَاذَنْتُ
وَيَعْدُو إِلَيْهِ فِي الْفِرَاشِ رَسُولُهَا
وَيَالَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ بَتَّ فَإِنَّنِّي
فَلَا يَجِدُ الْمَغْرُورُ مِنْ دَفْعِ جَذْرِهَا
وَتُسْرِعُ فِي إِتْيَانِهِ لِيَطْمَئِنَّا
فَإِنْ هِيَ جَاءَتْ عَانَقَتْهُ وَقَبَّلَتْ
وَتَحْدُمُهُ عَمْدًا فَإِنْ قَالَ إِنَّهُ
تَقُولُ لَهُ ذَا الْبَيْتِ يَتْنِي وَإِنَّمَا
فَتُصْبِحُ عَيْنِي بِالْوِصَالِ قِيرَةً
فَإِذَا دَأَّبَهَا حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْهَوَى
فَتَفْضِدُ لَا مِنْ حَاجَةٍ لِفَصَادِهَا

فَمَا هُوَ مِنْهَا فِي سَعِيدٍ وَلَا سَعْدٍ
وَتَرَفِدُكَ عِشْقًا مَا غَنِيَتْ أَخَارِفِدُ^(١)
غَنِيًّا حَبْتَهُ بِالتَّحْيِيَّةِ وَالْوَدِّ^(٢)
وَقَالَتْ لَهُ مَاذَا تُرِيدُ أَنَا أَفْدِي
فَقَدْ حَزَنْتَ قَلْبِي وَاشْتَمَلْتَ عَلَى وَدِّي
سُرُورًا يَرَى أَنَّ الْمَقَالَ عَلَى جِدِّ
لِفِرْقَتَيْهِ حَتَّى يَقُومَ عَلَى وَعْدِ
تُسَائِلُهُ مَا كَانَ حَالُكَ مِنْ بَعْدِي
رَعَيْتَ نَجُومَ اللَّيْلِ كَفَيْتَ عَلَى خَدِّي
سُرُورًا بِتَعْجِيلِ الزِّيَارَةِ مِنْ بُدِّ
حَبْتِهِ بِتَعْجِيلِ الْحُجَى عَلَى عَمْدِ
يَدَيْهِ وَأَبْدَتْ فَرَحَةً قَلَّ مَا تُجْدِي
لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَصْنَعِي هَكَذَا عِنْدِي
أَوْ هَلْ أَنْ يَبْتَاعَنِي سَيِّدِي وَحْدِي
وَأَمِنْ مِنْ سَوْمِ التَّفَرُّقِ وَالْبُعْدِ^(٣)
سَقِيمَ فُؤَادٍ مَا يُعِيدُ وَلَا يُبْدِي
وَلَكِنْ لَتَسْكَيفِ الْهَدِيَّةِ فِي الْفَصْدِ

(١) أرفده : أعطاه ، والرغد : العطاء والمعونة .

(٢) حباه بكذا : أعطاه إياه .

(٣) السوم : الذل .

فمن بين خلخال يُصاغ وخاتم
ومن ثوب خز بعد وشي وملحهم
ويا لك من مسك ذكي وعنبر
فذا فعلها حتى إذا عاد مفلساً
فقولا لمن يهوى القيان تفهموا
وأنشدني بعض المحدثين لنفسه :

يا صاح إن القيان للغمر الـ
يهوين هذا ويشتكين لدا
حتى إذا ما اقتنصن ذا حُقق
نفضنه واستلخن جلدته
وصار كالأس في غضارته
ناوانسه المسح ثم قلن له
خبر شباك يصدن بالملق^(١)
وجهداً ويردقن ذاك بالحدق
مستهنات واستمال للومق
سلخا بطيب الدلال والفنق^(٢)
صفراً بلا طارف من الورق
جئنا به في البياض كاليق^(٣)

وأنشدني بعض الكتاب لفضل الشاعرة :

يا حسن الوجه سىء الأدب
يا ويك إن القيان كالشرك الـ
شبت وأنت الغلام باللعب
منصوب بين الغرور والعطب^(٤)

(١) الغمر : من لم يجرب الأمور . الغر : الشاب الذي لا خبرة له .

(٢) الفنق : التأنيق والتنعيم .

(٣) المسح : الكساء من شعر ، أو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن نقشفا وقهرا للجسد اليق : القطن ، أو جوار النخل أى شحمه الأبيض . ويقال : أبيض يق أى شديد البياض .

(٤) ويك : كلمة مركبة من وى وكاف الخطاب وتقال للزجر ، ويكنى بها عن الويل ، تقول : ويك استمع قولى ، والأصل ويك .

لا يَتَصَدِّقَنَّ لِلْفَقِيرِ وَلَا
يَلْحَظَنَّ هَذَا وَذَا وَذَاكَ وَذَا
بَيْنَا تَشَكَّى إِلَيْكَ إِذْ خَرَجْتَ
وَأَنْشِدْنِي أَحْمَدُ بْنُ غَزَالٍ لِنَفْسِهِ :

إِذَا تَعَرَّضْتَ لِلْقِيَانِ
وَاغْرِمْ عَلَى فَلَسَةٍ أَسَافًا
كَمْ مِنْ ثُرَاثٍ وَمِنْ تَلِيدٍ
أَتْلَفَهُ مُتْلِفٌ عَلَيْهِمْ
مَا زَالِ يَصُبُّوْ إِلَى خُلُوبٍ
إِتَّخَذَتْهُ عَشِيقَ مَالٍ
حَتَّى إِذَا اخْتَلَتْ ثُمَّ حَسَّتْ
غَنَّتْهُ صَوْتًا لَهَا عَتِيدًا
قَدْ نَهَدَ الْكَيْسُ فَاسْبُلُ عَنِّي
وَأَنْشِدْنِي أَيْضًا :

وَمُسْمِعَةٍ غَنَّتْ فَمِلْتُ بِهِمْ جَنِّي
فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ثِقْ بِوَدَّيْ
فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا وَانْقَبِضْتُ كَأَنَّمَا
فَقَالَتْ وَقَدْ أَحْبَبْتَهَا لَتَغْرِنِي
إِلَيْهَا لِأَلْهُو وَالْمُزَاحِ بَسِيطُ
وَصَافٍ كَمَا صَافَى الْخَلِيطُ خَلِيطُ
عَلَّنِي لَدَيْهَا نَعْسَةٌ وَغَطِيطُ
وَرَقَّةٌ فَهَمِي بِالْقِيَانِ مُحِيطُ

(١) الجذر : عدد مضروب في نفسه ، فالعشرة جذر المائة ، لأنك إذا ضربت عشرة في عشرة حصل مائة .

(٢) الخلوب : التي تخدع بلطيف الكلام .

(٣) هاواه : داراه

(٤) العتيد : الحاضر المهيأ .

أراك نشيطاً للسمع تَجِبُهُ
فقلتُ تُراَنِي وَيَكُ أَعْشَقُ قِيْنَةً
إذا خَرَجْتَ مِنْ مَجْلِسٍ وَتَبَدَّلْتَ
وإنْ ذُكِرُوا قَالَتْ وَمَنْ كَانَ حَائِكُ
لَعْمَرِكَ مَا تَهْوَيْنَ إِلَّا دَرَاهِمًا
وَإِنِّي وَرَبَّ الْبَيْتِ، وَاللَّهِ رَاحِمٌ
بِعَيْنِي لِيَنْبِجُ قَبْلَ يَنْفُضَ رِيْشَهُ
هُوَ أَنَا هَوَى يَزِيْ وَيُحِبُّ الْمَرْءَ نِعْمَةً
فَيَعْشَقُنَا مَنْ فِي يَدَيْهِ بَضَاعَةٌ
وَقَالَ أَيْضًا فِي قَصِيدَةٍ لَهُ :

هـ. وَقَدْ أَرْمَعْتُ عَلَى الْإِنْقِطَاعِ
نَقِيٍّ وَلَا يَحْسُنُ الْهَوَى بِالْجِيَاعِ
هـ. وَيَأْوِي إِلَى أَحْسَنِ الْبِقَاعِ
وَأَنْشَدَ لِلْحَكَمِيِّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

قَوْلًا لِمَنْ يَعْشَقُهُ قِيْنَةً
فَقَدْ ثَوَى فِي كَفِّهَا نَيْسَةً
تُؤَاوِلُ الْعَاشِقَ حَتَّى إِذَا
وَلَّتْ بَغْذَرٌ وَقُرُونُ الْفَقَى
يَسْتَفُّ حُزْنًا قَبْلَ إِفْلَاسِهِ
مُسْرَعَةً فِي قَلْعِ أَضْرَاسِهِ
مَا أَخَذَ الْعَشْقُ بِأَنْفَاسِهِ
تَهْتَزُّ بِالْكَشْحِ عَلَى رَاسِهِ

(١) النبط : جمع نبط : قوم من العجم كانوا ينزلون بين العراقيين ، ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم ، ومنه يقال : كلبه نبطية أى عامية .
(٢) القميطة : التام الكامل

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول الشاعر :

مَا لِلْأَجْبَةِ فِي التَّخَشُّعِ عَارُ فَاخْشَعُوا وَإِنْ حَافُوا عَلَيْكُمْ وَجَارُوا
سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِلَّذِينَ تَحْمَلُوا وَنَاوُوا وَمَا شُدَّتْ لَهُمْ أَكْوَارُ^(١)
لَسَكَنَّهُمْ غَدَرُوا بَعْدَكُمْ فِي الْهَوَى وَأَخُو الْقَطِيعَةِ جَائِرٌ غَدَّارُ
مَا إِنْ يُبَالُوا إِنْ جَفَوْكَ وَعَرَّجُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَوْ طَنُّوا أَوْ سَارُوا
لَا بَلْ أَشَدُّهُمَا عَلَيْكَ مُصِيبَةً أَنْ يَفْعَلُوا بِكَ إِذْهُمْ حُضَارُ
لَا تَغْتَبِنَ عَلَى الْقِيَانِ وَلَا عَلَى زَهُوِ الْقِيَانِ فَانْهِنِ تَجَارُ
قَدَّمَ لَهَا مَلَاهِيًا وَمَضَارِبًا وَمَلَاوِيًا يَحْطِي بِهَا الزُّوَارُ
إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ لُطْفَةٍ وَهَدِيَةٍ فَلَاكِ الْهَوَى مِنْهُمْ وَالْإِشَارُ
أَوْ كُنْتَ صَاحِبَ كَيْفٍ أَنْتَ وَمَرْحَبًا فَارْحَلْ فَمَيْشُكَ عِنْدَهُنَّ بَوَارُ
مَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لَكَ شَمٌّ إِقْبَالٌ وَلَا إِذْبَارُ
لَوْ كُنْتَ يُوسُفَ فِي الْجَمَالِ فَإِنَّهُ مَا مَثَلُهُ فِي حُسْنِهِ دِيَارُ
ثُمَّ امْتَنَعْتَ مِنَ الْهَدِيَةِ أَنْسَكُوا مِنْكَ الَّذِي لَا يُشْكِرُ الْأَحْرَارُ
عِنْدِي مِنَ الْقِيَمَاتِ خَيْرٌ بَيْنَ وَمِنَ الْهَدِيَةِ مُنْذَرُ آثَارُ
زَارَ ابْنُ أَحْمَرَ ذَاتَ يَوْمٍ قَيْنَةً فِي فِتْيَةٍ لَهُمْ نَدَى وَوَقَارُ
حَتَّى إِذَا غَنَّتْهُمْ وَسَقَتْهُمْ وَتَجَاوَبَتْ فِي كَفِّهَا الْأَوْتَارُ
قَالَتْ لِأَوْلِيهِمْ أَمَا لَكَ ضَمِيرَةٌ فَأَجَابَهَا إِنِّي قَتَى سِمَسَارُ
قَالَتْ فَأَهْدِ لَنَا إِزَارًا مُعْلَمًا فَأَبُو فَلَانٍ مَا عَلَيْهِ إِزَارُ

(١) سقيا الفلان : دعاء له ، والتقدير : سقاه الله سقيا . رعيًا : اسم من راعي بمعنى حفظ . أكوار : جمع كور : رحل البعير .

ثم انثنت لسؤال آخر منهم
 قالت فليس يهمننا ما زرتنا
 واذا ابن أحمر قد أعد جوابها
 ثم انثنت لسؤاله فأجابها
 فاذا هممت بحفر قبرك فابغى
 فتلجلجت خجلاً وطاطت رأسها
 وكذا القيان ولا أقول جماعةً
 ولا ابن أحمر أيضاً :

عذبني ذو الجلال بالنار
 ولا تغشقت قينة أبداً
 كم من غني تركن ذا عدم
 سلبن منه الفؤاد بالنظر الـ
 وبالتشاجي ألفت مہجته
 حتى اذا ما مضت دراهمه
 ناولته المسح ثم قلب له
 فلا تغرنك قينة أبداً
 فليس في الغدر عندهن إذا

إن هام قلبي بذات أسوار
 حتى ترأني رهين أحجار
 أورثته الذل بعد إكثار
 رطب وغنج وغمز أبصار
 وحسن لحن وقرع أوتار^(١)
 وصار ذا فكرة وتسهار
 بيضه بالنهر نهر بشار
 ودغ وصال القيسان في النار
 هوين أوشن ذاك من عار

(١) القسط : عود يتداوى به . الأظفار : أقطاع تشبه الأظفار عطرة الرائحة .

(٢) القسطار : الناقد العارف .

(٣) التشاجي : الحزن .

وأحسن ابن الجهم حيث يقول :

فأطلق يدًا في بيتسه بتفضل
أشرب بيدًا واغمر بطرف ولا تخف
وَوَلَّ عن المصباح وألح وذمه
وسل غير ممنوع وقل غير مسكت
لك البيت ما دامت هداياك جمّة
تصان لك الأبصار عن كل نظرة
واعلم أنه لا وفاء لهنّ، ولا حفاظ عندهنّ، ولا يد من علي ودّ، ولا يفين
لعاشق بعهد، وهواهنّ مشترك، وحبهنّ مقتسم، وقد أنشدني
بعض الأدباء :

استخبراً زينب عن قولها
أذاك منه حسن جائز
حببك يا زينب من هجنة
فلا تريد جمع هذا وذا
وأنشدي الأمر إلى واحد
لا يحمل المنبر ردفاً ولا
وعادة السوء إذا استحكمت
لست وإن كان الهوى غالي
في رجسٍ يعبد ربين
أم ليس يرضى الله دينين
يسترزق الدهر على اسمين^(١)
فالغمد لا يجمع سيفين^(٢)
ولا تكوني ذات بعلمين
يصلح ملكاً بين اثنين^(٣)
على امرئ شر من الدين
أقنع بالشين على الشين

(١) الهجنة من الكلام : العيب والقبیح ، أو ما يعيبه الانسان

(٢) الغمد : جفن السيف

(٣) الردف : التابع ، أو الراكب خلف الراكب

يَحْلُبُ غَيْرِي وَأَكُونُ الَّذِي يَرْضَى مِنَ الْعَنَزِ بِقَرْنَيْنِ
وأحسن أبو ذؤيب حيث يقول :

تريدن كنيما تجمعيني وخالداً وهل يجمعُ السيفان ويحك في غمدي
وكنتم كرقراق السراب إذا جرى بقوم وقد بات المطى بهم تخدي^(١)
وقال آخر :

ألا يا عاشق القينات جهلاً أردت بأن تكون أبا البهول
أترضى للهوى من ليس يرضى على ضيق الهوى ألفى خليل
وليس هوى القيان ؟ محمود عندي ، ولا عند ذوى الأدب ، وأهل النهى
والأرب ، ولا لأكثرهم ميل إليه ، ولا حرص عليه ، وإن كان قد أنشدني
صديق لي قوله فيهن :

زعموا خلة القيان غرور كل زغم من المقالة زور
قسماً للقيان بالعمد أوفى من جوار تضمهن الخدور
إنما زخراف المفاليس هذا حين قلت صحاحهم والكسور
أهل هذا الزمان أطرى من الآس وكل ثمرة مستور

واحتج في ذلك بأن هوى القيان — على ما فيهن من العيوب —
أسرع إلى النفوس ، وأوقع في القلوب ، وأغلق بالآرواح ، وأخلق
للنجاح ، وهن أقرب أملاً ، وأقل عللاً ، والظفر بهن أسرع من الظفر
بربات الخدور ، والمحجبات وراء الستور ، وأنهن مزورات ، وأولئك
معدومات .

(١) الرقن : ما يتلا . أخذى اخداء : مشى قليلاً قليلاً .

وزعم من طلب القيمة الجدو لمولاها من عشيقها ، وكثرة مؤنتها عليه ،
وطلبها لما لديه ، ومسألتيها الهدايا واللاطف ، والبر والشحف ، إنما هو من
رغبتها في هواه ، وميلها إلى رضاه ، ولأنها تؤثره على العالمين ، وتشتهي قربه
دون سائر المحبين ، لأنه إذا وافى جدوها من عند عشيقها ، مع تتابع الطافه ،
وكثرة بره وإسلامه ، رغب المولى في صفائه ، وطمع في استصفائه ، فأخلاها
معه الأيام الكثيرة ، والليالي المتتابعة .

فهذه جملة من القيان لمن عشق ، ورغبة فيمن وحق ، وليس ذلك عندنا
كذلك ، وإنما هي حيلة ممن احتجّ لهم بالوفاء ، وهن معروفات بالندر
والجفاء ، ولو كان ذلك كما زعموا لم تتغير له عند اختلاله ، ولا قلته عند
إقلاله ، بل كان يكون منها عند ذلك الاسعاف على هواه ، والمواساة في نفسها
في الحياة ، ولكن هو كما قال المؤمل بن أميل :

والغانيات كذاك هن غوادرٌ أبداً حبال وصاكنٌ تجذمُ (١)
يخلبن بالنظر الفتى ويعدنه نيلاً ودون عداتهن الأنجمُ
وكما قال بشار بن برد :

فو الله ما أدري وكلُّ مُصيبةٍ بأى مكيدات النساء أُكادُ
غرورٌ مواعيدٍ كأنَّ جداءها جداء بارقاتٍ منهنَّ جمادُ (٢)

ومع ذلك فلا نفاق للشيوخ عندهن ، ولا لذوى القبح والعدم مطمع
لديهن . على أنهنَّ يحتملن القبح والشيب مع اليسار ، ويكرهنهما مع الفقر
والإقتار ، فإذا اجتمع القبح والشيب مع الافلاس في أى إنسان كان من
الناس ، فليس عندهنَّ مطلب ، ولا لديهنَّ سبب ، ولذلك قال العطوى :

(١) جذمه : قطعه بسرعة فانقطع

(٢) الجداء : النفع والعطاء . والجدا : المطر العام . المزن : السحاب أو ذوالماء منه .

تاهت على بحسبها وجمالها
شيخ وإفلاس وقبح ظاهر
فأجبتها : الإفلاس يذهب الغنى
قالت : فقبح الوجه فيه حيلة
يا صدقها ما كان أوضح حجتي
وقال بعض الأعراب :

طويلات أعناق سباط أكنفها
تأزرن رملاً وارتدين بحلة
وتصرف ودي نحوهن صباية
ومثل ذلك ما روى عن نصيب أنه قال : لقيتني بالطواف امرأة دحداحة^(١)

مزاحة ، فقالت : أنت نصيب ؟ فقلت : نعم ، قالت : ألسنت القائل :
إذا البيض لا يأتين في الحب رقة
وإذا هن يدين الكريم بوده
قالت : لا أراك تكتب إلا درهمك ، فاعضض ببظر أمك ، من أين
تمشط إحدانا إذن ؟
وأزشدني بعض الأدباء :

(١) السباط : الرخصة اللينة . المآكم : جمع المأكمة : حمة على رأس الورك . وهي العجيزة ،
وهما إثنان أو لختان ، وقيل المآكان والمآكتان : اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين .
وقيل : هما بخصتان مشرفتان على الحرقفتين وهما رؤوس أعالي الوركين عن يمين وشمال ،
وقيل : هما لختان وصلتا بين العجز والمثنيين .
(٢) دحداحة : قصيرة

وإذا قلت لها جودي لمن قد براه الحب قالت لي أجل^(١)
 أنت صرّاف فتأتيك له أم بكفّيك نقود تحتمل
 قلت ما تهوين إلا مؤسرا ذا هبات وعطاء وحل
 فأجابني بصوت مسموع كف عنا أنت والله مقل
 أيها الناس ألا أخبركم ليس للحب مع الفقر عمل
 ولقد أحسن أبو الشيص حيث يقول :

حسر المشيب قناعه عن رأسه فرميه بالصد والإعراض
 نبتان لا تصبو النساء إليهما حلى المشيب وحلة الإنفاض
 فوعودهن إذا وعدنك باطل وبروقهن كواذب الإيماض

وروى عمر بن شبة ، عن موسى بن اسماعيل المنقري قال : كان الخجل
 السعدي يعشق امرأة من قومه ، فأتلف عليها كل ما يملكه ، حتى صار يبيع
 البعر^(٢) فاتاها يوما فزبرته^(٣) وطردته ، فأنصرف وأنشأ يقول :

إذا قلّ مال المرء قلّ صديقه وأومت إليه بالغيوب الأصابع
 وقال الأصمعي : عشق رجل امرأة ، وأظهرت له مثل ذلك ، فبعثت إليه
 يوما تسهديه مالا ، فتعذر عليه ، ووجهه بنصف ما طلبت ، فغضبت
 وهجرته ، فمكّبت إليها :

يا أيها الغضبان أن سامني ما مثله ثقل على المؤسر
 جئت بالنصف له كاملا فقال ليس الحب للمقتدر

(١) براه : هزله وأضعفه .

(٢) البعر : جميع ذات الخنف والظلف ، وأحد بكرة .

(٣) زبرته : رمته بالحجارة .

هَبْنِي غَرِيمًا لَكَ يَا مُنَيِّي مَا يَقْبَلُ النِّصْفُ مِنَ الْمَعْمُورِ
فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ :

إِنْ كُنْتَ فِي حَالِكَ ذَا عُسْرَةٍ فَدَعْ طِلَابَ الشَّادِنِ الْأَحْوَرِ^(١)
مَا إِنْ مِنْحَنَّاكَ الَّذِي نِلْتَهُ دُونَ ذَوِي الْبَهْجَةِ مِنْ مَعْشَرِ
إِلَّا لِنَقْضِي حَاجَتِي كُلَّهَا فِي حَالِ ذِي الْعُسْرَةِ وَالْيُسْرِ
وَقَالَ الْأَخْطَلُ يَصِفُ نَفُورَهُنَّ عَنِ الْمَشِيبِ ، وَغَدْرَهُنَّ بِالْكُھُولِ
وَالشَّيْبِ :

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهِنَّ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا
وَإِذَا وَعَدْنَاكَ نَائِلًا أَخْلَفَنَهُ وَوَجَدْتَ عِنْدَ عِدَاتِهِنَّ مِطَالًا
وَقَالَ الْقُطَامِيُّ أَيْضًا :

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهِنَّ فَلَا تَجِبْ فُهْنًاكَ لَا يَجِدُ الصَّفَاءُ مَكَانًا
وَإِذَا رَأَيْنَ مِنَ الشَّبَابِ لِدُونَةٍ فَعَسَى حَبَالُكَ أَنْ تَكُونَ مِتَانًا^(٢)
وَقَالَ جَرِيرٌ :

رَأَيْتُ مَرَّ السَّمِينِ أَخَذَنِي مَنِي كَمَا أَخَذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهَلَالِ^(٣)
فَقَالَتْ فِيمَ أَنْتَ مِنَ التَّصَابِي مَتَى عَهْدُ التَّشَوُّقِ وَالذَّلَالِ^(٤)
فَمَا تَرْجُو وَلَيْسَ هُوَ الْغَوَانِي لِأَصْحَابِ التَّشَحُّجِ وَالشُّعَالِ
وَقَالَ أَيْضًا :

(١) الشَّادِنُ : وَلَدُ الطَّبِيْعَةِ .

(٢) لَدُنْ لِدُونَةٍ : كَانَ لِينَا .

(٣) السَّرَّارُ : آخِرُ لَيْلَةٍ فِي الشَّهْرِ .

(٤) التَّصَابِي : الْمِيلُ إِلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ .

وَإِذَا الشُّيُوخُ تَعَرَّضُوا لِمُودَّةٍ قُلْنَ التُّرَابَ لِكُلِّ شَيْخٍ أُدْرَدَا^(١)
تَلَقَّى الْفَتَاةُ مِنَ الشُّيُوخِ بِلَيْسَةٍ إِنَّ الْبَلِيَّةَ كُلَّ شَيْخٍ أُرْمَدَا^(٢)
وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

أَرَاهَنَ لَا يَحِبُّنَ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوَّسَا
وَأَنشَدَنِي بَعْضُ الْكِتَابِ لِأَبِي الشُّبُلِ :

عَذِيرِي مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ إِذْ يَرْغَبُنِ عَنْ وَضْلِي
رَأَيْنَ الشَّيْبَ قَدْ أَلْبَسَنِي أُجَّةَ الْكَهْلِ
فَأَعْرَضُنِ وَقَدْ كُنَّ مَ إِذَا قِيلَ أَبُو الشُّبُلِ
تَسَاعَيْنَ فَرَقْنِ الْكُؤَى بِالْأَعْيُنِ النُّجُلِ
وَأَنشَدْتُ لغيره :

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحِ بِعَارِضِي فَأَعْرَضُنِ عَنِّي بِالْخُدُودِ النَّوَاضِرِ^(٣)
وَكُنَّ إِذَا أَبْصَرْنِي أَوْ سَمِعْنِ بِي سَعَيْنَ فَرَقْنِ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ
وَهُنَّ عَلَى مَا فِيهِنَّ مِنْ سُرْعَةِ الْمَلَلِ ، وَمَا طُبِعْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَدَلِ ، مَتَمَكِّنَاتُ
مِنَ الْقُلُوبِ ، مُبَرَّاتٌ عِنْدَ مُحِبَّتِهِنَّ مِنَ الْعَيُوبِ ، وَإِنْ مِنْ مَحْمُودِ مَذَاهِبِ
الظُّرْفَاءِ ، الْمِيلَ إِلَى مَغَازِلَةِ النِّسَاءِ ، وَمَدَاعِبَةِ الْقَيْنَاتِ ، وَحُبُّ النِّسَاءِ عِنْدَهُنَّ
مِنْ حَسَنِ الْإِخْتِيَارِ ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِمَذَاهِبِ ذَوِي الْإِخْطَارِ ؛ وَلَيْسَ هَوَى
الْغُلَامَانِ عِنْدَهُنَّ بِمَحْمُودٍ ، وَلَا هُوَ فِي سَيْرِهِمْ مَوْجُودٌ ، وَإِنَّمَا آثَرُوا هَوَى النِّسَاءِ
عَلَى الْغُلَامَانِ ، وَمَدَحُوهُنَّ بِكُلِّ لِسَانٍ ، لِمَلِيحِ بَرَاعَتِهِنَّ ، وَتَكَامُلِ مَلَا حَتْنِ ،

(١) الأدرد : من ذهب أسنانه .

(٢) الأرمد : من هاجت عينه .

(٣) العارض : صفحة الخد .

وعجيب شكهن ، وبديع دهن ، وفيهن أيضا خصال محمودة ، وملاحظة موجودة ،
 إن عُدِمَت من الجمال ، وَجِدَت في العقل ، وإن عُدِمَت من العقل ، وَجِدَت
 في الدلال ، وروائحهن أذكي ، وهواهن للقلوب أنكى ، والعشق بهن أليق ،
 وهن للرجال أوفى ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك وملح :

أَحَبُّ النِّسَاءِ وَذِكْرُ النِّسَاءِ وَيُعْجِبُ قَلْبِي لَذِيذُ الْغِنَاءِ
 وَهَلْ لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا النِّسَاءُ وَخَسَنُ الْغِنَاءِ وَشُرْبُ الطَّلَاءِ
 رَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَفَعَهَا حَدَقَ تَقَلُّبُهَا النِّسَاءَ مَرَضُ^(١)
 وَكَأَنَّ أَفِيدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءِ لِمِثْلِهَا أَغْرَاضُ^(٢)
 وَقَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ :
 أَحَبُّ ذَخِيرَةٍ وَأَحَبُّ عِلْقٍ إِلَى الْغَانِيَاتُ وَإِنْ غَنِينَا^(٣)
 وَكُلُّ بُكَاءٍ رُبْعٍ أَوْ مَشِيبٍ نُبْكِيهِ فَهَنْ بِهِ عُنِينَا
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

فَلَوْ أَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَوْمًا وَوَلَّيْتُ الْحِكْمَةَ وَالْخِصَامَا
 لَقَرَّتْ عَيْنٌ مِنْ يَهْوَى الْجَوَارِي وَعَاقَبْتُ الَّذِي يَهْوَى الْغُلَامَا
 سَأَلْتُكَ أَيُّمَا أَحَلَى حَدِيثًا وَأَطْيَبَ حِينَ تَعَشَّقُهُ السِّزَامَا
 أَجَارِيَّةٌ مُنْعَمَةٌ رَدَاحٌ تَرِيدُكَ لِلْغَرَامِ بِهَا غَرَامَا^(٤)

(١) ونفعها : يروى : وطيبها . مرض : جمع مريضه ، وعين مريضة فيها فتور .

(٢) لمثلها : يروى : لنسائها . أغراض جمع غرض : الهدف الذي يرمى إليه .

(٣) العلق : النفيس من كل شيء .

(٤) الرداح : الضخمة العجز .

أَوْ أَمَرْدُ مُنْتِنِ الْإِبْطِينِ مِنْهُ لَهُ رُمَحٌ كَرُّ نَجِكَ حِينَ قَامَا
يُرِيدُكَ لِلدَّرَاهِمِ لَا لِحُبِّ وَتِلْكَ تَذُوبٌ مِنْ كَلَفٍ سَقَامَا
وَأَنشَدَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّومِيُّ لِنَفْسِهِ :

فَيْبُكَ الْغُلْمَانُ مَا أَمْكَكَ النَّسْوَانُ أَفْزُ
إِنَّمَا يَمْشَقُّ فِي الظُّهْرِ إِذَا أَعْوَرَ بَطْنُ
وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَالشُّعْرَاءِ الْمُتَفَضِّلِينَ ، صَمَدُوا^(١)
فِي أَشْعَارِهِمْ إِلَى غَيْرِ ذِكْرِ النِّسَاءِ ، وَلَا صَدَّرُوا قِصَائِدَهُمْ إِلَّا بِالتَّشْبِيهِ بِوَصْفِ
النِّسَاءِ ، هَذَا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَقُولُ :

يَا الْقَوْمَ هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءُ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سُؤْمُ^(٢)
شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو هَا لَجَيْنٌ وَلَوْلُوٌّ مَنُظُومُ^(٣)
لَوْ يَدِبُ الْحَوْلَى مِنْ وَلَدِ الذِّ رَّ عَلَيْهِمَا لَأَنْدَبْتُهَا الْكُلُومُ^(٤)
وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْصَبُ لَهُ مِنْبَرًا فِي مَسْجِدِهِ ، وَيَدْعُو
النَّاسَ إِلَى اسْتِمَاعِ شَعْرِهِ ، وَهُوَ يَشَبُّ قِصَائِدَهُ بِهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ ذِكْرِ
النِّسَاءِ ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ يَنْشُدُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسْجِدِهِ :
بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولٌ مَتِيمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُفْعَدْ مَغْلُولُ^(٥)

(١) صمد : قصد

(٢) واهن البطن والعظام : ضعيفها ، ويروى بدل البطش : البطن . سُؤْمُ : ملول .

(٣) شأنها : يروى : همها . اللجين : الفضة .

(٤) يقول : لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ، وليس
المراد بالحولى ههنا ما أتى عليه حول وإنما جعله في صغره كالحولى من ولد الحافر والخف ،
وأندبتها : أثرت فيها ، من التدب وهو أثر الجرح . والكُلوم : الجراحات

(٥) بانزت : فارقت . متبول : أصيب بتبل ، وتبسله الحب : أسقمه . المتيم : المعبد
المدلل الذي استولى عليه الهوى فأذله ، مكبول : محتبس عندها ، والسكبل : القيء .

أَكْرَمَ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ مَوْعُودَهَا وَلَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ

وَيُمدِّحُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ ، فَيَقُولُ فِيهَا :
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارُمٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْأُولٌ^(١)

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَى إِلَى النَّاسِ فِي مَسْجِدِهِ أَنْ اسْمَعُوا شَعْرَهُ ،
وَلَوْ كَانَ ذِكْرُ النِّسَاءِ فِي الشَّعْرِ مَنْكَرًا لَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلِي
مَنْ أَنْكَرَهُ ، وَلَوْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ النِّسَاءِ أَوَّلِي بِالتَّقْدِيمَةِ فِي الشَّعْرِ مِنْ ذِكْرِهِنَّ
لَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلِي مَنْ أَمَرَ بِذَلِكَ وَاسْتَقْبَحَهُ ، وَلَوْ كَانَ
أَيْضًا فِي الشَّعْرِ ذِكْرُ النِّسَاءِ مِنَ الرِّفْثِ وَالْفَحْشِ وَالْخُنَا ، لَكَانَ مَا قِيلَ فِي رَسُولِ
اللَّهِ مِنَ الْمَدِيحِ أَحَقَّ بِأَنْ يُسْقِطَ مِنْهُ ذِكْرُ الْقَبِيحِ ، كَمَا أُسْقِطَ ذِكْرُ الذِّكُورَةِ ،
وَوَصَفُ تَعَشُّقِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأَشْعَارِ وَمِنْ نَظَائِرِهَا مِنْ مَدِيحِ ذَوِي الْأَخْطَارِ ،
وَمَا وَجَدْتُ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَشْعَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَإِنَّمَا عُرِفَ الْآنَ فِي شَعْرِ
الْمُحَدِّثِينَ . وَأَيْنَ ظَرْفُ النِّسَاءِ وَحُسْنُهُنَّ مِنْ غَيْرِهِنَّ ، وَأَيْنَ مَلَا حَةَ سَلَامِهِنَّ ،
وَحِلَاوَةَ كَلَامِهِنَّ ، وَمُسْتَحْسَنُ مَدَاعِبَتِهِنَّ ، وَمَحْبُوبُ مَعَاتِبَتِهِنَّ ، وَمَلِيحُ
مِرَاسَلَتِهِنَّ ، لَا سِيَّمَا إِنْ شَبَّ^(٢) هَوَاهُنَّ بِالْغَيْرَةِ عَلَى مُحَبَّتِهِنَّ ، وَالتَّدْلِيلُ عَلَى
مَتَعَشِّقِيهِنَّ ، وَصَدْدُنَّ مِنْ غَيْرِ زَلَلٍ ، وَهَجْرُنَّ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ ، وَهَنَّ وَاللَّهُ فِي
كُلِّ أَحْوَالِهِنَّ الْقَاتِلَاتُ بِأَفْعَالِهِنَّ ، وَصَالِهِنَّ خَتْلُ ، وَصَدُّهِنَّ قَتْلُ ، وَهَنَّ
الْمَالِكَاثُ لِلْقُلُوبِ ، السَّالِبَاتُ لِلْعُقُولِ ، إِذَا خَلَوْنَ مِنْ حَزْنٍ ، وَإِنْ ظَهَرْنَ
نَظَرْنَ فَقَتَلْنَ بِلِحْظِ عَيُونِهِنَّ ، وَصَرَغْنَ بِكَسْرِ جَفُونِهِنَّ ، وَأَخْيَيْنَ بِقَوْلِهِنَّ
السَّكَاذِبَ ، وَوَعَدَهِنَّ الْخَائِبَ ، فَلَا شَيْءَ أَحْسَنُ مِنْ مَطْلَبِهِنَّ ، وَلَا أَلَذَّ مِنْ

(١) الصَّارِمُ : السَّيْفُ الْقَاطِعُ .

(٢) شَبَّ الشَّيْءُ : خَلَطَهُ .

خلف وعدهن ، وقد استحسنات الشعراء ذلك ممنهن ، ومدحته في كثير من الأشعار فيهن .

أخبرني أحمد بن يحيى ، عن الزبير بن بكار ، عن سليمان بن عيسى السعدي ، عن أبيه عن جده : قال : حدثني السائب راوية كثير ، قال : كان كثير رجلا مذبوبا^(١) لا يستقر في مكان ، فقال لي ذات يوم : اذهب بنا إلى ابن أبي عتيق نتحدث عنده ، فأتيناه ، فاستنشد ابن أبي عتيق كثيرا فأنشده :

أَبَاءُ سَعْدِي ، نَعَمْ سَتَقْبَلُنِ كَمَا أَنْبَتَ مِنْ حَبْلِ الْقَرَيْنِ قَرَيْنُ
أَنْ زُمَ أَجْمَالٌ وَفَارَقَ جِيرَةٌ وَصَاحَ غَرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ حَزِينُ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرَ قَبْلَهَا تَفَرَّقَ أَلْفٌ لَهَا حَنِينُ
حَتَّى إِذَا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ : لَهَا مِنَ الشَّكِّ الْغَدَاةَ يَقِينُ

فأخلفن ميعادي وخن أمانتي وليس لمن خان الأمانة دينُ
فقال ابن أبي عتيق : أو على الدين محبتن يا ابن أبي جهم ، ذلك أملحُ
لها وأدعى للقلوب اليهن ؛ عبيد الله بن قيس الرقيات أشعر منك ،
حيث يقول :

حَبْلُ الْإِدْلَالِ وَالنُّجُجِ وَالَّتِي فِي طَرْفِهَا دَعَجُ
وَالَّتِي إِنْ حَدَّثَتْ كَذَبَتْ وَالَّتِي فِي وَصْلِهَا خَلَجُ
وَتَرَى فِي الْبَيْتِ صَوْرَتَهَا مِثْلَ مَا فِي الْبَيْعَةِ السُّرُجُ
خَبَّرُونِي هَلْ عَلَى رَجُلٍ عَاشِقٍ فِي قُبْلَةٍ حَرَجُ ؟

فقال : لا إن شاء الله، وانصرف.

وقال القطامي ، يستحسن ذلك من أفعاله ، ويصف ملاحاة اعتقاله :

وأرى الغواني إنما هي جنة شبيهة الرياح تلون الألوانا^(١)
وإذا حلفن فهن أكذب حالف حلفا وأملح كاذب أيمانا^(٢)

وقد أحسن محمود الوراق حيث يقول :

اضطبح كأس شراب واغتبق كأس تصابي^(٣)
واجعل الأيام قسما بين عتب وعتاب
ورصد الـ اهتجار وبعاد واقتراب
واجتناب في دنو ودنو في اجتناب
ورسول بكتاب وانتظار لجواب
وقنوع من حبيب بالمواعيد الكذاب
ليس في الحب ولا الصبوة حظ للصواب
وقال بعض المحدثين^(٤) :

ليس يستحسن في حكم الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج
بني الحب على الجور فلو أنصف المعشوق فيه لسمع
وقال آخر وأحسن في قوله :

(١) الغواني : النساء ، والغانية : المتزوجة ، ثم قيل لكل شابة : غانية .

(٢) يروى بديوانه :

وإذا وعدن فهن أكثر واعد خلفا وأملح حانت أيمانا

(٣) اغتبق : شرب بالعشى .

(٤) علية بنت المهدي ،

ألا إنني راضٍ بما حَكَمْتَ جُمْلُ وإن كان لي فيه البليَّةُ والقَتْلُ
فكُروا على العَدْلِ فيها فإِنِّي رأيتُ الهوى فيها يُجَدِّدُهُ العَدْلُ
وما كان جِسْمُهَا لِبَدَلٍ رَجَوْتُهُ لَدَيْهَا فَأَخْشَى أَنْ يُغَيِّرَهُ البُخْلُ
ومن ذلك قول جَمِيل بن معمر العُدْرِي :

ولستُ على بَدَلِ الصَّفَاءِ هَوِيَّتُهَا ولكن سَبَبْتَنِي بِاللَّدَالِ مَعَ البُخْلِ
وقال أيضا :

وَيَقْلُنَ أَنْكَ يَا بُيْتِنَ بَخِيلَةٍ نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَمَنِ بَاخِلِ
ويَقْلُنَ أَنْكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلِ مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اعْتِزَالِ البَاطِلِ
وَلِبَاطِلِ مَنْ أَلَدَ وَأَشْتَهَى أَذْنِي إِلَى مَنْ البَغِيضِ البَاذِلِ

ودخلت عَزَّة على هشام بن عبد الملك بن مروان ، فقال : يا عَزَّة أتعرفين قول كثير :

وقد زعمتُ أنَّي تَغَيَّرْتُ بَعْدَهَا وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزَّ لَا يَتَغَيَّرُ
تَغَيَّرَ جِسْمِي وَالْخَلِيقَةُ كَالَّذِي عَهْدَتِ وَلَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّكَ مُخْبِرُ ؟
فقلت ما أعرف هذا ، ولكنني أعرف قوله :

كَأَنِّي أَنَا جِي صَخْرَةٌ حِينَ أُعْرِضْتُ مِنَ الصَّمِّ لَوْ يَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلْتُ
صَفُوحٌ فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخِيلَةٍ فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلُ مَلَّتِ
وأنشدني أحمد بن عبيد لرفاعة الفَقْعَسِي :

أَلَمْ تَعْلَمَا أَمْ لَا وَكُلُّ بَلِيَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ يَفْنَى بِؤْسِهَا وَنَعِيمِهَا
وَلَمْ تَجِدَا بَلَجَاءَ إِلَّا بِخِيلَةٍ وَإِنْ أُنْسِرَتْ وَاحْتَاجَ يَوْمًا غَرِيمِهَا
وأنشدني محمد بن يزيد لكثير عَزَّة :

وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي هَلْ سَأَلْتُهَا فَقُلْتُ نَعَمْ لَيْلَى أَضَنُّ خَلِيلٍ
وَأَبْعَدُهُ نَيْلًا وَأَسْرَعُهُ قَلِيَّ وَإِنْ سُئِلْتُ نَيْلًا فَشَرُّ مُنِيلٍ
وَأُنْشِدُنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْجَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ الْعُذْرِيُّ :

وَهَجْرُكَ مِنْ تَيْمَاءَ بَلَاءٌ وَشِقْوَةٌ عَلَيْكَ مَعَ الشَّوْقِ الَّذِي لَا يُفَارِقُ
أَلَا إِنَّهَا لَيْسَتْ تَجُودُ لِنَدَى الْهُوَى بَلِ الْبُخْلُ مِنْهَا شَيْمَةٌ وَخِلَافُ
وَأُنْشِدُنِي ابْنَ أَبِي خَيْشَمَةَ لُعْبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ :
وَزَادَكَ إِغْرَاءَ بِهَا طَوْلُ بُخْلِهَا عَلَيْكَ وَأَعْرَى لَحْمَ أَعْظَمِكَ الْهَمُّ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْأَحْوَصِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ :

وَزَادَنِي كَلْفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعْتَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مَنَعَا^(١)
كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ كُنْتُ أَتَّبَعُهُ وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعًا
وَقَالَ جَرِيرٌ يَذْكُرُ طَوْلَ الْمُطَّلِ وَالْخُلْفِ :

وَإِذَا وَعَدَنكَ نَائِلًا أَخْلَفَنَهُ وَإِذَا طَلِبْتَ لَوَيْنَ كُلَّ غَرِيمٍ^(٢)
يَرْمِينِ مِنْ خَلَالِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ فِيهَا السَّقَامُ وَبَرُؤُ كُلِّ سَقِيمٍ
وَقَالَ أَيْضًا :

لَعَمْرُ الْغَوَائِي مَا جَزَيْنَ صَبَابِي بِهِنَّ وَلَا يُخْبِرُنَّ نَسَجَ الْقَصَائِدِ^(٣)
رَأَيْتُ الْغَوَائِي مَوْلَعَاتٍ بِنَدَى الْهُوَى بِطُولِ الْمُنَى وَالْخُلْفِ عِنْدَ الْمَوَاعِدِ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَلَمْ تَرَنِي بَذَلْتُ لِهِنَّ وَدِّي وَكَذَّبْتُ الْوُشَاةَ فَمَا جَزَيْنَا

(١) أكلف به : أحبه حباً شديداً وأولع به .

(٢) لوى فلانا دينه وبدينه : مطله ، ولوى بحقه : جحدته إياه .

(٣) يخبرن : تروى : تحبير ، أى تحسين وتزيين .

إِذَا مَا قُلْتُ جَازَ لَنَا التَّقَايَ بِخَانٍ بِعَاجِلٍ وَمَظْلَن دَيْنَا
وقال أيضا :

يَقْلَن إِذَا مَا حَلَّ دَيْنُكَ عِنْدَنَا وَخَيْرُ الَّذِي يُقْضَى مِنَ الدَّيْنِ عَاجِلُهُ
لَكَ الْخَيْرُ لَا نَقْضِيكَ إِلَّا نَسِيئَةً
من الدين أو عرضا فهل أنت قابله ؟^(١)
وقال أيضا :

وَإِذَا وَعَدْتُكَ نَائِلًا أَخْلَفْتُهُ وَجَعَلَنَ ذَلِكَ مِثْلَ بَرْقِ الْخُلْبِ^(٢)
إِنَّ الْغَوَانِيَّ قَدْ قَطَعَنَ مَوَدَّتِي بَعْدَ الصَّفَا وَمَنْعَنَ طِيبَ الْمَشْرَبِ
وقال كعب بن زهير :

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مِثْلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْبَاطِلُ
فَلَا يَنْفِرُ نَفْسُكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ
وقال نصيب :

أَلَلْبَيْنِ يَا لَيْلَى جَمَالَكَ تُرْحَلُ لِيَقْطَعَ مَنَا الْبَيْنُ مَا كَانَ يُوصَلُ
تُعَلِّمُنَا بِالْوَعْدِ لَيْلَى وَتَنْشَنِي بِمَوْعُودِهَا حَتَّى يَمُوتَ الْمَعْلَلُ
وقال كثير :

وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرَّتْ بِلَابِلُهُ
بَلَى وَبَأَنَّ لَا أَسْتَطِيعَ وَبِالْمَنَى وَبِالْوَعْدِ وَالتَّسْوِيفِ قَدْ مَلَّ آمِلُهُ
وقال آخر :

يَا رَبِّ خُذْ لِي مِنَ الْمِلَاحِ فَقَدْ هِجَنَ لِقَلْبِي مِنَ الْهَوَى خَبَلًا

(١) النسيئة : التأخير . العرض : المتاع وكل شيء سوى الدراهم والدنانير ، وعرض الشيء : أعطاه إياه مكان حقه

(٢) البرق الخلب : الذي يكون في سحاب لا مطر فيه فكأنه يخدع .

مِنَ اللّٰوَاۤئِ يَقُنْ لَّنْ وَنَعَمْ وَهَآ وَحَتَّى وَقَدْ وَسَوَفَ وَلَا
والذى جاء فى ذلك كثير ، يطول شرحه ويُعَيِّ وصفه ، وقد مضى من
الفصل ما فيه كفاية لذوى العقل ، وقد أفردنا كتاب القيان لِئَنَّمْ عَظُمَ
القِيَانُ ، فَأَعْنَى مَا فى ذلك الكتاب عن تكثير هذا الباب ، فأعرفه إِنْ
شاء الله .

واعلم أَنَّ الهوى والحبَّ والبخل والعشق والغزل ، يحسن بأهل النعمة
واليسار ، ويُزرى بأهل الإملاق والإقتار ، ولسنا نقول إِنْهُ مُحَرَّمٌ عَلَى
هُؤُلَاءِ لِأَعْسَارِهِمْ ، وَلَا مُحَلَّلٌ لِأَوَّلَئِكَ لِيَسَارِهِمْ ، وليس بالغنى ما يدخل أهل
الجهالة فى الوصف ، ولا بالفقر ما يُخْرِجُ أَهْلَ الْأَدَبِ مِنَ الظَّرْفِ ، وقد
قال بعض الشعراء

قَدْ يُدْرِكُ الشَّرَفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ خَلَقٌ وَجَيْبٌ قَمِيصُهُ مَرْقُوعٌ
وليس أسباب الهوى مبيِّنة عن اليسار والسعة والغناء ، والبذل والعطاء ،
والنفقات الغزيرة ، وَالصَّلَاتُ الْكَثِيرَةُ ، وَالْهَبَاتُ الْهَنِيئَةُ ، وَالْهَدَايَا السَّرِيَّةُ ،
وَالْمُخْتَلُّ الْمَعْدِمُ ، وَالْمَقِلُّ الْمَعْسِرُ ، لا حيلة له فى ذلك ، فمن تعرض للهوى ،
وَمَالَ إِلَى الصَّبِيِّ ، لم يحسن ذلك به لِإِفْلَاسِهِ ، وَقَلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ وَإِقْلَالِهِ ،
وَمَا هَلْكَ أَمْرُو عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَأَجْهَلَ النَّاسِ مَنْ عَدَا طَوْرَهُ ؛ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
السُّخْفَاءِ يَعِيبُ بِجَهْلِهِ عَلَى الظُّرْفَاءِ : أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِفَقِيرٍ ظَرْفٌ ،
وَلَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ طَرْفٌ ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ وَصْفٌ ، وَالْفَقِيرُ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ،
وَالْغَنَى مُحَبَّبٌ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَأُنْشَدَ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ :

ذَرِنِي لِلْغَنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَخَقَرُّهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنِ أَمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرُ

يَمَاعِدُهُ الدُّنْيَا وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَشْمُرُهُ الصَّغِيرُ
وقد أخطأ العائب لهم في مقاله ، وتسكّع في حيرته وضلاله ، لأن
عروة لم يذهب إلى ثلب الأدباء ، ولا إلى تعنيف الظرفاء ، وإنما عتف على
طول الإهمال ، وحث على تسكيب الأمثال ، وهذا مثل قول الآخر :
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَالَ قَدْ يَجْعَلُ الْفَقْرَ نَسِيبًا وَإِنَّ الْفَقْرَ بِالْحُرِّ قَدْ يُزِرِّي
وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الدُّنْيَا كَالْغَنَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ كَالْفَقْرِ
ومثل ذلك قول الآخر :

الْفَقْرُ يُزِرِّي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ وَقَدْ يَسُودُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ
وكقول الآخر :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صَرْتَ إِلَى الْغَنَى وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعُيُونِ جَلِيلُ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرءِ حَوَّلَتْ إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ تَمِيلُ
فهمولاء لم يذهبوا إلى تفنيد المتظرفين ، ولا الطعن على المتفننين ، وكيف
والنظرف بهم أليق ، وسمة الظرف عليهم أصدق ؛ وهذا الباب قد ذكرته على جملته
في كتاب نظام التاج ، في صفة الأنوك^(١) المرزوق والظريف المحتاج ، وجعلنا
جملة ما مر في كتابنا نصفه بيننا وبين من زعم أن الأمر ليس كذلك ، والذي
زعم أنه لا يكون للفقير ظرف ، قد تجاوز في الجهالة والسخف ، بلى إن
الظرف بذى الثقل ملبح ، ولكن الهوى والعشق بهم أقبيح ، وذلك أن الفقير
إِنْ طَلَبَ لَمْ يَنْلَ ، وَإِنْ رَامَ بُلُوغًا لَمْ يَصِلْ ، وَإِنْ اسْتَوْصَلَ لَمْ يُوَصَّلْ ، فَهُوَ
كَمِدُ الْقَلْبِ ، عَازِبُ^(٢) اللَّبِّ ، حَزِينُ النَّفْسِ ، مَيِّتُ الْحِسِّ ، ذَاهِلُ الْعَقْلِ ،

(١) الأنوك : الأحمق ، والعاجز الجاهل .

(٢) عازب : غائب .

بعيد الوصل ، فتركه التعرض لما لا يقدر على بلوغ إتمامه ، أولى من تلبسه
بما يزيده في اغتمامه ، وقد يجوز أن يكون ظريفاً بغير عشق ، كما كان عاشقاً
بغير فسق ، لأنه لا تهيأ له إقامة حدود العشق ، والظرف بلياقته ونظافته ، وخلقه
وتملقه ، ومداراته ومساعدته ، ولا يتهيأ له القيام بحدود العشق ، إذ لا مال له
فيعينه على هواه ، ولا مقدرة له فتبلغه رضاه ، وإن بلى بمن يستهديه ويستكسبه ،
ويطلب برّه ، ويريد فضله ، وهو لا يقدر على ذلك ، فهي الطامة الكبرى ،
والمصيبة العظمى ، والحسرة التي تبقى ، والسكد الذي لا يفنى ، فليتهجرز
الأديب من الهوى قبل وقوعه في العطب ، وليتخفظ منه قبل طلبه التخلّص
من شركه ، فلا يقدر على الهرب ، وقلّ من رأيت وقع في هوى فتجما من غلّا ،
أو أمكنه التخلّص من حبله ، وإن يقدر على التخلّص من الهوى بعد الوقوع
في درك البلا إلا مالك لقلبه ، مانع لغربه ^(١) ، حازم في فعله ، جامع لعقله ،
فان الأديب إذا كان بهذه الصفة ، ورأى آيات الملل ، وعلامات الزلل ،
وأمارات الغدر ، ودلالات الهجر ، بادر فريسته ، وتخلّص مهجته . وزجر
قلبه ، وصرف حبه . ولم يقيم على طول الجفاء . ولم يعرض نفسه لطول
البلاء . ولم يستعبد لها بالتذلل ، والخشوع والتضرع ، ولسكنه يصرفها صرف
مقتدر عيوف ^(٢) ، ويمنعها منع مالك عزوف ^(٣) ، وقد شرحت لك ما قيل
في المصارمة ^(٤) باباً لتقف عليه ، ويبين لك صحة ما فيه ، إن شاء الله
ولا قوة إلا بالله.

(١) الغرب : الدمع .

(٢) عاف الشيء : كرهه فتركه .

(٣) العزوف : الذي لا يكاد يثبت على مودة خليل .

(٤) صارمه : قاطعه .

٢١ — باب ما جاء في مصارمة نوري القمر

والمبادرة عند الملل والهجر

اعلم أن صبرَ المحب على هجر الحبيب ، تجرُّه للنُصص والتعذيب ،
ومعالجة الزفير والنَّحيب ، وتقلُّل القلب لفرق الوجيب ، من العجز
الظاهر ، والموت الحاضر ، والمبادرة بالانصراف ، بعد تغيُّر الأُلاف ، من
الحزم المسكين ، والرأى الرصين . وإنَّ من أحسن ما قيل في المصارمة
قول زهير بن أبي سلمى ، حيث يقول :

ألا لقومٍ للصبي إذ يقودني وللوصل من أسماء إذا طالبه
فليمتك قاليني فلا وصل بيننا كذلك من يستغن يستغن صاحبه

وعما يتعلق بهذا قول المتلمس :

فإن تقبلي بالودِّ تقبلي بمثله وإلا فإننا نحن أنأى وأشس^(١)

ومثله قول نافع بن خليفة :

بآية ما قالت غنيت بغيرنا ونحن سمنغنى عنك مثلاً ونصدف^(٢)

وقال آخر :

فإن تقبلي بالودِّ تقبلي بمثله وإن تدبري أدبري إلى حال بالياً
ألم تعلمي أنني قليل ليماتي إذا لم يكن شيءٌ شيءٍ مؤاتياً^(٣)

وقال آخر :

فإن تقبلي بالودِّ تقبلي بمثله وإن تؤذينا بالصريمة نصرم

(١) الشماس : الامتناع ، ومنه شماس الدابة وهو ألا تمكن من الاسراج والالجام .

(٢) صدف : ارتد وانصرف .

(٣) البانة : الحاجة التي يهيم الانسان قضاؤها .

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة :

سَلَامٌ عَلَيْهَا مَا أَحْبَبْتُ سَلَامَنَا فَإِنْ كَرِهَتْهُ فَالسَّلَامُ عَلَى أُخْرَى

ومثله قول الآخر :

وَكُنْتُ إِذَا خَلِيلٌ رَامَ صَرْمِي وَجَدْتُ لَدَى مُنْفَسِحًا عَرِيضًا

وأجاد أبو ذؤيب الهذلي حيث يقول :

فَإِنْ وَصَلْتُ حَبْلَ الصَّفَاءِ فَدُمُ لَهَا وَإِنْ صَرَّمْتُهُ فَانصَرَفُ عَنْ تَحَاكُلِ

ومثله قول ابراهيم بن العباس :

بِقَلْبِي مِنْ هَوَى الْبَيْضِ انْصَرَفُ وَتُعْجِبُنِي مِنَ الْبَيْضِ الْقِضَافُ ^(١)

فَإِنْ أَنْصَفَنْ فِي وُدِّي وَإِلَّا فَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ تَلْبِي خِلَافُ

وقد أحسن الذي يقول :

كَمْ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ قَدْ كُنْتُ آمِلُهُ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيَّاحُ الْغَدْرِ فَانْتَقَضَا
أَهْمَلْتُهُ حِينَ لَمْ أَمْلِكْ صِيَانَتَهُ ثُمَّ انْقَبَضْتُ بُودِي مِثْلَ مَا انْقَبَضَا
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ عُدِّيهِ قَتَى نَزَّحَتْ بِهِ النَّوَى أَوْ مِنَ الْقَرَضِ الَّذِي انْقَرَضَا
فَمَا بَكَيْتُ عَلَيْهِ حِينَ فَارَقَنِي وَلَا وَجَدْتُ لَهُ بَيْنَ الْحِشَا مَضَضَا ^(٢)

وقال عميد الله بن عبد الله بن طاهر :

أَمِيطِ الْهَوَى إِنْ شِئْتَ عَنِّي فَانْقَضِ عُمُودَ الْهَوَى وَاسْتَرْزِقِ اللَّهَ فِي سِتْرِ
فَلَوْ كُنْتُ لِي عَيْمًا إِذَا لَفَقْنَا تَهَا وَلَوْ كُنْتُ لِي أُذُنًا رَمَيْتُكَ بِالْوَقْرِ ^(٣)

(١) قِضَف : نخف ودق .

(٢) الْمَضَض : وجع المصيبة .

(٣) الْوَقْر : ثقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله ،

ولو كنت لي قلباً نزعتك من صدري
يخون سوى الأعراض والصد والهجر
فو الله ما أُمسيت مني على أمر

ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فبعد اختيار كان في واصلكم زهدى
تجر عن المكروه من غصص الحقد
وتأبون إلا أن تجوروا عن القصد
إذا انصرفت نفسي فبيهاة من رددي
كنبوتكم عنى في السحق والبعد^(١)
لأعلم أن الضد يبدو عن الضد
تدلون إذلال المقيم على العهد
وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذي الصد^(٢)
وها أنا ذا فيكم نذير لمن بعدى
مضت سلفاً في غير أجر ولا تحذر^(٣)

سأقضى حياتي قبل هجرانه وجداً

ولو كنت لي كفاً إذا لقطعتها
سألتك هل للنقض العهد والذي
فان شئت فأقليني وإن شئت فأعريض
ولقد أحسن الخليع حين يقول :

هو يتحكم جهدي وزدت على الجهد
فان أُمس فيكم زاهداً بعد رغبة
لعمري لقد أغضيت فيكم على التي
تأنيتكم بقيقاً الصديق لتقصيدوا
تعزوا بيأس عن هواي فإني
أبى القلب إلا نبوة عن جميعكم
أرى العذر ضداً للوفاء وإننى
إذا ختمت بالغيب عهدى فما لكم
صاوا فافعلوا فعل المدل بوضله
فيكم من نذير كان لي قبل فيكم
فوا أسفاً من صبوة ضاع شكرها
وأنشدني بعض المحدثين :

هجرت حبيباً كنت أحسب أننى

(١) نبا الشيء : بعد وتأخر عن مكانه . السحق : البعد .

(٢) صد عنه : أعرض ومال .

(٣) صبا إليه صبوة : حن إليه .

وذلك أني كنتُ صبيًا بحبه
فقابَلَنِي مِنْ قِلَّةِ الْحِفْظِ لِلْوَفَا
فقلتُ لقلبي بالملامةِ فاضطربَ
فطاوَعَنِي قلبي فَبِتُ مُسَلِّمًا

وأنشد أبو الطيب لنفسه في مثل ذلك :

عَبَيْتُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْلَ لَيْسَ بِنَافِعِي
زَجَرْتُ فُؤَادِي زَجْرَةً عَنْ هَوَاكُمُ
أَفِيقْ كَيْفَ يَكُونُ الْهَجْرُ مِمَّنْ تَحِبُّهُ
وَصَبْرُكَ لَوْ تَدْرِي عَلَى الْهَجْرِ سَاعَةٌ
تَعَزَّ فَإِنَّ الْغَدْرَ مِنْهُ سَجِيَّةٌ
تَعَزَّ فَإِنَّ الْيَأْسَ يَذْهَبُ بِالْهَوَى
تَعَزَّ وَدَاوِ الْقَلْبَ مِنْكَ بِهِجْرِهِ
فَطَاوَعَنِي قَلْبِي فَبِتُ أَرَى الْهَوَى
وَأَصْبَحَ قَلْبِي فَارِغًا مِنْ هَوَاكُمُ
وَأَضْحَى وَمَا فِيهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْهَوَى

ولقد أحسن الذي يقول :

وَدِدْتُكَ لَمَّا كَانَ وَدُّكَ خَالِصًا
وَأَعْرَضْتُ لَمَّا صَارَ نَهْبًا مُتَقَسِّمًا

(١) التغذال : الملامة .

(٢) الغلة : العطش الشديد .

ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه على كثرة الوراد أن يتهدمًا
وقال آخر :

لا أشتهى رنق الحياض ولا التي
ولا أشتهى إلا مشارب أحرزت
وأنشدني أحمد بن يحيى :

وإني لأستحي من الله أن أرى
وأشرب رنقا منك بعد مودة
وإني للماء المخالط للقدني
ومثله قول الآخر :

لقد زعمت ريك أنك غادر
وأنتك للشرب الغداة عيوف
لقد كذبت ما إن أعيج بمشرب
أجاج ومالي في الوصال رديف^(٢)
وأخبرني أحمد بن يحيى ، عن الزبير بن بكار ، قال : كان نصيب يأتي خلة^(٣)
له بالأبواء ، وكان إذا أتاها رحبت به أمها وأكرمته ، وفرشت له إلى جنب
ابنتها ، فجاء يوما وعندها فتى أصفر كأنه مسر ، يتولج^(٤) عليهم بيثهم بغير
إذن ، ويختلط بهم اختلاطا يكرهه نصيب ، فوثب إلى رحله فشدّه على راحلته ،
فعلقت به الجارية وقالت : ألا تبوء عندنا يا أبا محجن كعادتك ؟ فقال :

أراك طموح العين طارفة الهوى لهذا وهذا منك ود مؤلف

(١) رنق الماء : كدر .

(٢) عاج بالشيء : عبا به ، يقال ما عجت بالشيء ، أى مارضيت به . أجاج الماء : صار
أجاجا ، أى ما عجا مرا .

(٣) الخلة : الصداقة والصديق ، والزوجة .

(٤) يتولج : يدخل .

فَإِنْ تَحْمِلِي رِدْفَيْنِ لَا إِلَاكَ مِنْهُمَا بِخِيَّتِي بِفَرْدٍ إِنِّي لَا أُرَادِفُ

وأنشدني إبراهيم بن محمد النحوي لنفسه :

يَا مَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّهَا هَوَاؤُهُ وَنَذُوبُ شَوْقَا إِنْ نَأَى مَشَوَاهُ
كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ فِي بَعَادِكَ رَاحَةً إِذْ كُنْتَ مِمَّنْ مُهْجَتِي تَسْأَلُهُ
لَا يَجْمَعُ الْقَلْبُ الْقَرِيحُ صَبَابَةً وَتَأْذِيًّا مِنْهُ بَيْنَ هَوَاهُ
لَكِنْ إِذَا حَلَّ الْأَذَى صَرَفَ الْهَوَى فَانْزَاحَ عَنِ قَلْبِ الْمُحِبِّ هَوَاهُ

ومثل ذلك قول أسماء بن خارجة الفراري :

خَذَى الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيئِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوَرَتِي حِينَ أَغْضَبُ^(١)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ

ومثله قول الآخر :

وَصَلْتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ وَاصِلًا وَبَاعَدْتُ حَبْلَ الْوَصْلِ لَمَّا بَدَا لِكَا
تَوَهَّمْتُ مِنْكَ الْخِفْظَ وَالرَّغَى لِلْهَوَى يَكُونُ فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ فَعَالَكَ
زَجَرْتُ فَوَادِيَّ وَاجْتَنَبْتُكَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ وَنَحَيْتُ الْهَوَى عَنْ أَنْائِكَ
فَإِنْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّ فِي النَّاسِ عَاشِقًا سَلَا سُرْعَةً يَوْمًا فَإِنِّي ذَالِكَ

وأنشدني غيره أيضا :

مَنْحَتُكُمْ صَفْوَ الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى وَأَفْرَطْتُ حَتَّى جُرْتُ فِي ذَلِكَ الْحَدَّا
وَأَعْطَيْتُكُمْ مِنِّي الْقِيَادَ وَلَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيهِ مِنْ أَهْوَى وَلَوْ شَفَنِي وَجَدًا
فَقَابِلْتُمُونِي ضِدًّا مَا قَدْ مَنْحَتُكُمْ وَمَا كَانَ حَقِّي أَنْ أَقَابِلَهُ ضِدًّا

(١) العفو : خيار الشيء وأطيبه ، ومن المال : ما يفضل عن النفقة ولا عسر على صاحبه في إعطائه ، وأعطاه المال عفواً أي بغير مسألة . السورة : الثوردة والوثبة .

فقد نلتُ مما كان مني من الهوى وآليتُ ألا أُخلصَ الحبَّ والودَّ
فإن شئتُمُ جُدُّوا الوصالَ من الهوى وإن شئتُمُ خُونُوا القطيعةَ والعهدَا
فإني بَرِيٌّ لا ذكُرتُ مودةً ولا عِشتُ إلا سَاهِرِيًّا كَذَا فَرْدَا
وأنشدني أيضا لنفسه :

مَنْ سَأَلَ عَنْكَ فَاسْأَلْهُ لك في الناسِ مثلهُ
لا تقولَنَّ لَمْ وَكَمْ وَعَسَى أَوْ لَعَلَّهُ
فَالْعَسَى يَعْقِدُ الهوى والتَّعَزَّى يَحُلُّهُ
كُلُّ حُبٍّ إِذَا انْقَضَى بَعْضُهُ هَانَ كُلُّهُ
وأنشدني أبو عبد الله بن مُسْرِفٍ لنفسه :

أُذِنُ مِنْ كُلِّ صَاحِبِ يَدَنْ شِبْرًا منك بالوصلِ والودَادِ ذِرَاعَا
وَإِذَا مَا نَأَى ذِرَاعَا فَزِدَّهُ أَنْتَ بِالْهَجْرِ وَالْقَطِيعَةِ بَاغَا (١)
مَنْ لَا تَطْعُنَنَّ يَوْمًا عَلَيْهِ بِعُيُوبٍ وَإِنْ شَنَّاكَ سَمَاعَا

وهذا الباب على كثرتِه ، واتساع القول في صحته ، يعز على الأديب فعله ،
ويمنعه من اتيانه شغله ، لأنه لا يقدر أحد على التخلص من الهوى بعد الوقوع
في شركه ، وإشرافه على مهول مهلكه ، إلا بعد همٍّ دخیل ، وسقمٍ طويل ،
وفكرٍ قاتل ، وشغلٍ شاغل . فتحرز ذوى النهى من الهوى بالنزوع ، أولى من
إعمال الحيلة في طلب التخلص والرجوع .

واعلم أنه لا يصلح العشق إلا لأربعة : لذوى مروّة ظاهرة ، أو زِيٍّ
ظاهرة ، أو ذى مالٍ واسع ، أو ذى أدبٍ بارع ، ويقبح ممن سواهم ، لأن

الفقير إذا تعدّى طوره ، ورام أن يجاوز قدره ، قبح ذلك به ، كما أنه يقبح
بذى الغنى ترك التعرّض لأسباب الهوى ، وذلك لصغر نفسه الدنيّة ،
وسقوط همّته الرديّة ، لا يمنعه من طلبه قلة ذات يده ، ولا تعذر الجَدّ ، بل
فساد الطبع ، وعدم الحاسّة ، وموت الذات .

وبعدُ فإن كُشفنا في تقدّمنا في غرض خطابنا ، وفصول كتابنا ، بإباحة العشق
والهوى ، ودعونا إليه الأدباء ، وحثنا عليه الظرفاء ، وملائنا بذلك كتابنا ،
فإننا نفرّد للنصيحة فيه باباً يميل إليه أهل التدبير ، وأهل المعرفة والتبحّر ،
ويرغب فيه العاقل ، ويزهد فيه الجاهل ، لأنّني لم أُخلِه من كلام منشور ، وشعر
مشهور ، فقف على ما أصّلت ^(١) بين لك ما فرّعت ، إن شاء الله .

٢٢ — باب النهى عن الهوى

والتعرّض لأسباب الضنى

اعلمُ أنّه يقبح بالرجل الأديب ، والعاقل اللبيب ، أن يستخذي في هواه ،
ويملك قلبه سواه ، ويكون خادماً لقلبه ، وأسيرَ حبه ، لا سيما مع تغير الزمان ،
وغدر الأحاب والخلّان ، ما يجد فيهم خليلاً صادقاً ، ولا يصاحب إلا ما ذقاً ^(٢) ،
ثم أن أجهل الجهالة ، وأضلّ الضلالة ، صبرُ الفتى الأديب على غدر الحبيب ،
فإنّ الصبر على الخيانة والغدر ، يضع من المروّة والقدر ، وقد قال بعض
الشعراء فأحسن :

وإني وإن حنّ إليكم ضمائرِي فما قدّرحي أن يذلّ له قدري
فلا ينبغي لأحد أن يذلّ لهواه ، فيُشمت بنفسه أعداءه ، ولا يركن إلى

(١) أصله : بين أصله أو أصلته .

(٢) الماذق : الذي لم يخلص الود .

واحدة من النساء الحرائر والاماء ، فكلمهن في الغدر سواء ، وما لواحدة
منهن عهد ولا وفاء ، ولقد أحسن عبید الله بن عبد الله بن طاهر
حيث يقول :

أَلَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الْمَحْبُونُ وَيَحْكُمُ تَعَزَّوْا عَنِ الْأَحْبَابِ وَاحْتَسِبُوا الْأَجْرَا
فَمَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُوَافِي لَوْ أَحَدٍ وَصَاحِبَتِي تَجْزِي وَفَائِي لَهَا غَدْرَا
فَلَوْ كُنْتُ مِنْ صَخْرٍ لَمَّا كُنْتُ صَابِرًا وَمَا أَنَا مِنْ صَخْرٍ وَمَا أَتْرَكَ الصَّبْرَا
وقد بلغنا أن بعض بلاد الهند قوما لا يعشقون ، ويرونه ضربا من
السحر والجنون ، وذلك لمن فيهم الفلسفة ، ولهم الحكمة والتجربة .

وزعموا أن سبب العشق سبب التوى ، وفيه المذلة والعناء ، ومنه يكون
السقم والضنى ، وأكثر من في النساء وفاء . أسرعن خيانة وجفاء ،
وأعطاهن حلفا وإيمانا ، أسرعن خبثا وسلوانا ، فيأرحمتي للأدباء ، وشفقتي
على الظرفاء ، فما أطول بلاءهم ، وأكثر شقاءهم ، وأسخن عُيونهم ، يبتلى
العزیز منهم بالذليلة ، والكثر منهم بالقليلة ، والشریف بالذنية ، والنمیل
بالزرية ، فيطول في عشقها سهره ، ويكثر في أمورها فكره ، وتنهل عليها
إذا نأت دمرعه ، ويطول لديها إذا قربت خضوعه ، وهى تظهر له المحبة ،
وتبدى له الرغبة ، وتحلف بالإيمان المخرجات ، والعهود الموكدات ، انه
حظها من الآدميين ، وشغلها دون سائر العالمين ، وتريه الجزع عند الفراق ،
والفرح عند التلاقي ، فتملأ قلبه ههنا ، وتورثه ضنى وسقما ، وهى تكاتب
سواه ، ولا تعبأ بهواه ، لها في كل زاوية ربيط ، وفي كل محلة خليط ، لم
يعدّها قول الشاعر :

فِيَا مَنْ لَيْسَ يُقْنِعُهَا حُبٌّ وَلَا أَلْفًا حُبُّ كُلِّ عَامٍ
أَظُنُّكَ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَضْمُرُونَ عَلَى طَعَامٍ
أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ
وَلَا قَوْلُ الذِّي أَنَشِدَنِي قَوْلَهُ أَيْضًا :

الْحَنَانُ يَعْجِزُ عَنْ قَوْمٍ إِذَا كَثُرُوا لَسَكُنَّ قَلْبِكَ مِثْلُ الْحَنَانِ أَضْعَافُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ خَمْسُونَ يَشَقُّهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَهُ أَلْفٌ وَآلَافُ
وَحَكِي الْهَيْثَمُ بْنُ عَدَى : أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ هَوَى جَارِيَةً ، فَتَمَسَّكَ
بُودَّهَا ، وَرَكَنَ إِلَى مُحَبَّتِهَا ، ثُمَّ أَطَّلَعَ عَلَى أَنَّهَا لَا تَرُدُّ يَدَ لَامَسٍ ، فَقَطَعَهَا
وَأَنَشِدَ يَقُولُ :

أَلَا حَيٌّ أَطْلَالًا لَوَاسِمَةِ الْحَبْلِ أَلَوْ تَسَوَّى صَالِحَ الْقَوْمِ بِالرَّذْلِ^(١)
فَلَوْ أَنَّ مَنْ أَضْحَى بِمُعْرَجِ اللَّوَى إِلَى الرَّمْلَةِ الْقُصْوَى بِسَاقِطَةِ النَّعْلِ
جُلُوسًا إِلَى أَنْ يَقْصُرَ الظِّلُّ عِنْدَهَا لَرَأَوْهَا وَكُلُّ الْقَوْمِ مِنْهَا عَلَى وَصْلِ
وَمَنْ أَكْبَرُ الْحَالِ ، وَأَحْمَقُ الْمُقْصَالِ ، قِنَاعَةُ الْمِرَاةِ بِصَدِيقٍ ، وَصَبْرُهَا عَلَى
رَفِيقٍ ، أَحْسَنُ مَنْ فِيهِنَّ حَالًا ، وَأَقْلَمُنَّ أَشْغَالًا ، مَنْ لَهَا صَاحِبٌ مَشْهُورٌ ،
وَخَلِيلٌ مُسْتَوْرٌ ، وَرَبِيطٌ تَرَاوَسَ لَهُ ، وَصَدِيقٌ تَحَامَلَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَا لِمَالٍ ،
وَلَا لَطَمَعٍ وَآمَالٍ ، فَقَدْ كُنَّا تَقَدَّمْنَا فِي بَابِ صِفَةِ الْقَيْنَاتِ ، وَمَا طُبِعَ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَكْرِ وَالْخِيَانَاتِ ، أَنَّهُنَّ يَكْتَسِبْنَ بِالْهَوَى وَالْعَشَقِ ، وَيُذَكِّرْنَ بِالتَّعَلُّقِ
وَالرَّفَقِ ، وَلَيْسَ بِنَاتِ الْبُيُوتِ فِي الْخُدُورِ ، وَرَبَّاتِ الْحُجَالِ^(٢) وَالْقُصُورِ ،
كَذَوَاتِ الْمَذَقِ مِنَ الْقَيْنَاتِ ، وَكَذَوَاتِ التَّكْسِبِ مِنَ الْمُتَقَنِّيَّاتِ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ

(١) الْحَبْلُ : الْوَصَالُ . الرِّذْلُ : الْقَبِيحُ .

(٢) الْحُجَالُ : جَمْعُ الْحُجْلَةِ : سِتْرٌ يُضْرَبُ لِلْعُرُوسِ ، أَوْ بَيْتٌ يَزِينُ لَهَا .

معروفات بطلب الدراهم والأموال ، منسوبات الى التكسب بتعشق الرجال ،
لا يقدم عليهن إلا مغرور ، ولا يثق بهن إلا مسحور ، وإيها يذهب على
أهل الأسباب ، وأهل التطرف والآداب ، مكرُ البنات المخدرات ،
والقواني المحجبات ، اللواتي لم ترهن العيون ، ولم تكثر فيهن القالة والظنون ،
اللواتي يبذلن نفيس الأموال لمن يتعشقنّه ، ويعنّين من راسلته وكاتبته ،
وتزعم أنهن وراء الحجاب ، ودون الأقفال والأبواب ، وأنهن لا فرجَ
لهن إلا في المكاتبه ، ولا فرجَ إلا في المراسلة ، ولا سرور إلا في النظر من
بعيد ، ولا يقدرن على اللقاء إلا في الخروج في كلِّ عيد ، وأولئك اللواتي
تخفُ أمورهن ، وتعنى سرائرهن ، ويطمع الجاهل فيهن ، ويصبوا النزق^(١)
إليهن ، ويثق بحجبن الأحداث والأطفال ، ولا يتمسك بهودتهن إلا الجهال ،
مع أن مكرهن أخفى من الخيال ، وأعظم من راسيات الجبال ، تنفذ حيلهن
على الرجال . ويتمكّن كيدهن من الأبطال ، وفيما خبر الله جل ثناؤه في بعض
القرآن من عظيم كيدهن ، ولطف حيلهن ، ما يغنى عن شرح كثير من سرهن ،
وإن في قصة زليخا ويوسف ما يستغنى به ذوو العقل والافهام من مكرهن
القوى ، وكيدهن الخفى ، وإن يحترز منهن إلا المجرب ، ويتقى منهن
إلا المدرّب ، فإنّ ذا الحنكة إذا كان بهن عليما ، وكان في أمورهن حكيما ،
أخذ من حجبهن عَفْوَه ، وشرب من هواهن صفوَه ، ولم يعلق بهن فؤاده ،
ولم يلمسكن قياده ، وذلك الحسن الحال ، والرخي البال ، لم تُورقه الغموم ،
ولم تُنضِجه المموم ، لا كالذى غلب عليه الشقاء ، وأُتيح له البلاء فركن

(١) نزق الرجل : نشط وطاش وخف عند الغضب .

الى حبّهن ، ودعته الرغبة الى ودّهن ، فتمكن منه الهوى ، وتفرّد به الضنى ،
وتلك لا تشعر بسهره . ولا تعباً بفكره ، وبالله أقسم صادقاً لو حلفت ،
أنهن لا يعرفن شيئاً من الوفاء ما حنّت ، ولو بحث المغرور بهنّ ، المخدوع
بحبهنّ ، عن صحيح أخبارهنّ ، وخفى عن مكشوف أسرارهنّ ، لو قف على
صورة غدرهنّ ، ولبأن له جملة من مكرهنّ ، ولهنّ عليه بعد الكرامة ،
ولرجع على نفسه بالملامة ، كما أنشدنى بعض الأدباء لنفسه :

أَوْصَلَكَ أَرْجُو بَعْدَ أَنْ رَثَّ حَبْلُهُ لَقَدْ ضَلَّ سَعْيِي إِذْ رَجَوْتُ مَوْلَا
أَتُوبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ تَوْبَةٍ فَقَدْ هُنْتُ فِي عَيْنِي وَكُنْتُ جَلِيلَا
إِذَا لَمْ يَجِدْ إِلْفِي عَنِ الْغَدْرِ مَذْهَبَا وَجَدْتُ إِلَى حُسْنِ الْعَزَائِ سَبِيلَا
فَوَاللَّهِ لَا أَرْضَيْتُ دَاعِيَةَ الْهَوَى إِلَيْكَ وَلَا أَغْضَبْتُ فِيكَ عَدُولَا
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

سَأُغْدِرُ حَتَّى تَعْجَبُوا مِنْ خِيَاتِي فَمَا لِي ذَنْبٌ غَيْرُ حُسْنِ وَفَائِي
وَلَوْلَا أُمُورٌ عَارَضَتْ مَا سَبَقْتَنِي إِلَى الْغَدْرِ حَقًّا لَوْ تَرَكْتِ وَرَائِي
سَأُنْزِفُ دَمْعِي حَسْرَةً وَتَمَدُّمًا عَلَى مَا مَضَى مِنْ صَبَوْتِي وَعَنَائِي
وَأَنْشَدَنِي لِلْحُسَيْنِ الْخَلِيع :

تُرَاكَ عَلَى الْأَيَّامِ تَنْجُو مُسَلِّمًا وَلَسْتَ تَرَى مِنْ غَدْرَةٍ أَبَدًا بَدَا
الْسِتَ الَّذِي آلَيْتَ بِاللَّهِ جَاهِدَا يَمِينًا وَخُنْتَ اللَّهَ مَوْتِقَهُ عَمْدَا
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدٌّ بَذَلْتُهُ لِمَنْ خَانَ نِيَّيَ وَدِّي وَلَمْ يَرْعَ لِي عَهْدَا
عَدِمْتُكَ مِنْ قَلْبٍ أَقَامَ لِعَادِر عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَادَ يَقْتُلُنِي جِدَا

ومن ذلك قول الحكمي :

ألا في سبيل الله ودُّ بذلته
سوى ما إذا فكرت فيه وجدته
وأنشدني بعض الأدباء لنفسه :
توَأفَيْتَ لي حَقِّي حَسْبُكَ مُغْرَمًا
ومالك شيءٌ منهما غيرُ أنِّي
وما كنت أدري كيف يصبر عاشقٌ
فأنقذتني بالغدر من غمرة الهوى
ولو لم تُخلصني بغدرك لم أجِدْ
فلم ترَ عيني قبل شخصك ظالمًا
فجوزيت عني بالذي أنت أهله
سندمُ إنسانٍ لعهدِ خليله
وأنشدني أيضًا :

يا قلب قد بان من كلفت به
شغلك بالفكر في تغديره
قد يسلم العاجز الضعيف وقد
وقد يفوت القريب مطلبه
فإن يذكرك الوصال حسرته

لمن لم يكن مني لمعشاره أهلاً
أفوز به أني اكتسبت به عقلاً
وأعرضت حتى خلت نفسي مجرماً
أراك ترى نقض الموائيق معنماً
ولا كيف يسأل بعد أن يتتيماً
وعلمت قلبي الصبر حتى تعلماً^(١)
إلى سلوة حتى القيامة سلماً
تعمد أن يجني فأصبح منعماً
فكل أمرى يجزى بما قد تيمماً
وقل لمن لم يرع أن يتندماً

نخل عنك البكاء من أثره
أعظم مما لقيت من حذره
تلف روح القوى من غيره
وقد يؤوب البعيد من سفره
فقد جئتك اللذيد من ثمره

(١) غمرة الشيء : شدته .

(٢) غير الدهر : أحداثه .

فَأَرْحَلْ فَمَنْ لَا يَحِلُّ مَوْرِدُهُ يُفَضُّ بِهِ صَفْوُهُ إِلَى حَكْدَرِهِ

ولقد أحسن الحكمي حيث يقول :

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عَفْوَرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلَى وَلَا سَمَرِهِ (١)
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ (٢)

وأُشدني محمد بن خلف أحد الفقهاء ، وأحسن في قوله :

إِذَا كُنْتُ لَا أَنْفَكَ مِنْكَ مَرَوْنًا بَعْدُ فَإِنَّ الْهَجْرَ لَيْسَ بِرَائِعٍ (٣)
إِذَا خَافَتْنِي مِنْ كُنْتُ أَهْوَى وَصَالَهُ فَلَسْتُ بِجَنَّاتِ الْخُلُودِ بِقَانِعٍ
أَبْتُ عَزَمَاتِي أَنْ يَقُودَ زِمَامَهَا إِلَى غَادِرٍ بِالْعَهْدِ ذُلَّ الْمَطَامِعِ
فَيَأْمَنُ بِهِ كَانَتْ حَيَاتِي حَبِيبَةً إِلَى وَمَنْ كَوَّلَاهُ قُلْتُ رَوَائِعِي
تَعَزَّ بِئَاسٍ عَنِ تَذَكُّرِ مَا مَضَى فَلَسْتُ لِمَنْ لَمْ يَرْعَ عَهْدِي بِثَابِعٍ
وَأَتَى وَإِنْ لَمْ يَرْقَ دَمْعِي تَأْسَفَ عَلَيْكَ فَمَا قَلْبِي إِلَيْكَ بِرَاجِعٍ

وَأَجُودُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيِّ :

فَإِنْ تُعْرِضِي عَنِّي وَإِنْ تَتَبَدَّلِي خَلِيلًا وَإِذَا كُنْتُ سَوْءَ قُصَارَهَا (٤)

(١) المنتاب لك : القاصدك المتردد عليك . والعفر : طول العهد . لست من ليلي : لست من سماري ليلا . والخطاب لصديقة ، اتصلت بصديق له ، يبرأ منها ، وإن كان في الظاهر لذكر ، إذ المقصود الشخص .

(٢) ذاد عنه : حماه ودافع عنه ، والبيت للتمثيل ، يقول : لأحبيك بعد خيانتك .

(٣) لا أنفك : لا أزال . مروع : فزع . الرائع : المعجب .

(٤) قصارها : مصيرها الذي نصير إليه ، أي الغاية التي تحبس عندها وتقف فلا تتعداها ،

ويروى : فان تصرمى حبلتي وإن تبدلت

فإني إذا ما خُـلِّـلَـتُ رَثَّ حَمْلُهَا وَجَدْتُ لِصِرْمِي وَاسْتَمَرَّ عِذارُهَا^(١)
 وَحَالَتْ كَحَوْلِ الْقَوْسِ طُلَّتْ وَعُطِّلَتْ ثَلَاثًا فَأُعْيِي رَدُّهَا وَظَهَرَهَا^(٢)
 فَإِنِّي قَمِينٌ أَنْ أُودَّعَ عَهْدَهَا بِحَمْدٍ وَلَمْ يُرْفَعْ إِلَيْنَا شَنَارُهَا^(٣)

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول :

ألم تر أنَّ المرءَ تَدَوَّى يَمِينُهُ فَيَقْطَعُهَا عَمْدًا لِيَسْلَمَ سَائِرُهُ
 وكيف تراه بعدُ يُمْنِكاهُ صَانِعًا بَمَنْ لَيْسَ مِنْهُ حِينَ تَدَوَّى سَرَائِرُهُ
 فهكذا لعمرى ينبغي أن يفعل الأدباء ، وبمثل هذا فليَتَّعِظِ الظُّرَفَاءُ : وقد
 يجب على العاقل المتأدب وذوى الحُنُوكِ والتجارب أن يجعل المرأة بمنزلة
 الريحانة ، يتنعم بنضرتها ، ويتمتع بزهرتها ، حتى إذا جاء أوانُ جفافها ،
 وحالت عن حالها في وقت قطافها ، نبذها من يده وألقاها ، وباعدها من مجلسه
 وقلاها ، إذا لم يبق فيها بقية لمستمع ، ولا لذة لمستمع ، ولله درّ الذى يقول :
 تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ وَلَا تَسْكُنْ عَلَيْكَ شَجًا فِي الْخَلْقِ حِينَ تَبِينُ
 وَإِنْ هِيَ أُعْطَتْكَ اللَّيْلَانِ فَإِنَّهَا لَأَخْرَ مِنْ خُلَانِهَا سَتَلِينُ
 وَإِنْ أَقْسَمْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمُخْضِبِ الْبَنَانِ يَمِينُ
 ومثل ذلك قول النمر بن تولب :

وَكُلُّ خَلِيلٍ عَلَّتْهُ الرُّعَا ثُ وَالْحَبَلَاتُ سَكُودُ مَلَقُ

- (١) الخلة : الخلية . رث : خلق . واستمر عذارها : انقتل ، يقال : أمررت الحبل فاستمر ، أى فتلتته فتلا شديدًا فانقتل ، وهذا مثل ، يقال : لوى عني عذاره : إذا عصى .
 (٢) حال : تحول من حال إلى حال . طلت : أصابها الندى «الطل» . ظهر القوس : ظهرها . يشبه خيلاته في تحولها وعدم استقامتها على وده بقوس أصابها الطل فنديت ، وعطلت ، أى ألقى وترها ثلاثة أشهر ، فاعوج مقبضها وظهرها ، وأعييت تلك القوس أن ترجع إلى استقامتها .
 (٣) القمين : الخليق الجدير . الشنار : العيب والكلام القبيح .

ومن جيد ما قيل في هذا الباب ، مما يجب قبوله على ذوى الألباب ، قول
الحكم بن معمر الخضرى ، أحد بنى حصن بن محارب :

وبعض الهوى داءٌ وفي اليأس راحةٌ إذا انبتت وصلٌ لو نبأ بك منزلٌ ^(١)
وذو العقل لا يأسى على وصلٍ خلةٌ إذا لم يكن يوماً عليها معولٌ
فلا ترضَ بالأمر الذى ليس بالرضى إذا كنتَ تعتمأُ الأمور وتفصيلٌ ^(٢)
إذا المرء لم يحببك إلا تكررهما فدعسه ولا يعجزن عليك التحولُ
وفي الأرض أكفاءٌ وفيها مراغمٌ عريضٌ لمن خاف الهوان ومرحلٌ ^(٣)
وأن يقطعَ الأمر الذى أنت قادرٌ على جذه منه أعفٌ وأجلٌ ^(٤)

والكلام في هذا الباب مطرد ^(٥) ، والقول فيه منسرد ^(٦) ، ولكن كرهت
به إطالة الكتاب ، واقتصرت على قليل من الخطاب ، وأبدت نصيحتي
للأدباء ، ر أهل المعرفة والعقلاء ، وأخبرت بما صحّ عندى ، وبالغت في
النصيحة جمدى ، فان رغب فيها راغبٌ فغير ملوم ، وان زهد فيها زاهدٌ
فغير مذموم ، وأنا أعود الى ذكر الظرف والهوى ، فقد مضى من هذا
الباب ما كفى .

واعلم أن للعشق سنة مقصودة ، وللظرف شرائع محدودة ، ورأينا أربابه

(١) انبت : انقطع

(٢) عتم عن الأمر : كف عنه بعد المضى فيه

(٣) المراغم : المهرب والمذهب .

(٤) جذه : قطعه فانقطع . أجل : أحسن

(٥) اطرد الأمر : تبع بعضه بعضاً واستقام وتماثلت أحكامه ، ومنه حكم مطرد ،
أى عام لا شذوذ فيه .

(٦) منسرد : متتابع فى نظام .

وأهله وطلابه متبعين لسبيلها^(١) ، متمسكين بحبلها ، متى حالوا عنها شئوا بغير اسم الظرفاء عند أهل الظرف ، ودعوا الى غير سنة العشاق والأدباء ، ولهم فيما استحسنوه من الزي والطيب والثياب ، والهدايا والطعام والشراب ، حدٌ محدود ، مستحسن معلوم ، وزى بين الطائفتين مقسوم ، لا الرجال يتجاوزون ما حد لهم الى حد متظرفات النساء ، ولا النساء يتجاوزن حدهن الى حد الرجال الظرفاء ، وأنا أصف لك زى الفريقين من الظرفاء والمتظرفات ، وأشرح لك ما عليه هؤلاء وهؤلاء من الزي والهيئات ، إن شاء الله .

٢٣ — باب ذكر زى الظرفاء فى الأساس

المستحسن عند سَرَوات الناس^(٢)

اعلم أن من زى الرجال الظرفاء : وذوى المروّة والأدباء ، الغلائل^(٣) الرقاق ، والقمص السّفاق^(٤) ، من جيد ضروب السكتان ، الناعمة النقيّة الألوان ، مثل الدّيبقى^(٥) والجُمباني والمبطنات التّاختج والخامات ، ودراريع البردجرد^(٦) والاسكندراني ، والملحم الخزى^(٧) والخراساني ، ومبطنات القوهى^(٨) الرطب ، وأزر القصب الشّرب ، والأردية المحشاة العدنية ، والطّيالة

(١) السبل : جمع السيل ، الطريق .

(٢) سروات الناس : سادتهم .

(٣) الغلائل : جمع الغلالة ، شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

(٤) سفق الثوب : كان سفيقا ، أى كشيئا .

(٥) الديبقى : نسبة الى ديبق ، وهى قرية من قرى دمياط تنسب اليها الثياب المشقولة .

(٦) الدراريع : جمع الدراعة : جبة مشقوقة من الإمام . وبردجرد : بلدة بين الكرخ

وهمدان .

(٧) الأثواب الملحمة : المسدودة من قدام . والخز : الحرير ، أو مانسج من صوف وحرير

(٨) القوهى : ثياب بيض .

الملحَم النِّيسابورية ، والمُصَمِّتة الدِّيَقِيَّة ، والجِباب النِّيسابورية ، والمُصَمِّتة الطَّرَازِيَّة ، والوَشَى السَّعْدِيَّة ، والخَزُون السَّكُوفِيَّة ، والمطَارِف السُّوسِيَّة ، والأَكْسِيَّة الفَارِسِيَّة ، والطَّيَالِسَةُ التُّومَسِيَّة الزُّرْق السُّلُولِيَّة ، وكلُّ ما أشبه ذلك وقاربه ، ودنا منه وصاحبه ؛ وليس يُستَحسن لبس الثياب الشَّعْبَةِ الألوان ، المصبوغة بالطَّيِّب والزعفران ، مثل الملحَم الأصفر ، والديق المعنبر ، لأن ذلك من لبس النساء ، وليس القينات والإماء ، وقد يلبسون ذلك في الفصد والعلاجات ، ووقت الشراب والخَلَوَات الغلائل الممسَّكة ، والقمص المعنبرة ، والأردية الملونة ، والأزر المعصفرة ، وربَّما استعملوها لفرشهم ، ولبسوها في وقت قصفهم^(١) ، وتظرفوا بها في مجالسهم ، وتخففوا بها في منازلهم ، والظهور فيها قبيح بالسوقة والظرفاء ، مستحسن من أهل النعم وأبناء الخلفاء وليس يُحيز أهل الظرف والأدب لبس شيء من الثياب الدنسة مع غسيل ، ولا غسلا مع جديد ، ولا الكتَّان مع المروى ، ولا الباياف مع القوهى أيضا ، وأحسن الزي ما تشاكل وانطبق ، وتقارب واتفق .

٢٤ — باب زى الظراف

فى التَّكَّ والنعال والخفاف

ومن زيهم لبس النعال الزَّيجِيَّة ، والثخان الكُتَّبَاتِيَّة ، والمشعرة اليمانية ، والخذو اللطاف ، والختمة الخفاف ، ويشرك أسودها بأحمر ، وأصفرها بأسود ، ويلبسون الخفاف الهاشمية ، والمكسورة الكُتَّبَاتِيَّة ، ومن الأدم للخنين ، والأسود الرزين ، بالجوارب الخز ، والمرعزى والقز ، ويعيبون

(١) القصف : الإقامة فى الأكل والشرب واللهو

لبسَ الأحمر من الخفاف ، وَلبسَ الدارشيَّة الخفاف ، وَيَتخذون التَّكَّك
الإبريسمية ، وَالتَّكَّك الخزِّيَّة ، وَالمطارِف القطنية ، وَالمقوشة الأرمينية .

٢٥ — باب زيَّهم المخصوص

في الخواتيم وَالْفصوص

التَّخْتِمُ بالعقيق الأحمر ، وَالْفِيرُ وَزَج الأَخْضَر ، وَالْفِضَّةُ المحرقة ، وَالْيَاقوت
الاسمانجوني ، وَالبَجَازِيُّ الحُرَّاسَانِي ، وَالمعرانية الجر ، وَالْيَاقوتية الصَّفَر ،
وَالْيَمَانِيَّةُ السَّوَد ، الْحُسْنَةُ الْقُدُود ، عَلَى الخواتيم المهرانية ، وَالْمَضْرُوبَةُ الْمُتَوَكِّلِيَّة ،
وَلَا يَتَخْتَمُونَ بِالذَّهَب ، وَلَيْسَ مِنْ زِي ذَوِي الْأَدب ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ لَبَسِ
النِّسَاء ، وَلَبَسِ الصَّبِيَّانِ وَالْأُمَاء .

٢٦ — باب زيَّهم في التَّعْطَر والطَّيْب

الَّذِي مِنْ خَالْفِهِ كَانَ غَيْرَ مُصِيبٍ

وَمِنْ زِيَّهِمْ فِي التَّعْطَرِ وَالطَّيْبِ بِالْمَسْكِ الْمَسْحُول^(١) ، بِمَاءِ الْوَرْدِ الْمَحْلُول ،
وَاسْتِعْمَالِ الْعُودِ الْمُعْتَبَر ، بِمَاءِ الْقَرْنَفُلِ الْمُخَمَّر ، وَالتَّدِّ السَّلْطَانِي ، وَالْعَنْبَرِ
الْبَحْرَانِي ، وَالْعَبِيرِ وَالذَّرَائِرِ الْمَفْتُوقَةِ بِالْعَبَائِر ، وَسِوَى ذَلِكَ مِنَ الطَّيْبِ
لَا يَقْرَبُونَهُ ، وَالْكَافُورُ لَعَلَّةُ بَرْدِهِ لَا يَسْتَعْمَلُونَهُ ، إِلَّا مِنْ حَرَارَةِ ظَاهِرَةٍ ، أَوْ مِنْ عِلَّةٍ
غَالِبَةٍ ، أَوْ مَوْضُوعًا عَلَى الْجَر ، مَخْلُوطًا بِعَبِيرِ الْمَسْكِ وَزَعْفَرَانِ الشَّعْرِ ، وَهُوَ
بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَطْيَبُ الْبَخُور ، وَلَيْسَ الْبَرْمَكِيَّةُ وَمَا أَشْبَهَهَا عَلَيْهِمْ بِمَحْظُورٍ ،
وَإِنَّ الْجَيِّدَ مِنَ الْبَرْمَكِيَّةِ ، مِنَ الْبَخُورِ الذَّكِيَّةِ ، وَإِنَّمَا يَكْرَهُ اسْتِعْمَالَهَا الْمُتَعَطِّرُونَ

(١) الْمَسْحُولُ : الْمَسْحُوقُ .

إِذْ هِيَ تَمْسَا يَسْتَعْمَلُونَهُ الْمُتَقَالُونَ . وَكَذَلِكَ اجْتَنَبُوا مَاءَ الْخَلْقِ ^(١) لِأَنَّهُ مِنْ طِيبِ النِّسَاءِ . وَالْغَالِيَةُ ^(٢) إِذْ هِيَ مِنْ طِيبِ الصَّبِيَّانِ وَالْأَمَاءِ ، وَلَا يَسْتَعْمَلُونَ شَيْئًا مِنَ الطِّيبِ الذَّفْرِ ^(٣) ، مِمَّا يَبْسُدُ لَهُ لَوْنٌ وَيَبْقَى لَهُ أَثَرٌ ، وَفِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَأْثُورٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رَأْسُ حَتَمِهِ ^(٤) ، وَمَتَى اسْتَعْمَلُوا شَيْئًا مِنَ الْغَالِيَةِ أَوْ طِيبِ النِّسَاءِ ، كَانَتْ فِي أَصُولِ الشَّعْرِ ، بِحَيْثُ يُشَمُّ وَلَا يُرَى لَهُ أَثَرٌ .

٢٧ - بَابُ فِي مَنَظَرَاتِ النِّسَاءِ

فِي اللَّبَاسِ الْمَخَالِفِ لَزَيِّ الظَّرْفَاءِ

لِبَسِ الْغُلَائِلِ الدُّخَانِيَّةِ ، وَالْأَرْدِيَةِ الرَّشِيدِيَّةِ ، وَالشُّرُوبِ الْمَزْرَعَةِ ، وَالْأَرْدِيَةِ الطَّبَرِيَّةِ ، وَالْقَصَبِ الْمَلُونِ ، وَالْخَرِيرِ الْمَعِينِ ، وَالْمَقَاعِ نَعِ النَّيْسَابُورِيَّةِ ، وَأُزْرِ الْمَلْحَمِ الْخَرَّاسَانِيَّةِ ، وَالْجُرْبَانَاتِ ^(٥) الْمَخَانَقِيَّةِ ، وَالسَّكَمِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَالسَّرَاوِيلَاتِ الْبَيْضِ الْمَذْيَلَةِ ، وَالْمَعَاجِرِ ^(٦) السُّودِ الْمُسْتَنْبَلَةِ ، وَلَا يَلْبَسْنَ شَيْئًا مِنَ التَّكْكِ ، وَلَا شَيْئًا مِنَ الْمَرْشُوشِ وَالْمَطْيَبِ ، وَلَا النَّقِيقَةِ الْأَلْوَانِ ، وَلَا مِنَ الشَّيَابِ الْبَيَاضِ الْكَتَّانِ ، إِلَّا مَا كَانَ مَلُونًا فِي نَفْسِهِ ، أَوْ مَصْبُوغًا مِنْ جَنْسِهِ ، أَوْ مَغْيَرًا بِلَوْنٍ مِنْ أَجْنَسِ الْمَمْسُوكِ وَالْمَصْنُودِ ، وَأَجْنَسِ الْمَعْنَبِ وَالْمُسْنَبِلِ ، لِيَحُولَ بِالطِّيبِ عَنْ تِلْكَ الْحَالِ ، إِذْ لِبَسِ الْبَيَاضِ عِنْدَهُمْ مِنْ زَيِّ الرِّجَالِ ،

(١) الْخَلْقُ : ضَرْبٌ مِنَ الطِّيبِ أَكْثَرُ أَجْزَائِهِ الزَّعْفَرَانُ .

(٢) الْغَالِيَةُ : أَخْلَاطُ مِنَ الطِّيبِ .

(٣) ذَفْرُ الشَّيْءِ : ظَهَرَتْ رَأْسُ حَتَمِهِ وَاسْتَدْتَدَتْ ، طَبِيعَةً كَانَتْ أَوْ خَبِثَةً ، وَأَغْلَبَهُ فِي الْخَبِثَةِ .

(٤) الْجَامِعُ الصَّغِيرُ لِلْسِّيُوطِيِّ : طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِجْلُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِجْلُهُ .

(٥) الْجُرْبَانُ : طَوْقُ الْقَمِيصِ .

(٦) الْمَعْجَرُ : ثَوْبٌ تَشْدُهُ الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا .

ولا يلبس أيضا من الثياب الأصفر والأسود والأخضر، والمورّد، والأحمر،
إلا ما كان جنسه الصفرة أو التزيق، والخضرة والتوريد والحمرة، مثل اللاذ
والحرير والقز، والديباج، والوشى والخز، لأن لبس المورّد والأحمر،
والسمنرى الأخضر، إنما هو من لبس النساء النبَطِيَّات، ولبس الإماء
المتقينات. والبياض عندهم من لبس المهجورات، والأزرق والحِداد من
لبس الأراامل والمقرّعات. وأحسن الذى عندهم ما ذكرناه، وليس يتجاوز
حدّ ما رسمناه.

٢٨ — باب زيّهم المتفانف لرى الرجال

فى لبس التّكّ والخفاف والنّعال

لبس النّعال الكنبانيّة المشعّرة، والمدّهونة المخضّرة، والخفاف الزنانية،
والمكسورة والرهاويّة، والتّكّ الأبريسميّة، والرجال يشركونهم فى التّكّ
الأبريسميّة، ولا يشركن الرجال فى التّكّ الديباج المنسوجة، وشرّابات
الأبريسم المفتولة، والزنانير العراض، ولا يذهبن فى ألوانها إلى البياض،
ولا ما كان منها كثير الألوان والتّخطيط، ويتطيّرن من الألوان، وقد يلبس
أيضا التّكّ الخزيّة المطرّقة القطنيّة.

ومن زيّهم أيضا فى الطيب، الذى ليس للرجال فيه نصيب، استعمال
اللّبخ والصدل، والصّيّاح والقرنفل، والساهرية والأذقال، والمعجونات
والزعفران، والخلوق وماء الخلوق، والكافور وماء الكافور، والمثلثة
الخزائنية، والبرمكيّة السلطانيّة، وسائر صنوف الأدهان، من البنفسج
والزنبق والبان، إلا أنّهم اجتنبن استعمال التّشنام، والرجال لا يستعملون

شيئاً من ذلك ، وَالنساء يستعملن جميع طيب الظرفاء ، والظرفاء لا يستعملون شيئاً من طيب النساء .

وَمِنْ زِينَةِ الْمَعْلُومِ ، فِي لِبَاسِ الْخَلِيِّ الْمُنْظُومِ ، لِبَاسُ تَخَانُقِ^(١) الْقَرْنَفَلِ الْمُخْمَرِ ، وَمِرَاسِلِ الْكَافُورِ وَالْعَنْبَرِ ، وَالْقَلَائِدِ الْمَفْصَلَةِ ، وَالْمَعَاذَاتِ الْمُخْرَمَةِ ، بِشَرَابَاتِ الذَّهَبِ الْمُشَبَّكَ ، وَالْأَبْرِيَسِيَّةِ الْمَسْأَلَةِ ، وَاتِّخَاذِ السَّبَّجِ^(٢) اللَّطِيفِ ، مِنَ الْخُرُوطَةِ الْخَفَافِ ، وَمِثْلِ السَّبَّجِ الْحَلَاكِ ، وَالسَّكُورِ وَالسَّكْرُكِ ، وَالْبَلَّوْرِ النَّقِيِّ ، وَحَبِّ اللُّؤْلُؤِ السَّرِيِّ . وَالْحَبُّ الْأَحْمَرُ ، وَالسَّكَارِبَا الْأَصْفَرُ . وَسَائِرُ صُنُوفِ الْيَاقُوتِ وَالْجَوْهَرِ ؛ وَيَنْظُمْنَ بِالْحَبِّ وَصُنُوفِ الْجَوْهَرِ كِرَازِينَ^(٣) ، وَيَنْقُشْنَ بِالْأَبْرِيَسِيمِ وَالذَّهَبِ عَصَائِمَهُنَّ ، وَيَتَّخِذْنَ خَوَاتِيمَ الْمُقَرَّنَةِ ، وَالْمُنَاقِيرَ الْمَطْبُوقَةَ ، بِفُصُوصِ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ ، وَالزُّمُرِّدِ الْأَخْضَرِ ، وَالْأَسْمَانِجُونِيِّ وَالْأَصْفَرِ ، وَلَا يَحْسُنُ بِهِنَّ التَّخْتُمُ بِالْمِينَاءِ الْعَقِيقِ ، وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ ، وَالْمُلُوحِ وَالْفِيرُوزِجِ ، وَالْبِجَازِيِّ وَالْمَسَانِيحِ ، وَذَلِكَ مِنْ لِبَاسِ الرِّجَالِ وَالْإِمَاءِ ، وَلَيْسَ مِنْ لِبَاسِ مَتَطَرِّفَاتِ النِّسَاءِ ؛ وَلَا يَتَّخِذْنَ مِنْهَا مَا ضَاقَ وَعَسُرَ ، وَلَا مَا جَفَا وَكَبُرَ ، وَقَدْ تَطَيَّرَ بَعْضُ الظَّرَفَاءِ مِنْ هَدِيَّةِ الْخَاتَمِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْقَطِيعَةِ ، وَتَهَادَاهُ آخَرُونَ وَأَقَامُوهُ مَقَامَ التَّذَكُّرَةِ وَالْوَدِيعَةِ ، فَأَمَّا الَّذِينَ تَطَيَّرُوا مِنْهُ فَيَنْشُدُونَ :

وَمَا كَانَ هَذَا الْمَجْرُ مِنْ طَوْلِ بَغْضَةٍ وَلَكِنْ بَعْضَ الْمَزْحِ لِلرَّءِ قَاتِلُ
مَزْحَتُ لِحْيَتِي مَرَّةً بِخَوَاتِيمِ لِأَخْذِهِ حَلَّتْ عَلَى النَّوَازِلِ
فَصَدَّتْ وَلَمْ تَعْلَمْ عَلَى خِيَاكِنَةٍ وَطَوْلُ صُدُودِ الْخَلِّ لِلْعَقْلِ سَامِلُ^(٤)

(١) الخانق : جمع الخنقة ، القلادة

(٢) السبج : جمع السبجة وهي كساء اسود

(٣) السكران : جمع السكرن وهو تاج ملوك فارس وهو مرصع بالذهب والجواهر

(٤) السامل : الخلق البالي

وينشدون أيضا :

إني مزحتُ ولم أعلمُ بخاتمِهِ
قد كنتُ ما قال أهلُ الظُرفِ أنكرُهُ
فكان منه ابتداءُ الهجر والغضبِ
وكان قولُهُم عندي من اللَّعبِ
فقلتُ هذا لعمري غايةُ الكذبِ
أخذُ الخواتيمِ فيه أكثرُ العطبِ
حتى ابتليتُ فكان الحقُّ قولُهُم

وأنشدني صديق لي في ضدِّ ذلك :

يقول أناسٌ في الخواتيمِ إنها
بأنَّ خواتيمَ الملاحِ وصولةٌ
تقطعُ أسبابَ الهوى وأقولُ
وخاتمٌ من تهوى الملاحِ وصولُ

والعلةُ فيما كرهه الظرفاءُ ، وتطير منه الأدباءُ ، من هدية التَّسْكَة والخاتم ،
حتى صار مستفيضاً في العالم ، أن هذين وُحْدَهُمَا من جميع اللباس أن يُسْتَظَرَفَا
فيسُتَلَبَا ، ويسُتَحْسَنَا فيستوهبا ، وأنَّ الواحد إذا أهدى الى خليله ، وأرسل
الى حبيبه ، بخاتمة أو تسكَّته ، فقد ذلك من يده أو خِزَّتِه ، بعثه باعثٌ من غيرته ،
على قطيعته وهجرته ، فأما من يتلقَّى هدية اخائه بالقبول ، ويُنزِلُها منه بالمنزل
الجليل ، ويحفظها كحفظه لبصره ، ويشفق عليها من الدهر وغيره ، فهو آمنٌ
من المجانبة ، مستريحٌ من المعاتبة .

وقد رأيناهم ربَّما أهدوا ذلك ، فيُهدونه على سبيل البيع ، ويأخذون
منهم الشيء الطفيف اليسير ، كالدرهم الصغير ، والقطعة من البخور ، فيخرج
بهذا البيع عن حدِّ الهدية ، ويأمنون ما فيه من مكروه البلية .

وقد بلغني أن أبانواس دخل على خالد خيلويهِ ، فنظر في أصبعه الى خاتم ،
فقال : أرينيه . فدفعه اليه ، وكان علامة بينه وبين جارية يحبُّها ، فانصرف

فاستعمل واحدا على مثاله ، ثم بعث به اليها ، فأنكرت الفحص ، فبعثت به

اليه ولم تأت به ، فدخل على حيماله ، فلما رآه مثل بين يديه وأنشأ يقول :

تَفْدِيكَ رُوحِي يَا أَبَا جَعْفَرٍ جَارِيَةً كَالْقَمَرِ الْأَزْهَرِ
تَعَلَّقْنِي وَتَعَلَّقْتَهَا

كُنْتُ إِلَيْهَا تَهَادِي الْهَوَى بَخَاتِمٍ لِي غَيْرِ مُسْتَنْكَرٍ
فَأَنْكَرْتَهُ إِذْ رَأَتْ فَصَّهُ فَأَدْرَكْتُهَا غَيْرَةَ الْمُفْكَرِ

قَالَتْ لَقَدْ كَانَ لَهُ خَاتِمٌ أَحْمَرُ يَهْدِيهَا إِلَيْنَا سَرِي
فَالْيَوْمَ قَدْ عُلِقَ غَيْرِي فَقَدْ أَهْدَى لَهُ الْخَاتِمَ لَا أُمْتَرِي

آمَنْتُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ إِنْ أَنَا لَمْ أَهْجُرْهُ فَلْيَضْحَكُوا
أَوْ يَأْتِ بِالْحُجَّةِ فِي تَهْمَتِي إِيَّاهُ فِي خَاتِمِهِ الْأَحْمَرِ

فَارْدُدْهُ تَرَدُّدَ وَضَلِّهَا إِنَّهَا قُرَّةُ عَيْنِي يَا أَبَا جَعْفَرِ

فأخرجه من أصبعه فدفعه اليه ، فهذا دليل على إجازة تهادي الخواتيم ،

وحفظها لأربابها ، وشدة الغضب والغيرة عند ذهابها .

فأما الطعام فعيوبه أشد الأشياء على الظرفاء ضرراً ، وهم من عيوبه أشد
توقياً وحذراً ، لتكاثف عيوبه ، وكثرة معيبه ، وأنا أبين زيهم في ذلك ،
وما استحسنوه في ذلك واستعملوه ، وما استقبحوه فاجتنبوه ، إن شاء الله .

١٩ — باب ذكر نزي الظرفاء في الطعام

الذي بانوا به عن منزلة اللثام

اعلم أن أول ما استعملوه تصغير اللقم ، والتجائل عن الشره والنهم ،

وأكل الأوساط الرقاق ، والبز ما ورد الدقاق ، وليس يأكلون العَصَبَةَ^(١) والعَصَلَةَ^(٢) ، ولا العرق والسكولة ، ولا السكرش والقبة^(٣) ، ولا الطحال والرثة ، ولا يأكلون القديد^(٤) ، ولا يأكلون الثريد ، ولا ما في القدر من الورق ، ولا يتحسّون المرق ، ولا يتبعون مواضع الدسم ، ولا يملأون أيديهم بالزهم^(٥) ، ولا يملأون الملح ، وهو عندهم من أكبر القيح ، ولا يكوّكبون في الخل ، ولا يمعنون في أكل البقل ، ولا يأكلون الطلح^(٦) ، لشبهه رأتخته برائحة الماء الدافق ، ولا يمشّون^(٧) من العظام كراديس^(٨) قصب الساق الغليظ ، وإنما مشاشهم ما لان وصغر ، ولا ما غلظ وكبر ، ويأخذون ما ثقل من المشاش على ظهر الأصابع ، ويطحرونه ناحية من الخوان ، ولا يزهمون ما بين أيديهم من الرغفسان ، ولا يتعدّون مواضعهم ، ولا يلمعون أصابعهم ، ولا يملأون باللقم أفواههم ، ولا يدسمون بكبرها شفاههم ، ولا يقطرون على أكفهم ، ولا يعجلون في مضغهم ، ولا يأكلون بجانب الشدقين ، ولا يزاوجون بين الاثنين ، ولا يجاوزون ما بين أيديهم شيء من الفتات ، ولا يأكلون قدرا بائنة ، ولا قدرا مسخنة ، ولا يغمسون في مرقة ، ولا يضعون لقمة . ولا يأكلون شيئا من السكوريح والصحناء^(٩)

-
- (١) العصب : واحدة العصب : أطناب المفاصل التي تلائم بنيتها وتشدها وهي منتشرة في الجسم كله وبها تكون الحركة والحس .
 (٢) العصلة : كل عصبية معها لحم مجتمع .
 (٣) القبة : العظم الناقء من الظهر بين الإليتين .
 (٤) القديد : اللحم المقدد .
 (٥) الزهم : الشحم .
 (٦) الطلح : ما يبدو من ثمرة النخل في أول ظهورها .
 (٧) مش العظم : مص اطرافه .
 (٨) السكراديس : جمع السكدوسة : كل عظم اجتمع عليه اللحم .
 (٩) الصحناء : السمك الصغير المملوح .

ولا الرُبْدَاء والسَّمِيكَات ، ولا شَيْئًا من السَّكْوَامِيخ ^(١) والمالح ، وأَسْخَلُ ذلك عندهم من الفضائح ، إلا أن القَيْنَات المتظَرِّفات ، والنساء القَصْرِيَّات ، ربّما تظَرَّفْنَ بأكل المالح والمملوح في منازل متعشِّقِيهِنَّ ، وبيوت مُرَابِطِيهِنَّ ، فيذهب مذهب طرح المؤونات ، وخَفَّةُ النَّفَقَات ، ولا يأكلون الجراد والأُرْبِيَّان ، لِحِلَّةِ شَبَهِهِمَا بالأشياء القبيحة من الحيوان ، ولا يأكلون الحبوب التي تُسَبِّجُ الأرياح ، وتولد القرقرة والانتفاخ ، ولا يأكلون في النهار أكثر من أكلة ، ويكثرُون القيام في مجالسهم ، ولا يكثرون من الضحك والكلام ، عند حضور المائدة والطعام ، ولا يتخلَّلون على المائدة قبل أن تَفْرُغَ ، ولا يتحفِّزون لمجيئها قبل أن توضع ، وإذا غسلوا أيديهم لم يطلبوا الغسل قبل طلب إيتائها من الوسخ والسكر ، ولم يقصدوا التقصير الذي يبقى منه رائحة الغمر ^(٢) ، وكذلك أيضا إذا تمندلوا فعلاوا كفعليهم إذا غسلوا .

فأما النقل فانهم يحضرونه مؤائدهم ، ويَطْعُمُونَهُ ولائدهم ، ولا يكثرون من أكله ، ولا يأتون على كله ، وإنما يعبثون منه بالشئ اليسير من النعنع ^(٣) ، ويحتجبون من ذلك الهندبا ^(٤) والأكشوت ^(٥) لبردهما ، والفُجْل والحرف لنتنهما . والسكرات والبصل لرائحتهما ، والفداح ^(٦) والهندقوق ^(٧) لخشنهما ،

(١) السَّكْوَامِيخ : جمع الكامخ : أدام يؤتدم به ، وخصه بعضهم بالمخللات التي تستعمل لتسهي الطعام

(٢) الأوربيان : نوع سرطان بحري

(٣) الغمر : ريخ الحم

(٤) النعنع : بقل طيب الرائحة يؤكل ويتداوى به

(٥) الهندبا : بقل يؤكل

(٦) الأكشوت : نوع من النبات

(٧) الفداح : أطراف النبات الغض

(٨) الهندقوق : بقلة أو حشيشة

لأنهما أيضا يُخَضَّرَانِ الأَسنانَ والعُمرورَ ، ويُجَدِّثَانِ الرَّائِحَةَ والتَّخْيِيرَ ، ولَنْ يَقَعَ الثُّومُ فِي قَدْرٍ فَيَذْوِقُونَهُ ، وَلَا الْبَصَلَ فَيَقْرَبُونَهُ ، وَلَا يَلْفُظُونِ بِاسْمِ الطَّرْخُونِ^(١) لَا بِتَدَاءِ اسْمِهِ ، وَشِنَاعَةِ لَفْظِهِ ، فَيَكْمَنُونَ عَنْهُ فَيُضَيِّفُونَهُ إِلَى النَّعْنَاعِ ، وَقَدْ سَمَّاهُ بَعْضُهُمْ بَقْلَةَ الْجِيَاعِ ، وَسَمَّاهُ آخَرُونَ كَافُورَ الْفُسَّادِ ، وَكُلُّهُ يَقْصِدُ إِلَى مَعْنَاهُ ، وَالْحَسَّ لَا يَقْرَبُونَهُ لِمَوْضِعِ تَفَقُّمَتِهِ ، وَالْخِيَارَ لَا يَأْكُلُونَهُ لِعِلَّةِ بَرْدِهِ ، وَالْجَزَرَ يَتَجَالَّلُونَ عَنْ مَسِّهِ ، وَلَا يَرَوْنَ النَّظَرَ إِلَيْهِ دُونَ أَكْلِهِ ، وَكَذَلِكَ الْقِثَاءُ وَالْهَلِيلُونَ^(٢) ، وَلِمَوْضِعِ النَّوَى أَيْضًا رَغَبُوا عَنْ أَكْلِ الزَّيْتُونِ ، وَرَغَبُوا عَنْ مَا خَالَطَهُ النَّوَى مِنْ فَاكِهِةِ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ ، مِثْلَ الْقَسَبِ^(٣) وَالْبُسْرِ^(٤) ، وَالْمَشَقَّقِ أَيْضًا وَالتَّمَرِ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَرْطَابِ ، وَالْمَشْمَشِ وَالنَّبَقِ وَالْعُنَّابِ ، وَكَذَلِكَ فِي الْخَوْخِ وَالشَّاهِلُوجِ وَالْإِجَّاصِ ، وَهُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَكْلِ الْعَوَامِ لَا مِنْ أَكْلِ الْخَوَاصِّ ، وَلَا يَنْفَقُ عِنْدَهُمُ الرُّمَانُ وَالتِّينُ ، وَهَذَانِ عِنْدَهُمُ الْبَطِيخُ مِنْ تَهْجِيْنٍ ، خَاصَّةً إِذَا انْشَقَّتِ الرُّمَانَةُ ، وَتَصَدَّعَتْ الْبَطِيخَةُ إِذَا انْكَسَرَتْ ، وَجَوْزَةٌ وَلَوْزَةٌ وَتَيْنَةٌ وَمَوْزَةٌ ، وَلَا يَدْفَعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَرْدَةً وَاحِدَةً وَلَا لَوْزَةً وَاحِدَةً لِلتَّسْفِيلِ ، وَلَمَّا يَقَعَ فِيهِ مِنَ التَّشْمِيلِ ؛ وَلَا تَقُولُ مَتَطَرَّةً لِأُخْرَى هَذِهِ وَرْدَتُكَ وَلَوْزَتُكَ وَنَبَقَتُكَ وَجَوْزَتُكَ وَرَمَانَتُكَ

(١) الطَّرْخُونُ : نَبَاتٌ يَكْبَسُ فِي اللَّبَنِ أَوْ الْمَاءِ الْمَالِحِ وَيُؤْكَلُ وَقَالَ ابْنُ الطَّبْيَارِ فِي مَفْرَدَاتِهِ : هُوَ نَبَاتٌ طَوِيلُ الْوَرَقِ دَقِيقُ السَّاقِ يَعْلُو عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَحْوًا مِنْ شِبْرِ إِلَى ذِرَاعٍ وَنَصْفٍ ، وَهُوَ مِنْ بَقُولِ الْمَائِدَةِ يَنْهَضُ الشَّهْوَةُ وَيَطْيِبُ النِّكْهَةَ وَإِذَا شَرِبَ الْمَاءَ عَلَيْهِ طَيِّبُهُ .

(٢) الْهَلِيلُونَ : نَبَاتٌ لَهُ قَضْبَانِ رَخِصَةٌ تَوْكَلُ ، وَقَالَ ابْنُ الْبَيْطَارِ فِي مَفْرَدَاتِهِ : الْهَلِيلُونَ وَرَقُهُ كَوَرَقِ الشَّبْثِ ، وَلَا شَوْكَ لَهُ الْبَتَّةُ . وَلَهُ بَذَرٌ مَدُورٌ أَخْضَرٌ ثُمَّ يَسْوَدُ وَيَحْمَرُ ، وَفِي جَوْفِهِ ثَلَاثُ حَبَاتٍ كَأَمَّا حَبُ النَّيْلِ صَلْبَةٌ ، مِنْهُ بَرَى كَثِيرُ الشَّوْكِ .

(٣) الْقَسَبُ : تَمْرٌ يَابَسٌ يَتَفَتَّتُ فِي الْفَمِ .

(٤) الْبُسْرُ : التَّمْرُ إِذَا تَلَوَّنَ وَلَمْ يَتَضَجَّجْ .

تَيْبَتِكَ وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَجَلٌ الْعُيُوبِ ، تَشْمُزُ مِنْهُ الْقُلُوبُ ، وَيَحْتَنِبُونَ لَهُ أَشَدَّ
الاجْتِنَابِ ، وَيَكْتَنِبُونَ لَهُ أَمْرًا اكْتِنَابًا ، وَكَذَلِكَ لَا تَقُولُ وَاحِدَةً لِأُخْرَى :
ارْفَعِي رِجْلَكَ وَلَا ذِيْلَكَ وَلَا اقْعُدِي عَلَيْهِ ، وَلَا أَدْخُلِيهِ وَلَا أَخْرِجِيهِ ، وَلَا
أَصْعِدِيهِ ، وَلَا صُبِّيهِ ، وَلَا انْفُخِيهِ ، وَلَا سَيْبِي ، وَلَا سَرَّحِي وَلَا شَيْبِي ، وَلَا انْتَحِي ،
وَلَا اَعْمَلِي ، وَلَا قَدْ عَمَلْتِ ، وَيَحْتَنِبُونَ ذَلِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ السَّكَلَامِ ، مِمَّا كَثُرَ
اسْتِعْمَالُهُ فِي خُطَابِ الْعُومِ ، وَلَا يَكَادُونَ يَلْفِظُونَ بِهِ ، وَلَا يُطِيفُ بِالسَّنَتِهِمْ ،
وَلَا يَجِيزُونَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ مَخَاطِبَتِهِمْ ، وَيَحْذَرُونَهُ وَيَتَوَقَّوْنَ مِنْهُ ، وَيَعْيَبُونَ
الْمُتَكَلِّمَ بِهِ ، وَيُعْرِضُونَ عَنْهُ .

٣٥ - باب ذكر زعمهم في الشراب

الذي يتخير به ذوو الألباب

أَمَّا مَا عَلَيْهِ الظُّرْفَاءُ ، وَأَهْلُ الْمَرْوَةِ وَالْأَدْبَاءُ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَشْرَبُونَ مِنَ الشَّرَابِ أَسْوَدَهُ ،
وَلَا يَشْرَبُونَ إِلَّا أَجْوَدَهُ ، مِثْلَ الْمَشْمَسِ وَالزَّيْدِيِّ وَالْمَعْسَلِ ، وَالْمَطْبُوحِ وَالطَّلَاءِ
وَالْمَعْدَلِ ، وَلَا يَقْرَبُونَ مَالَاءَ مَهْ الْخَثَرِ^(١) ، وَلَا مَا خَالَطَهُ السَّكَدَرُ ، وَلَا يَشْرَبُونَ
إِلَّا مَا صَفَا مِنَ الشَّرَابِ ، وَيَتَجَالَلُونَ عَنِ الْمَسْجُورِيِّ الدُّوْشَابِ ، إِذْ هُوَ مِنْ
شَرَابِ الْعَامَّةِ وَالرَّعَاعِ ، وَشَرِبَ السُّوقَةَ وَالْأَتْبَاعَ ، وَلَا يَنْتَقِلُونَ عَلَى شَرَابِهِمْ
بِالْأَشْيَاءِ الرَّذَلَةِ ، مِثْلَ الْبَاقِلِيِّ وَالْبَلُوطِ ، وَالْبُسْرِ الْمُقْلُوِّ ، وَالْقَرِيشَاءِ وَالْحَنْظَةِ ،
وَالْغُبَيْرَاءِ وَالشَّاهِبُكُوطِ وَالْخَرْزُوبِ الشَّامِيِّ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَنْقَالِ ؛
وَأَكْثَرُ مَا يَنْتَقِلُ بِهِ الْمُتَظَرِّفُونَ ، وَيَعْبَثُ بِهِ الْمُتَزَيِّسُكُونَ ، مَلُوحُ الْبُنْدُقِ ،
وَمَقَشَّرُ الْفُسْتَقِ ، وَالْمَلْحُ النَّفْطِيُّ ، وَالْعُودُ الْهِنْدِيُّ ، وَالطَّيْنُ الْخِرَاسَانِيُّ ، وَالْمَلْحُ

(١) خثر اللبن : ثخن واشتد .

الصَّنْعَانِي ، وَالسَّفَرَجَلُ الْبَلْعَنِي ، وَالتُّفَّاحُ الشَّامِيُّ ، وَيَتَّخِذُونَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ
الْأَنِيةِ أَسْرَاهُ ، وَمِنْ الزَّجَاجِ أَجْوَدَهُ وَأَنْقَاهُ .

وَأَمَّا مَا اجْتَنَبُوهُ مِنَ الْهَدَايَا ، وَتَخَوَّفُوا مِنْ هَدِيَّتِهِ الْبَلَايَا ، فَأَشْيَاءُ يَكْثُرُ
بِهَا الْعَدَدُ ، وَيَطُولُ بِهَا الْأَمَدُ ، وَأَنَا أَذْكَرُ مِنْ يَسِيرِهَا ، مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى
كَثِيرِهَا .

٣١ - باب ذكر الأَشْيَاءِ الَّتِي يَتَطَهَّرُ الظُّرَفَاءُ مِنْ أَهْمِهَا

وَيُرْغَبُونَ عَنْهَا لِشِنَاعَةِ أَسْمَائِهَا

فَمِنْ ذَلِكَ الْأُتْرُجُ ^(١) وَالسَّفَرَجَلُ وَالشَّقَائِقُ ^(٢) وَالسُّوسَنُ ^(٣) وَالنَّمَامُ ^(٤)
وَأَطْبَاقُ الْخُلَافِ ^(٥) وَالْغَرْبُ ^(٦) وَالْبَانُ ^(٧)

فَأَمَّا الْأُتْرُجُ ، فَانْ بَاطِنُهُ خِلَافُ ظَاهِرِهِ ، وَهُوَ حَسَنُ الظَّاهِرِ ، حَامِضُ

(١) الْأُتْرُجُ : نَبَاتٌ حَامِضُهُ مَسْكَنٌ غَلْمَةُ النِّسَاءِ ، وَيَجْلُو اللَّوْنُ وَالْكَفُّ ، وَقَشْرُهُ فِي
الشَّيَابِ يَمْنَعُ السُّوسَ .

وَقَالَ ابْنُ الْبَطَّارِ : الْأُتْرُجُ كَثِيرٌ بِأَرْضِ الْعَرَبِ ، وَهُوَ مِمَّا يَغْرَسُ غَرْسًا وَلَا يَكُونُ بَرِيًّا ،
وَوَرَقُهُ مِثْلُ وَرَقِ الْجُوزِ ، وَهُوَ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ ، وَنَوَارُهُ شَبِيهُ نَوَارِ النَّرْجِسِ إِلَّا أَنَّهُ
أَلْطَفُ ، وَلَهُ بَزْرٌ شَبِيهُ السَّكَاكِينِ .

(٢) الشَّقَائِقُ : نَبَاتٌ أَحْمَرُ الزَّهْرِ مَبْقَعٌ بِنَقْطِ سَوْدَاءِ

(٣) السُّوسَنُ : نَبَاتٌ مِنَ الرِّيحَانِ بَرِّيٌّ وَبَسْتَانِيٌّ وَيَعْرِفُ بِالزَّنْبَقِ ، وَهُوَ أَبْيَضُ
وَأَصْفَرُ وَأَزْرَقُ .

(٤) النَّمَامُ : نَبْتُ لَهُ بَزْرٌ كَالرِّيحَانِ عَطَرِيٌّ قَوِيٌّ الرَّائِحَةِ سَمِيٌّ بِذَلِكَ لِسَطْوَعِ رَائِحَتِهِ .

(٥) الْخُلَافُ : صَنْفٌ مِنَ الصَّفَصَافِ ، وَجَبُهُ أَكْبَرُ مِنَ الْحَصِ ، وَلَهُ لَبٌّ لَيْنٌ دُهْنِيٌّ .

(٦) الْغَرْبُ : شَجَرَةٌ حِجَازِيَّةٌ ضَخْمَةٌ شَاكَةٌ .

(٧) الْبَانُ شَجَرٌ يَسْمُو وَيَطُولُ فِي اسْتِوَاءٍ ، وَخَشْبُهُ خَوَارٌ خَفِيفٌ ، وَقَضْبَانُهُ سَمِيحَةٌ
خَضِرٌ ، وَهَدَبُهُ يَنْبِتُ فِي الْقَضِيبِ وَهُوَ طَوِيلٌ أَخْضَرُ شَدِيدُ الْخَضَرَةِ . وَثَمَرَتُهُ تَشَبَّهُ قُرُونِ
الْوَبْيَا إِلَّا أَنَّ خَضَرَتَهَا شَدِيدَةٌ وَفِيهَا حَبٌّ فَإِذَا انْتَهَى انْفَتَقَ وَانْتَمَرَّ حَبُّهُ ، وَهُوَ أَبْيَضُ أَغْبَرُ
نَحْوِ الْفُسْتَقِ .

الباطن ، طيب الرائحة ، مختلف الطعم ، ولذلك يقول فيه الشاعر :

أَهْدَى لَهُ أَحْبَابُهُ أَرْجَةً فَبَسْكَ وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَاقَةِ زَاجِرٍ^(١)
خَافَ التَّلَوْنَ إِذْ أَتَتْهُ لَأَنَّهُمَا لَوْ نَانَ بَاطِنُهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ
فَرِقَ الْمُتَمِّمُ مِنْ حُمُوضَةٍ لَسَبَّهَا وَاللَّوْنُ زَيْنُهَا لِعَيْنِ النَّاطِرِ

وأما السفرجل ، فلأن فيه اسم السفر ، وقد قال فيه الشاعر :

مُتَحِفِي بِالسَّفَرِ جَلَّ لَا أُرِيدُ السَّفَرَ جَلًّا
إِسْمُهُ لَوْ عَرَفْتَهُ سَفَرٌ جَلٌّ فَاعْتَلَى

وقال آخر

أَهْدَتْ إِلَيْهِ سَفَرٌ جَلًّا فَتَطِيرَا مِنْهُ وَظَلَّ مُتَمِّمًا مُسْتَعْبِرَا
خَافَ الْفِرَاقَ لِأَنَّ أَوَّلَ إِسْمِهِ سَفَرٌ فَحُقَّ لَهُ بَأْنُ يَتَطِيرَا

وأما الشقائق ، فليشطر اسمه ، ولقول الشاعر فيه :

لَا تَرَانِي طَوَالَ دَهْرٍ رِي أَهْوَى الشَّقَائِقَا
إِنْ يَكُنْ يُشَبِّهُ الْخُدُو دَ فَنِصْفِ إِسْمِهِ شَقَا

وقال آخر :

لَا يُحِبُّ الشَّقَائِقَا كُلُّ مَنْ كَانَ عَاشِقَا
إِنْ نِصْفَ إِسْمِهِ شَقَا إِذَا فُتَّ نَاطِقَا

وأما السوسن ، فلأن اسمه السوء ، وقد قال فيه الشاعر :

سُوسَنَةٌ أَعْطَيْتَنِيهَا وَمَا كُنْتُ بِاعْطَائِكُمَا مُخْسِنَةً
شَطَرُ اسْمِهَا سُوءٌ فَإِنْ جِئْتُ بِأَخْرٍ مِنْهَا فَهُوَ سُوءٌ سَنَةً

(١) العياقة : التكن . زجر الطير : أطاره فتقاعل به إن كان طيرانه عن البين ، أو تطير به إن كان عن اليسار .

وَأَنْتِ إِنْ هَاجَرْتِنِي سَاعَةً قُلْتُ أَتَتْ مِنْ قَبْلِ الشُّوسَنَةِ
وقال آخر :

يَا ذَا الَّذِي أَهْدَى لَنَا سُوسَنًا مَا كُنْتُ فِي إِهْدَائِهِ مُحْسِنًا
أَوَّلُهُ سُوءٌ فَقَدْ سَاءَ فِي يَالَيْتَ أَنِّي لَمْ أَرَ الشُّوسَنَا
وأما الياسمين ، فليبدأ اسمه تطير^١ منه ، ولقول الشاعر :

إِنِّي لَأَذْكُرُ بِالرَّيْحَانِ رَائِحَةً مِنْهَا فَلَقَلْبُ بِالرَّيْحَانِ إِيْنَاسُ
وَأَمْنَحُ الْيَاسْمِينَ الْبُغْضَ مِنْ حَذَرِي لِيَأْسُ إِذْ كَانَ فِي بَعْضِ أَسْمِهِ يَاسُ
وقال آخر :

أَبْصَرْتُهُ فِي الْمَنَامِ نَاقِلِي مِنْ كَفِّهِ الْيَاسْمِينَ وَالْغَرَبَا
فَكَانَ يَأْسُ فِي الْيَاسْمِينَ وَفِي الْ خَرَبِ اغْتِرَابٌ يَأْشُومُ مَا وَهَبَا
وقال آخر :

أَهْدَى حَبِيبِي يَاسْمِينًا فِي مِنْ سِرِّهِ الطَّيْرَةَ وَسَوَاسُ^(١)
أَرَادَ أَنْ يُؤَيِّسَ مِنْ وَضْلِهِ إِذْ كَانَ فِي شَطْرِ اسْمِهِ الْيَاسُ
وأما النَّامُ ، فلشناعة اسمه ، وقول الشاعر فيه :

حَيْثُمَا بَتَحْيَاةٍ فِي مَجْلَسٍ بِقَضِيبِ نَمَامٍ مِنَ الرَّيْحَانِ
فَتَطِيرَتْ مِنْهُ وَقَالَتْ أَقْصِيهِ لَا تَقْرُبَنَّ مُضِيْعَ الْكِتْمَانِ
وأما الْآسُ^(٢) ، فقد تطير منه قوم ، وزعموا أنه إِيَّاسُ ، وتفاعل به آخرون ،
وزعموا أنه مُوَاسَاةٌ وَأَسَاسُ ، قال الشاعر :

(١) الطيرة : ما يتشام به .

(٢) الْآسُ : خضرته دائمة ، وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة ، وثمرته سوداء ، ومنها ما هو أبيض كاللؤلؤ بين ورقه كالزبرجد ، ويحلو إذا أينع ، وعصارة ثمره رطبة تفعل فعل التمرة ، وهي جيدة للعدة ، مدرة للبول ، وطبخ الثمر يصنع الشعر .

ما أَحْسَنَ الْآسَ فِي عَيْنِي وَأَطْيَبَهُ لولا اتِّصَالُ حُرُوفِ الْآسِ بِالْيَاسِ
ماضِرٌّ مَنْ كَانَ أَهْدَى الْآسَ مِنْ يَدِهِ لو قَالَ رِيحَانَةٌ يَعْنِي بِهِ الْآسِي^(١)
لولا الَّذِي أَتَّقَى مِنْ طَيْرَتِي بِهِمَا ما فَارَقَا أَبَدًا تَاجِمًا عَلَى رَاسِي
كَذَلِكَ تَطَيَّرُوا مِنَ الْخِلَافِ ، لِمَوْضِعِ الْخُلُفِ ، وَالْغَرْبِ لِلْإِغْتِرَابِ ،
وَالْبَانِ لِلتَّبَايُنِ .

وَرَوَى عَنْ كَثِيرٍ عَزَّةٌ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهَا عَلِيلَةٌ ، وَأَنَّهَا تَتَشَوَّقُهُ ، فَنُجِرَ بِرِيدِهَا
وَهِيَ بِمِصْرَ ، فَرَأَى غَرَابًا سَاقِطًا عَلَى بَانَةٍ يَنْتَفِ رِيشُهُ وَيَطَّائِرُهُ عَلَى رَأْسِهِ ،
فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَتَى عَرَّافًا مِنْ نَهْدٍ أَخْبَرَهُ بِمَا رَأَى ، فَأَيَّسَهُ^(٢) مِنْ حَيَاتِهَا ،
وَأَخْبَرَهُ بِوَفَاتِهَا ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مِصْرَ خُبِرَ بِوُتَيْهَا ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

فَمَا أَعْيَفَ النَّهْدِيُّ لَا دَرْدَرُهُ وَأَعْلَمَهُ بِالزَّجْرِ لَا عَزْزَ نَاصِرُهُ^(٣)
رَأَيْتُ غَرَابًا سَاقِطًا فَوْقَ بَانَةٍ يَنْتَفِ أَعْلَى رِيشِهِ وَيَطَّائِرُهُ
فَأَمَّا غُرَابٌ فَاغْتِرَابٌ مِنَ الْهَوَى وَبَانَ فَبَيْنَ مِنْ حَبِيبٍ تُعَاشِرُهُ
وَقَالَ أَبُو الشَّيْصِ :

أَشَاقَكَ وَاللَّيْلُ مُلْقِي الْجِرَانِ غُرَابٌ يَنْوَحُ عَلَى غُصْنِ بَانٍ^(٤)
أَحْصُ الْجَنَاحَ شَدِيدُ الصِّيَاحِ يَبْكِي بَعِينَيْنِ مَا تَدْمَعَانِ^(٥)
وَفِي نَعَبَاتِ الْغُرَابِ اغْتِرَابٌ وَفِي الْبَانِ بَيْنَ بَعِيدِ التَّدَانِ^(٦)

(١) الْآسِي : الطَّيِّبُ .

(٢) يَأْسُ : قَنَطٌ أَوْ قَطْعُ الْأَمَلِ .

(٣) لَا دَرْدَرُهُ : لَا كَثْرَ خَيْرِهِ .

(٤) الْجِرَانُ : مِنَ الْبَعِيرِ : مُقَدِّمُ عَتَقِهِ ، وَيُقَالُ : أَلْقَى الْبَعِيرُ جِرَانَهُ ، أَيِ بَرَكِ . وَالْمُرَادُ :

ظِلَّةُ اللَّيْلِ .

(٥) الْأَحْصُ مِنَ الطَّيُورِ : مَا تَنَاسَرَ رِيشُ جَنَاحِهِ .

(٦) نَعَبُ الْغُرَابِ : صَوْتُ أَوْ أَنْذَرُ بِالْبَيْنِ عَلَى زَعْمِهِمْ .

وقال بعض الأعراب :

وكنْتُ قد اندمكتُ فهاج شوقي
تجأ وبشاً بلحن أعجبي
فقلت لصاحبي وكنْتُ أحرى
فقالا الدارُ جامعةٌ بسعدى
وكان البانُ أن بانَت سُلَيْمى
وقال نصيب :

ألا راع قلبي من سلامة أن غدا
فأزجرُ ذاك البانَ بيتاً مواشكا
غرابٌ على غصنٍ من البانِ ينعبُ
وغربةٌ دار ما تدانى فيصقبُ^(٢)

وقد استحسبوا هدايا كثيرة ، وتفاءلوا فيها بقول الشاعر : وإن كان بعضها مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه من طريق الظرف ، واجتنبوه لعلَّ التسفيل ، وأحبوه من حسن التفعُّل ؛ فمن ذلك الرُّمان ، وهو مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه لما فيه من التسهيل ، وما يقع فيه من التثيل ، وكذلك الشاهلوج والنَّبِق والورد والبنفسج ، فأما الرُّمان فقد قال فيه الشاعر :

أهدتُ إليه بظرفها رماناً
قال الفقى لما رآه تفعُّلاً
رَمَّ يَرَمُّ تشعُّى بوصالها
وأما الشاهلوج ، فهو مما فيه النوى ، وقد تهاداه قوم لموضع تفعُّل الشاعر به ، إذ يقول :

(١) ونى : فتر وضعف .

(٢) مواشكا : سريعا . صقب : قرب ، بعد .

أَهْدَتْ إِلَيْهِ الْآنَ شَاهِلُوجَا تَنْبِيهِهِ أَنْ لَوْجَاءَ كَانَ وَلُوجَا
فَقَضَى عَلَى قَالَ الْهَدِيَّةِ جَاسِرًا عَمْدًا فَصَارَ مُدَاخِلًا خَرِيجًا
وَأَمَّا النَّبِقُ ، فَهُوَ يُسْتَقْبَلُ ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

أَيَا أَحْسَنَنَا خُلُقًا وَمَنْ فَاتَ الْوَرَى سَبَقًا
تَفَأَّلَتْ بِأَنْ تَبْقَى فَأَهْدَيْتَ لَنَا النَّبِقًا
فَأَبْقَاكَ إِلَهُ النَّسَا سِ مَّا سَرَّكَ أَنْ تَبْقَى
وَأَشَقَى اللَّهَ شَانِيكَ وَحَاشَى لَكَ أَنْ تَشَقَى

وَأَمَّا الْبِنْفَسِج ، أَيْضًا ، فَقَدْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

أَهْدَتْ إِلَيْهِ بِنْفَسَجَا يُسْلِيهِ تَنْبِيهِهِ أَنْ بِنْفَسَهَا تَقْدِيهِ
فَارْتَاخَ بَعْدَ صِبَابَةٍ وَكَأَبَةٍ وَرَجَا لِحُسْنِ الظَّنِّ أَنْ تَدْنِيهِ

وَأَمَّا الْخَوْخ ، فَقَدْ أَطْنَبُوا فِي وَصْفِهِ ، وَأَكْثَرُوا فِي مَدْحِهِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ
أَشْبَهَ شَيْءَ بِالْخُدُودِ مِنَ التَّفَاحِ ، وَأَقْرَبَ شَبَهًا بِالْوَجْنَاتِ الْمَلَاخِ ، لِأَنَّهُ يَشَارِكُهَا
فِي الْبَيَاضِ وَالسَّمَرَةِ ، وَالْأَدَمَةِ ^(١) وَالصَّفْرَةَ ، وَالتَّوْرِيدَ وَالْحُمْرَةَ ، وَالزَّغَبَ
الَّذِينَ الْبَشَرَةَ ، وَهُوَ أَطْيَبُ مَلْسَمٍ ، وَأَعَذِبُ مُقْبَلٍ ، وَأَذْكِي مَشَمٍّ ، وَهُوَ عِنْدَ
طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى أَجَلُّ مَرْتَبَةٍ مِنَ التَّفَاحِ ، لَوْلَا مَا خَالَطَهُ مِنَ النَّوَى الَّذِي
يَشْمَتُ مِنْهُ الظَّرْفَاءُ ، وَيَشْنَاهُ الْأَدْبَاءُ ، وَأَنَّهُ مَفْقُودٌ ، وَالتَّفَاحُ مَوْجُودٌ

وَأَمَّا الْوَرْدُ ، فَقَدْ تَفَأَّلَ ^(٢) بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الظَّرْفَاءِ ، وَذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ،

أَنْشَدَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

(١) الْأَدَمَةُ : السَّمَرَةُ .

(٢) تَفَأَّلَ بِهِ : ضَدَّ تَشَاءَمَ .

أَهْدَى لَهُ وَرْدًا فَأُخْبِرَ أَنَّهُ فِي الْوَارِدِينَ وَلَمْ يَكُنْ وَرْدًا
فَارْتاحَ مِنْ فَرَحٍ بِطِيبِ وَفُودِهِ وَعَدَا لَهُ وَرْدُ الْحَيَاءِ فَرَادَا

وليس عندهم في الروض شيء يشبهه ، ولا في عروض الروض ما يدركه ،
وقد ذكرت ذلك في باب لطيف ، لرغبتي في اقتصاد التأليف ، فقف عليه
واعرفه .

٣٢ — باب ما قيل في صفه الورد

ومحله من قلوب ذوي الوجد

اعلم أن أهل الظرف قد أكثروا من تفضيل الورد ، ومدحتهم الشعراء ،
وقد أطنبت فيه ، وأفرطوا في نعت حسنه ، واشتهوا رائحته ، حتى شبهوه
بالوجنات الحمر ، وقايسوه إلى الخمر ، ومثّلوه بالأشياء الملاح ، كفعلهم
بالتفاح ، وهما عندهم في مرتبة واحدة ، قال العباس ابن الأحنف :

أُبْغِضُ الْآسَ وَالْخِلَافَ جَمِيعًا لِمَكَانِ الْخِلَافِ وَالْيَأْسِ مِنْهَا
وَأُحِبُّ التُّفَاحَ وَالْوَرْدَ حَتَّى لَوْ وَزَنْتِيهِ بِالْجِبَالِ وَزَنُّهَا
أَشْبَهَا رِيْقَهَا وَنَسَكَةً فِيهَا فَهُمَا يُقْبَلَانِ بِالطَّيْبِ عَنْهَا^(١)

وقال آخر :

عَشِيَّةَ حَيَّانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ خُدُودُ أُضْيِفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ
وَوَلَّى وَفَعَلَ الْخَمْرُ فِي حَرَكَاتِهِ فِعَالُ نَسِيمِ الرِّيحِ بِالْغُصْنِ الْغَضِّ

(١) النسكة : ريح الفم . الطيب : كل ذي رائحة عطرة :

وقال آخر :

يَضْحَكُ الْوَرْدُ إِلَى وَرْدٍ بِخَدِّكَ مُقِيمٍ
جَمْعًا شَكْلَيْنِ وَقَفِيئَةٍ
غَيْرَ أَنَّ الْمِسْكَ أَوْلَى بِكَ فِي كُلِّ نَسِيمٍ

وقال آخر :

سَيَعْلَمُ الْوَرْدُ أَنِّي غَيْرُ ذَا كَرِهِ
كَمْ بَيْنَ وَرْدٍ مُقِيمٍ فِي أَمَا كِنِهِ
هَذَا جَنِّي مَصُونٌ فِي مَنَابِتِهِ
إِذَا الْخُدُودُ عَارَتْ حُسْنَهَا بِصَرِي
وَبَيْنَ وَرْدٍ قَلِيلِ الْمُسْكِ فِي الشَّجَرِ
وَذَاكَ مُنْتَهَى فِي كُلِّ مُحْتَضِرٍ

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر :

مَرَّتْ وَفِي كَفِّهَا وَرْدٌ فَقُلْتُ لَهَا
فَقُلْتُ بُخْلًا ، فَقَالَتْ قَدْ وَهَبْتُ لَهُ
إِنْ كَانَ لَمْ يَجْنِهِ مِنْهُ أَنَا مِلَّةُ
حَيِّ مُحِبِّكَ قَالَتْ عَنْهُ لِي شُغْلٌ
وَرْدًا جَنِيًّا وَذَا بِالْكَفِّ يُبْتَذَلُ
فَقَدْ جَنَّتُهُ لَهُ الْأَلْحَاطُ وَالْمَقْلُ

وقال آخر :

وَرْدٌ خَدَّيْكَ مُقِيمٌ
أَنَا مِنْهُ فِي نَعِيمٍ
أَبَدًا لَيْسَ يَرِيمُ^(١)
مَا بَدَأَ مِنْهُ نَعِيمٌ

وقال آخر :

تَمَتَّعَ مِنَ الْوَرْدِ الْقَلِيلِ بِقَاوِهِ
وَوَدَّعَهُ بِالتَّقْيِيلِ وَالشَّمِّ وَالْبُكَاءِ
فَإِنَّكَ لَمْ يَفْجَعَكَ إِلَّا فَنَاقُوهُ
وَدَاعَ حَبِيبٍ بَعْدَ حَوْلٍ لِقَاوُهُ

وقد تطير منه آخرون ، وسموه الغدار ، وغضوا دونه الأبصار ، لقلة لبثه ،
ويسير مكثه ، وسرعة زواله ، وتغيره وانتقاله .

وخبرت أن قيمة أهدت إلى ربيط لها غصن آس ، فسر به وأنشأ يقول :

والآس يبقى وإن طال الزمان به والورد يفنى ولا يبقى على الزمن

وأهدت له وردا تطير منه وقال :

أنت ورد وبقاء الـ ورد شهر لا شهر
يذهب الورد ويفنى وإلى الآس نصير

فكتب إليه بعض إخوانه :

سر بالآس الذي أهدت له ثم لما أهدت الورد جزع
ذاك أن الآس باقٍ دائم ولأن الورد حيناً ينقطع

وقال بعض الشعراء :

وصلت وكان الورد أول ما بدا فلما تولى الورد ولي مع الورد
فيا ليت أن الورد آس فإنه يدوم على الحالين في الحر والبرد
وفضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها ، أو يبلغ أمدها ، وقد أفردت
لذلك كتابا ، بوبته أبوابا ، وترجمته بكتاب العقد ، وشحنته بفضل الورد ،
فأغنى ما في ذلك الكتاب ، عن إعادة ذكره في هذا الباب .

والفتح أعظم عندهم قدرا ، وأجل أمرا ، وأعلى درجة ، وأرفع رتبة ،
لسلامته من البياض والتوريد ، وقد ذكرت فضائل الفتح في كتاب الفتح
في غير باب ، فأغنى عن إعادته في هذا الكتاب ، غير أني أذكر في كتابنا
هذا جملة مما وصفته به الأدباء ، ومدحته به الشعراء ، ولست أذكر في عرض

هذا الكتاب ، شيئاً مما في ذلك الكتاب ، لئلا يُبتلى بشيء من المَحَن .
فِيُنْسَبَ إِلَى ضَيْقِ الْعَطَنِ ^(١) ، وبالله التوفيق .

٢٢ - باب ذكر التفاح

وما كره الأدباء من أكله

اعلم أَنَّ التفَّاحَ عند ذوى الظَّرْفِ والعُشاق . وذوى الاشتياق ، لا يعدله
شيء من الثَّمَر ، ولا النُّور ^(٢) والزَّهَر ، كيف وبه تهدأ أشجانهم ، وبوروده
تسكن أحزانهم ، وعنده يضعون أسرارهم ، وإليه يُبدون أخبارهم ، إذ كان
عندهم بمنزلة الحبيب والأنيس ، وبموضع الصاحب والجليس ، وليس في
هداياهم ما يعادله ، ولا في ألطافهم ^(٣) ما يشاكله ، لغلبة شبيهه بالحدود الموردة ،
والوجنات المضرجة ، وهو عندهم رهينة أحبابهم ، وتذكُّر أصحابهم ، إلى
وُردته يتطربون ، وبرؤيته يستبشرون ، ولهم عند نظرهم إليه أنين ، وعند
استنشاق رائحته حنين ، حتى إن أحدهم إذا غلب عليه القلق ، وأزعجه الأرق ،
لم يكن له معول إلا عليه ، ولا مشتكى إلا إليه ، وأنشدني بعض أهل الأدب :

لَمَّا نَأَى عَنِ مَجْلِسِ وَجْهِهِ وَدَارَتِ الْكَأْسُ بِمَجْرَاهَا
صَيْرَتْهُ تَفَّاحَةً بَيْنَنَا إِذَا ذَكَرْنَاهُ شَمَمْنَاهَا
وَاهَا لَهَا تَفَّاحَةٌ أَشْبَهَتْ خَدَّيْهِ فِي بَهْجَتِهَا وَاهَا
وقال الحكمي :

تُفَّاحَةٌ جَاءَتْ وَقَدْ عُلِقَتْ وَرُكِّبَتْ بِالْوَرْدِ وَالْأَسْرِ

(١) العطن : المناخ حول المورد . ومن المستعار : فلان واسع العطن ، إذا كان
رحب الذراع .

(٢) النور : الزهر ، أو الأبيض منه .

(٣) الألفاظ : جمع اللطف : الهدية .

أَشْرَبَ مِنْ كَأْسِي عَلَى رِيحِهَا بِالرَّغْمِ مِنْ أَهْلِي وَجَلَّاسِي^(١)
وقال آخر :

تَفْأَحَةٌ أَهْدَيْتُ ظَرْفًا مَعْضُضَةً وَقَدْ جَرَى مَاءُ ثَغْرِي فِي ضَوَاحِيهَا
بِضَاءٍ فِي حُمْرَةٍ عُلَّتْ بِغَالِيَةٍ كَأَنَّمَا جُنَيْتُ مِنْ خَدٍّ مُهْدِيهَا
قَدْ أَتَخَفَّتْنِي بِهَا فِي النُّومِ جَارِيَةٌ رُوحِي مِنَ السُّوءِ وَالْأَسْقَامِ تَفْدِيهَا
لَوْ كُنْتُ مَيِّتًا وَنَادَتْنِي بِنَغْمَتِهَا لَخِلْتُ لِلصَّوْتِ مِنْ لَحْدِي أَلْبِيهَا
وقال آخر :

حَيَّاهُ مَنْ يَهْوَى بِتَفْأَحَةٍ قَدْ عَضَّ أَعْلَاهَا بِأَسْنَانِهِ
جَادَ وَلَمْ يَبْخَلْ بِهَا بَعْدَ مَا عَذَّبَهُ دَهْرًا بِرَجْرَانِهِ
وقال آخر :

تَفْأَحَةٌ تَأْكُلُ تَفْأَحَةً بِالْيَتَى كُنْتُ الَّذِي يُوَكِّلُ
فَالشَّمْرَ وَالشَّغَرَ لِيَكُنْ أَشْتَنِى بَعْلَةَ الْأَكْلِ وَلَا أُوَكِّلُ
وقال آخر :

تَفْأَحَةٌ مِنْ عِنْدِ تَفْأَحَةٍ قَرِيبَةُ الْعَهْدِ بِكَفِّهَا
أَحْبَبُ بِهَا تَفْأَحَةٌ أَشْبَهَتْ حُمْرُهَا حُمْرَةَ خَدَّيْهَا
وقال آخر :

تَفْأَحَةٌ حُمْرَاءُ مَنْقُوشَةٌ رَكِبْتُهَا فِي خُضْرَةِ الْآسِ
فَلَمْ تَزَلْ فِي كَفِّ نَدْمَانِنَا تَدَوُّرُ مِنْ كَأْسٍ إِلَى كَأْسٍ

وقال آخر :

تُفَاحَةٌ من عند تَفَاحَةٍ ضَمَنَهَا الْمُهْدَى لَهَا بِالْعَبِيرِ^(١)
يا مُهْدِي الحُسرة يا قَاتِلِي أَهْدَيْتَ لِي وَاللَّهِ قَعَصَمَ الظَّهْورِ
قد كنتُ في بحرَيْنِ من حُبِّكُمْ فَصُرْتُ مُدُّ أَهْدَيْتَهَا فِي بَحْورِ

وقال آخر :

فلو أَنِّي اشْتَكَيْتُ لِأَجْلِ حُزْنِي وَمَا أَلْقَاهُ فِي دَارِ الْخُلُودِ
وكان طَعَامُنَا فِيهَا جَنِيًّا مِنْ التُّفَاحِ وَالْوَرْدِ النَّضِيدِ^(٢)
لَقُلْتُ دَعُوا لَهَا حِصَصِي فَإِنِّي أَشَبَّهَا بِالْوَانِ الْخُدُودِ^(٣)

وقال آخر :

حَيَّاهُ مِنْ يَهْوَى بِتُفَاحَةٍ قَدْ جَنَيْتُ بِاللَّحْظِ مِنْ خَدِّهِ
مَعْضُوضَةٌ بِاللَّحْظِ مُحْفُوقَةٌ بَعَسَكَرِ الْآجَالِ مِنْ صَدِّهِ
لو شَمَّهَا الْخَلْقُ لِمَاتُوا مَعَهَا لَعُشْرُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ جَهْدِهِ

وقد مضى من هذا الباب مَقْنَعٌ^(٤) ، وهو كثير متسع .

ولهم أشياء من زِيَّهِمْ جَلِيلَةٌ ، وَتَفَّ من مناقبهم نَبِيلَةٌ ، أَنَا أَصْفَهَا لَكَ
فِي مَوْضِعِهَا ، وَأَقْطَعُهَا مِنْ مَقَاطِعِهَا ، مِنْهَا السُّوَالِكُ الَّذِي صَيَّرُوهُ كَأَحَدِ
الْفُرُوضِ الْوَاجِبَةِ ، وَالْأُمُورِ الْإِرَادِيَةِ ، وَقَدْ شَرَحْتُ فِيهِ بَابًا لَتَقِفَ عَلَيْهِ ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) ضَمَنَهُ بِالطَّيِّبِ : لَطَخَهُ بِهِ . الْعَبِيرُ : : أَخْلَاطُ مِنَ الطَّيِّبِ .

(٢) ثَمَرُ جَنَى : جَنَى مِنْ سَاعَتِهِ ، نَضِيدُ : ضَمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ مَتَسِقًا أَوْ مَرْكُومًا .

(٣) الْحِصَصُ : جَمْعُ الْحِصَّةِ : النِّصِيبُ .

(٤) مَقْنَعُ : مَا يَقْنَعُ وَيَرْضَى بِهِ .

٣٤ — باب ما جاء في السَّوَالِ

وما قيل في عود الأراك^(١)

اعلم أن من زىَّ الظرفاء ، وأهل المروّة والأدباء ، وأرباب الديانة والترفل ، استعمل السَّوَالِ والتسوّك ، فهو أنبل النظافة ، وأحسن الطهارة ، وأكمل المروّة . ويرغب فيه أهل الظرف والفتوة ، وله خصال مستحسنة ، وهو أيضا من السُّنَّة . وقد رُوِيَ في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : طَهَّرُوا أفواهكم فانها مَسَالِكُ التَّسْبِيح .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : السَّوَالُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ .

وَحَدَّثَنَا أَبِي قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَدْرِيسَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عُمَرَ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السَّوَالُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ تَسَوَّكَ .

وَعَنْ أَبِي الْمَلِيحِ ، عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ أُمِرْتُ بِالسَّوَالِ حَتَّى حَسِبْتُ أَنَّ يَكُونُ يُكْتَبُ عَلَيَّ .

وَعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : عَائِشَةُ تَقُولُ : مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي وَلَيْلَتِي وَيَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي^(٢) وَنَحْرِي^(٣) وَخَلَطْتُ رِيقَهُ بِرِيقِي ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَيْفَ خَلَطْتُ رِيقَهُ بِرِيقِكَ ؟ قَالَتْ : دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ

(١) الأراك : شجر ، واحده أراكة .

(٢) السحر : الرثة .

(٣) النحر : أعلى الصدر .

ابن أبي بكر وبيده سواك ، فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : قد
اشتهمتى السواك ، فأخذت سواكه فضغته ، ثم أعطته فاستاك عليه السلام .
فلم يشغل النبي صلى الله عليه وسلم نزول الموت عن طلب السواك ، إذ هو
أظرف ما يستعمل ، وأنبل ما يستحسن ، لأنه يبييض الأسنان ، ويصفي
الأذهان . ويطيب النكمة ، ويطفىء المرّة ، وينشف البلغم ، ويشدّ اللثة ،
ويقوى العمور^(١) ، ويجلو البصر ، ويحيد النظر ، ويفتح الشدّة ، ويشهي
الطعام ، وقد استعملوا أمر المساويك الأراك ، والسُّكّر ، وأصول
السُّوس ، وعود الخلب ، وعروق الإذخر^(٢) ، وعقد العاقر قرحاً ، وكلها
أغربوا في اتخاذ ذلك كان أكمل لظرفهم ، وأبلغ في معاني وصفهم .

وللمساويك أوقات معلومات ، ومواضع محدودات ، لا تستعمل في غير
أوقاتها ، ولا يتجاوز بها عن ساعاتها ، فجائز استعمالها بالغدوات والعشيات ،
وأوقات الظهيرات . وقبل الغداة ، وبعد الصلاة ، وعلى الريق ، وعند النوم ،
وفي نهار الصوم .

ولا يجوز السواك عندهم في مواطن شتى ، منها الخلاء والحمام ، وقارعة
الطريق ، ومحفل الناس ، ولا يستاك أحدهم وهو قائم ، ولا متكئ ، ولا نائم ،
ولا حيث يراه أحد ، ولا يستاك ويتكلم ، والسواك في الخلاء والحمام من
فعل السفلة والعوام ، وهو أيضاً رخي اللثة ، ويغير النكمة ، وليس ذلك
عندهم من فعل الأدباء ، ولا من فعل ذوى المروّة والظرفاء .

وقد اتخذ أهل الظرف للمساويك طسوتا لطافا ، وأباريق الشبّة^(٣)

(١) العمور : جمع العمر : لحم ما بين الأسنان .

(٢) الإذخر : نبات طيب الرائحة .

(٣) الشبّة : النحاس الأصفر .

الخفاف ، وَكَرَاسِي الْأَبْنُوسِ الْمَصْدَفَةِ ، وَالْخِزْرَانِ الْمَشْبُوكَةِ ، وَالْأَحْقَاقِ
الْمَخْرُوطَةِ ، وَالْمَسَاحِكِ الْمَدْمُونَةِ ، وَالسَّنُونَاتِ^(١) الْمَعْمُولَةِ ، وَوَقَّتُوا لَهُ
الْأَوْقَاتَ الْمَعْلُومَةَ ، الَّتِي جَعَلُوهَا كَالْفَرَائِضِ الْمُسَكَّنَةِ ، وَالسَّنَنِ الْمَفْرُوضَةِ ،
يَتَأَهَّبُونَ لَوَقْتِهِ ، وَلَا يَسْتَعْمِلُونَ رَأْسَ الْمَسَاوِكِ مَدَّةً طَوِيلَةً ، وَذَلِكَ عَنْهُمْ
مِنَ الْأَفْعَالِ الذَّلِيلَةِ ، وَيَتَخَذُونَ لَهَا اللَّفَافَةَ الْخَزَّ ، وَعَصَائِبَ الْقَزِّ ، لِيَصُونُوهَا
بِذَلِكَ عَنِ الدَّنَسِ ، وَيُوقِّوْهَا مِنَ الْغُبَارِ وَالنَّجَسِ .

وَقَدْ تَهَادَى أَيْضًا أَهْلُ الظَّرْفِ الْمَسَاوِيكِ ، وَأَقَامُوهَا مَقَامَ الرِّهْنَةِ وَالتَّذَكُّرَةِ ،
وَالْوَدِيعَةِ وَالْقُبْلَةِ ، كَمَا فَعَلُوا بِاللَّبَّانِ الْمَمْضُوعِ ، وَالتَّفَاحِ الْمَعْضُوضِ ، وَقَالَ
الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :

طَالَ لَيْلِي بِجَانِبِ الْمَيْدَانِ مَعَ جَوَارِي الْمَهْدِيِّ وَالْخِزْرَانِ
أُرْسِلْتُ بِاللَّبَّانِ قَدْ مَضَّغَتْهُ بَيْنَ تَفَاحَتَيْنِ فِي رِيحَانِ
وَبِمَسَاوِكِهَا الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ هُ لَفِيهَا مِنْ طَيِّبِ الْأَغْصَانِ
فَكَأَنِّي وَجَدْتُ رِيحًا مِنْ الْقَرِّ دُوسَ فَاحْتٍ مِنْ رِيحِ ذَاكَ اللَّبَّانِ
قَالَ أَيْضًا :

وَلَمَّا وَهَبْتُمْ خَاتِمًا فَرَدَدْتُهُ لِمَعْرِقِي أَنْ الْخَوَاتِيمَ تَقْطَعُ
فَأَهْدِي سِوَاكَ مَسَّ فَالْكَ فَإِنَّهُ يَسْكُنُ نَارًا فِي جَوَى الْقَلْبِ تَلْدَعُ
وَقَالَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ الْعُقَيْلِيُّ يَذْكُرُ ذَلِكَ أَيْضًا :

تَسَوَّكْتُ لِي بِمَسَاوِكِ لَتَعْلِيَنِي مَا طَعُمْتُ فِيهَا وَمَا هَمَّمْتُ بِإِصْلَاحِ
لَمَّا أَتَانِي عَلَى الْمَسَاوِكِ رِيْقَتُهَا مَثْلُوجَةً كَزُلَالِ الْمَاءِ بِالرَّاحِ

(١) السَّنُون : الْمَسْحُوقُ الَّذِي تَدْلُكُ بِهِ الْأَسْنَانُ لَتَنْجِلِي .

قَبِلْتُ مَامَسَ فَاهَا ثُمَّ قُلْتُ لَهُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ذَا الْمَسْوَاكِ يَا صَاحِبَ
وَقَالَ أَيْضًا :

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رَيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَاتِ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
إِنَّ الَّذِي رَاحَ مَغْبُوطًا بِنِعْمَتِهِ كَفْتُ تَمْسُكٍ أَوْ كَفْتُ يُعَاطِيكِ
وَلَوْ وَهَبْتُ لَنَا يَوْمًا نَعِيشَ بِهِ أَحْيَيْتَ نَفْسًا وَكَانَتْ مِنْ مَسَاعِيكِ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا حَسْبِي بَرَأْحَةُ الْفِرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ
وَقَالَ أَيْضًا :

يَطِيبُ مَسْوَاكُهَا مِنْ طِيبِ نَكْهَتِهَا وَإِنَّ أَلَمَ بِجِلْدٍ جِلْدُهَا طَابَا
وَقَالَ آخِرَ :

وَبَرَّاقَةٌ تَفْتَرُ عَنْ مَتَبَسِّمٍ كَنُورِ الْأَقَاخِي طِيبِ الْمُتَدَوِّقِ ^(١)
إِذَا هَضَعَتْ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضَّحَا أَنَايِبَ عِيدَانِ الْأَرَاكِ الْخَلْقِ
سَقَتْ شُعَبَ الْمَسْوَاكِ مَاءُ غَمَامَةٍ فَضِيضًا بِمَمْزُوجِ الْعُقَارِ الْمَصْفَقِ ^(٢)
وَقَالَ جَرِيرَ :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ بِرِزْقِهِمْ إِلَّا أَرَى أُمَّ نُوحٍ فَوْقَ مَا وَصَفُوا
كَأَنَّهَا مُزَنَّةٌ غَرَاءُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي لَوْنَهَا الصَّدْفُ ^(٣)
مَكْسُورَةُ الشَّدْيِ فِي لَبٍّ يَزِيئُهَا وَفِي الْمَنَاصِبِ مِنْ أَنْيَابِهَا عَجَفُ ^(٤)

(١) الْأَقَاخِي : جمع القحوان والأقحوان : نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفلجة يشبهون بها الأسنان .

(٢) صَفَقَ الشَّرَابَ : حوله من إناء إلى إناء ليصفو .

(٣) الْغَرَاءُ : البَيضاء .

(٤) مَنْصَبُ الْأَسْنَانِ : منابتها .

تَسْقِيْ اُمْتِيَا حَانْدِي الْمِسْوَاكَ رِيْقَتَهَا كَمَا تَضْمَنُ مَاءَ الْمَزْنَةِ الرَّصْفُ^(١)
وقال الفرزدق :

دَعَوْنُ بِقَصْبَانِ الْأَرَاكِ الَّتِي جَنَى لَهَا الرَّكْبُ مِنْ نَهْمَانِ أَيَّامَ عَرَفُوا^(٢)
فِيْحَنَ بِهِ عَذْبًا رُضَابًا غُرُوبُهُ رِقَاقٌ وَأَعْلَى حَيْثُ رُكِّنَ أُعْجَفُ^(٣)
وقال ذو الرمة :

جَرَى الْإِسْحَلُ الْأَخْوَى بِطِفْلِ مَطَرَفٍ
عَلَى الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا فَهِيَ نَصْعُ^(٤)
وقال آخر :

نَظَرْتُ بِعَيْنِي شَادِنٍ وَتَبَسَّمتِ بِظُمِيَاءَ عَنْ غُرٍّ لَهَا غُرُوبُ^(٥)
جَوَى الْإِسْحَلِ الْأَخْوَى عَلَيْهِمْ أَوْ جَرَى عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ^(٦)
وقال جرير :

يَجْرِي السَّوَاكُ عَلَى أَغْرَسَكَاتِهِ بَرْدٌ تَحْذَرُ مِنْ مُتُونِ غَمَامٍ^(٦)
إِقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى سَعَادَ وَقُلْ لَهَا يَوْمًا تَرُدُّ رَسُولَنَا بِسَلَامٍ

(١) الامتياح : استخراج الريق بالمسواك .

(٢) عرفوا : أتوا عرفات حين حجوا .

(٣) ماح : اغترف الماء بكفه ، ويريد سقين به . الرضاب : الريق . الغروب : جمع الغرب ، وهو أول كل شيء ، ويريد بغروبه تقطع أسنانه وذلك الحداثة . أعجف : هزيل . ويريد أن اللثة قليلة اللحم ، وهو مما تنعت به المرأة .

(٤) الإسحل : شجر يتخذ منه المساويك . أخوى : يضرب لونه إلى السواد من شدة خضرته . طفل : رخص ناعم . يعني كفها . مطرف : مخضوب الأطراف بالحناء . نصع : شديدة البياض . ويروى : على الزهر من أنيابها والزهر : البيض ، (٥) الشادن : ولد الظبية .

(٦) البرد : حب الغمام المعهود ، وهو ماء الغمام يسقط جامدا لشدة البرد ، ويريد بالبرد : الأسنان البيضاء . ومتن الشيء : ما ظهر منه .

وقال أيضا :

إِنَّ الشَّقَاءَ وَأَنْ ضَنْتُ بِنَائِلِهَا
مَا فِي فُؤَادِكَ مِنْ دَاءٍ يُخَامِرُهُ

وقال جميل بن معمر :

بَشْرٍ قَدْ سَقَيْنَ الْمِسْكَ مِنْهُ
وَمِنْ مَجْرَى غَوَارِبِ أَقْحُوَانٍ

وقال آخر :

وَعَادِينَ بِالْقَضْبَانِ كُلِّ مُفَاجٍ
رُضَابًا كَطَعَمِ الشَّهْدِ بِجَلْوِ مِثْوَنِهِ

أُولَئِكَ لَوْلَاهُنَّ مَا سَقَتْ نِضْوَةٌ

وقال أيضا :

إِذَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الشَّامِ تَنَسَّمَتْ
تَخَيَّرْتُ مِنْ نَعْمَانِ عَوْدِ أَرَاكِ

وأنشدني أبو الحسن بن عليل العنزي قال : أنشدني الزبير بن بكار قال :
أنشدني أبو مسلم السكلابي لمهدي بن الملوّح السكلابي :

نَبِيتَ لَيْلَى وَقَدْ كُنَّا نُبْتَخِلُهَا
يَا حَبِذَا رَاكِبًا كُنَّا نَهْشُ لَهُ

قالت : سقى الله ذاك المربع الجديبا
يهندي لنا من أراك الموسى القضبيا

(١) البشام . شجر عطري الرائحة يستاك بقضبه ، وجهه يعرف عند الصيادلة
تحت البلسان .

(٢) الظلم : بريق الأسنان .

(٣) الشهد : العسل ما دام لم يعصر من شمعته .

(٤) النضو : المهزول من الحيوان .

(٥) الريا : الريح الطيبة .

وقال القطامي :

مُنْعَمَةٌ تَجَلَّوْا بِخُوطِ أَرَاكَةِ (١)
ذَرَى بَرْدٍ عَذِبٍ شَتَيْتِ الْمَنَاصِبِ (٢)
كَأَنَّ فَضِيضًا مِنْ غَرِيضٍ غَمَامَةٍ
عَلَى ظَمًا جَادَتْ بِهِ أُمٌّ غَالِبِ (٣)
لِمُسْتَهْلِكٍ قَدْ كَادَ مِنْ شِدَّةِ الْهَوَى

وقال بعض الأعراب ، وَتُرْوَى لِلْأُمَيْلِسِ :

مُنْعَمَةٌ هَيْفَاءُ عِجْزًا خَدَلَةٌ (٤)
تَمَسُّ مَثَانِي شَعْرِهَا قُضْبًا خَزَلًا (٥)
وَتَجَلَّوْا بِمَسْوَكَ الْأَرَاكِ مَفْلَجًا
عِذَابِ الثَّنَائِيَا لَا قِصَارًا وَلَا نُعْلًا (٦)
وَقَالَ الْعَطَاوِيُّ :

عِنْدَكَ الْفَوَادُ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ (٦)
فِي يَدَيَّ ذَاتِ دَمْلَجٍ وَوِشَاحٍ
وِثْنَايَا رَقِيقَةٍ كَعَدِيرٍ
مِنْ مُدَامٍ وَرَوْضَةٍ مِنْ أَقْحَاحٍ
فَمَسَاوِيكُهَا بِهَا كُلَّ يَوْمٍ
فِي رِيَاضٍ مِنْ اصْطَبَاحِ الرَّاحِ

(١) الخوط . الغصن الناعم لسنة ، أو كل قضيب . أراكاة : شجرة يؤخذ منها السواك .
ذرى : أعلى . الشتيت من الثغر : المفلج . ويروى : شنيب ، والشنب : برد وعدوبة في
الأسنان ، أو نقط بيض فيها . أوحدة الأنياب كالغرب تراها كالمنشار . المناصب :
المنابت ، ويريد مراكز الأسنان ، يعني أنه مفاج .
(٢) فضييض : ماء سائل ، وكل ما سقط من السماء فهو فضييض من الماء . غريض :
طرى . ظمًا : عطش .

(٣) مستهلك : هالك في الشوق ، والمستهلك : الجاد في الأمر ، كأنه جعله هاهنا
للجد في الحب . العداة : جمع العدة : الوعد .

(٤) هيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر . عجزاء : عظيمة العجز ، مؤخر الجسم .
خدلة : ممتلئة الأعضاء من اللحم مع دقة العظام . الخزل من الإبل : ما ذهب سنامه . ويريد :
قضبا مستقيمة

(٥) نعلت أسنانه : تراكت فوق بعضها .

(٦) الدملاج : حلى يلبس في المعصم .

وقال علي بن الجهم :

حَجَّوْا مَوَالِيكَ يَا بُرْهَانَ وَاعْتَمِرْ أ
وَقَدْ أَتَتْكَ الْمَدَايَا مِنْ مَوَالِيكَ ^(١)
فَأَتَخَفِينِي مِمَّا أَتَخَفُوكَ بِهِ
وَلَا تَكُنْ تُخَفِّتِي غَيْرَ الْمَسَاوِيكِ
وَلَسْتُ أَرْضَاهُ حَتَّى تُرْسِلِينَ بِهِ
مِمَّا جَلَا الشَّعْرَ أَوْ مَا جَالَ فِي فَيْكِ

وَأَبَى الطَّيِّبُ فِي ذَلِكَ :

شَهِيدِي عَلَى طَيْبِ اللَّثَاثِ وَرَيْقِهَا
أَنَايِبُ عِيدَانِ الْأَرَاكِ الْمَفْرَعِ
كَأَنَّ حَبَابَ الرِّيقِ حِينَ تَمُجُّهُ
عَلَى شُعْبِ الْمَسَوَاكِ غَيْرُ مَزْعٍ ^(٢)
رَشَاشُ ذِكِّي الْمَسَكِ شَيْبُ بَعْنَبَرٍ
أَوِ الرَّاحِ مِنْ صَفْوِ الْعُقَارِ الْمَشْعَشَعِ ^(٣)

وقال مروان بن أبي حفصة :

شِفَاءُ الصَّدَى مَاءُ الْمَسَاوِيكِ وَالَّذِي أَجْ
تَنِي الرِّيقَ مِنْ نَخْلٍ يُنَازِلُهَا طِفْلُ
فِيَا حَبْنًا ذَاكَ السَّوَاكِ وَحَبْنًا
بِهِ الْبَرْدُ الْعَذْبُ الْغَرِيضُ الَّذِي يَجْلُو

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول :

وَإِذَا سَأَلْتُكَ بَعْضَ رَيْقِكَ قُلْتَ لِي
أَخْشَى عَقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلَاكِ
أَيَجُوزُ عِنْدَكَ أَنْ يَكُونَ مَتِّمٌ
يَهْوَاكِ عِنْدَكَ دُونَ عَوْدِ أَرَاكِ
مَاذَا عَلَيْكَ جُعِلْتُ قَبْلَكَ فِي الشَّرَى
مَنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةَ الْمَسَوَاكِ

(١) برهان : من جوارى المتوكل .

(٢) الحباب : الفقايع التي تعلق الماء أو الخمر . مع الماء وبالماء من فمه : رمى به .

(٣) العقار : الخمر . شعشع الشراب . مزجه بالماء .

وهذا باب تطنب فيه الشعراء ، ويتسع لها القول في ذكره ، وقد مضى من بعضه ، ما أغنى عن شرح كله .

وأنا أصف لك جملة من جميل مناقبهم ، وما يؤثر من حسن مذاهبهم ، إن شاء الله تعالى .

٣٥ — باب صفة ذوى النظرف

ومبايتهم لذوى التكلف

اعلم أن من كمال أدب الأدباء ، وحسن تطرف الظرفاء ، صبرهم على ما تولدت به المكارم ، واجتنابهم لخسيس المآثم ، وأخذهم بالشيم السنية ، والأخلاق الرضية ، وأنهم لا يداخلون أحدا في حديثه ، ولا يتطلعون على قار في كتابه ، ولا يقطعون على متكلم كلامه ، ولا يستمعون على مسر سره ، ولا يسألون عما ورى عنهم عليه ، ولا يتكلمون فيما حُجب عنهم فهمه ، يتسرعون إلى الأمور الجميلة ، ويتبطون عند الأشياء الرذيلة ، فهم أمراء مجالسهم ، بهم يفتح عسر الأغلاق ، وبهم يتألف متنافر الأخلاق ، تسمو إليهم الآفاق ، وتنشئ عليهم الأعناق ، ولا يطمع في عيبهم العائب ، ولا يقدر على مثالبهم الطالب ، ألا ترى أنهم لا ينتجعون^(١) ، ولا يتبصقون ، ولا يتشاءون ، ولا يستنثرون^(٢) ولا يتجشئون^(٣) ، ولا يتمطون ، وذلك عيب عند الظرفاء ، مكروه عند العلماء ، وفيه حديث هأثور ، حدثني عبيد بن شريك قال : حدثنا ابن أبي مریم قال : أخبرني يحيى بن أيوب قال : أخبرني ابن عجلان عن سعيد المقيرى ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، وأن أحدكم إذا قال هاها فان ذلك الشيطان يضحك في جوفه .

(١) تنجع بالدم : تلتخ به . (٢) تنثر الشيء : تساقط متفرقا .

(٣) تجشأ : أخرج من فيه الجشاء ، وهو ريح يخرج من الفم مع صوت .

والظرفاء لا يتشاءون ولا يتمطون ، ولا يوقعون أكفهم ، ولا يشبهون أصابعهم ، ولا يمدون أرجلهم ، ولا يحكّون أجسادهم ، ولا يحسّون أنفهم ، خاصة إذا كان أحدهم بين يدي خلية أو ربيعة أو حبيبة ، أو من يحتشمه ومن يكرمه ، ولا يدخل أحدهم الخلاء من حيث يراه أحد ، ولا يقول بين يدي أحد .

وليس من زيّهم الإقواء^(١) في الجلسة ، ولا السرعة في المشية ، ولا الالتفات في طريق قصده ، ولا الرجوع في طريق سلكه ، ولا يفضون الخبار عن أرجلهم في المواضع المكنوسة ، ولا يستريحون في الأماكن المرشوشة ، ولا يجلسون في مجلس فينتقون منه ، ولا يقعدون بحيث يقامون عنه ، ولا يشربون ماء الأحاب ، ولا الماء في دكاكين الشراب ، ولا ماء المساجد والسبيل ، وذلك مشنى عند ذوى العقول ؛ ولا يدخلون دكان هرّاس^(٢) ، ولا دكان رواس ، ولا يجتازون بدكان مرّاق ، ولا يأكلون شيئاً مما يتخذ في الأسواق ، ولا يأكلون على قارعة الطريق ، ولا في مسجد ولا في سوق ، وفي ذلك حديث مأثور ، وخبر مشهور ، حدّثني أحمد بن الهيثم المعدّل قال : حدّثني سهل بن نصر وإسحاق ابن المنذر قالا : حدّثنا محمد بن الفرات قال : حدّثني سعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الأكل في السوق دناءة .

وظريف^٣ لا يأخذ شعره في دكان حجّام ، ولا يدخل بغير مئزر إلى الحمام ، وقد حدّثني أحمد بن محمد بن غالب صاحب الخليل ، قال : حدّثني أحمد بن

(١) أقوى الكلب : جلس على استه .

(٢) الهراس : صانع الهريسة ، أو بانّها .

عبد الله بن هاشم ، عن معنرة ، عن ابراهيم قال : النظر في مرآة الحمام دناءة .
وحدثنا أحمد بن محمد بن غالب قال : حدثنا اسماعيل بن محمد بن راشد بن
سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من قلّة مروّة الرجل نظره في مرآة
الحمام واطّلاعه في بيت الخائك .

وقد ينبغي للظريف أن يدخل الحمام على خلوة ، ثمّ لا ينظر فيه إلى سوءة ،
ولا يمدّ عينه إلى أحد ، ولا يعلق ثوبه على وتد ، ولا يدلى رجله في البئر
التي ينصب إليها الماء ، فان ذلك ممّا يفعله الأذنياء ، ولا يدلك يديه بخارقة ،
فان ذلك ممّا يستعمله السخفاء ، ولا يتمرّع على حرارة أرض الحمام ، فان
ذلك ممّا يفعله سفلة العوام ، بل ينبغي له أن يدخله متزراً ، ويقعد فيه معتزلاً ،
ولا يقعد مستوفزاً^(١) على رجله ، فان ذلك طعن على عقله ، ولا يميل مضطجعاً ،
بل ينتصب متربّعاً ، حتى إذا نضب العرق من بدنه ، وتحدّر على جسده ،
وكان عرقه بين الكثير والقليل ، نشّفه عن بدنه بمنديل ، ثمّ دعا لرأسه
بالغسول ، والأشنان^(٢) المنخول ، فان كان من أهل المروّات والنعم ، وأهل
البيوتات والقدر ، ممّن لا ينسب في فعله إلى شيء ليس من شكله ، فليبتدئ
دخوله الحمام بالامساك عن الكلام ، والتجرّع من الماء الحارّ ثلاث جرّع ،
وليقعد للعرق فوق نطع^(٣) حتى إذا عرق سلت بدنه ، وجمع عرقه فوزنه ،
وهذا الفعل لا يصلح إلا لذوى نعمة أو شريف ، أو متأدّب فيلسوف ، وأما
سائر الناس من أهل الظرف ، فانهم ينسبون بهذا الفعل إلى السخف .

ولا ينبغي للظريف أن يمشى بلا سراويل ، ولا يتزّز بمنديل ، ولا يمشى

(١) استوفز في قعدته : قعد غير مطمئن وكأنه يتهيأ للوثوب .

(٢) الأشنان : ما تغسل به الأيدي من الحمض .

(٣) النطع : بساط من جلد .

محاول الأزارار ، ولا مسبل الأزار ، ولا يماكس في الشرى ، ولا يركب حمار
الكبرى ، ولا ينزل في خراب ، ولا يقبض على كتاب ، ولا يشارط صانعا ،
ولا يصاحب وضيعا ، ولا يشاتم رفيقا ، ولا يغتاب أحدا ، ولا يذكر بسوء
أخا ، ولا ينم بسريرة ، ولا يظهر خبيثة ، ولا يخون عهدا ، ولا يخلف وعدا ،
ولا يضرب^(١) بين اثنين ، ولا يفسد بين خيليين ، ولا يسعى إلى سلطان ،
ولا يغمز بانسان ، ولا يهتك حرمة ، ولا يتعرض لسرقة ، ولا يتحلى بالكذب ،
ولا يستهدف للريب ، ولا يجاهر بالزنى ، ولا ينطق بالحنأ ، ولا يفسد حرمة
الأخ الصديق ، ولا حرمة الجار اللزيق ؛ وأجود ما في هذا المعنى قول
الأحوص بن محمد الأنصارى :

قالت ، وقلت : تحرّجى وصلى حبل امرئ يوصالكُم صب^(٢)
صاحب إذا بعلى ، فقلت لها : الغدر متى ليس من شعبي
ثنتان لا أدنو لوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فليست مخلفه والجار أوصاني به ربي

ومن تكامل ظرف الظريف : ظهور بزته ، وظهور طيب رائحته ، ونقاء
درنه^(٣) ، ونظافة بدنه ، ولا يتسخ له ثوب ، ولا يدرن له جيب^(٤) ، ولا ينفق
له ذيل ، ولا يرى في دخاريصه^(٥) ميل ، ولا في سراويله ثقب ، ولا يطول

(١) ضرب : أغرى ، وشجع وحرص .

(٢) تحرّج : تجنب الإثم .

(٣) الدرن : الوسخ .

(٤) الجيب من القميص : طوقه .

(٥) الدخاريص : جمع الدخريص : بنية الثوب ، وهى ما تجعل فى نحر الثوب

له ظفر ، ولا يكثر له شعر ، ولا يفوح لابطه دفر ^(١) ولا لبدنه غمر ^(٢)
ولا يسيل له أنف ، ولا يسود له كف ، ولا يظهر له شقاق ، ولا يرشش
له بصاق ، ولا يقف في مأفه ركد ، ولا حيراره زبد ^(٣) .

ومن زيمهم في مصاحبة الأوداء ، ومعاشرة الأخلاء : حفظ العمود ،
وإنجاز الوعود ، والله وأم على الوفاء ، وقلة الرغبة في الجفاء ، وحسن المواتاة
لأودائهم ، والمساعدة لأخلائهم ، والبشر بمن لقوا ، والتفقد لمن فقدوا ،
والمساعدة بأبدانهم ، والمعونة بأموالهم ، وتخفيف المؤن على إخوانهم ،
وكف الأذى عن جيرانهم ، والصفح عن المسيء لهم عند إساءته ، ومقابلة
المحسن باحسانه ، والترحيب بالصغير ، والتبجيل بالكبير .

وقد حدثني محمد بن يونس القيسي قال : حدثنا يزيد بن بيان قال : حدثنا
أبو الرجال ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ما من شاب أكرم شيخاً عند سنه إلا إلاقى الله له من يكرمه عند سنه .
وقد يجب أيضاً على أهل المروءة ، مثل الذي يجب على أهل الظرف والفتوة ،
والأدب ، لأنهما ليسا باللذازة والقصف ، ولا بالمفاخرة والحسب ، وإنما
هما بكمال المروءة والأدب . ولن يعرف الفتى جميل مواهب الفتوة إلا بسلوك
طرائق المروءة ، وقد ذكرت الفتوة عند بعض العلماء فقال : إن الفتوة
ليست بالفسق والفجور ، ولكنها طعام موضوع . وأذى مرفوع . ونائل
مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، واجتناب للقيح ، وأدب ظاهر ،
وخلق ظاهر ، وترك مجالسة أهل الشرور ، والسمو إلى معالي الأمور ،
والاحسان إلى من أساء ، ومكافأة من أحسن ، وقضاء حوائج الناس .

(١) الدفر : خبث الرثحة .

(٢) الغمر : زبح اللحم .

(٣) الزبد : الخبث .

فهذه جملة من زيههم في حسن مناقبتهم ، ومستحسن جميل مذاقهم .
ولهم أيضا رقة الطبع ، والتلطف في كل الأمور ، والمداواة والتلق ،
والتأني والترفق ، ومن ذلك قولهم : مَنْ حَبَّ طَبَّ ، أى رفق ودارى ؛
ومن ذلك سُمي الطبيب طيبيا ، لرفقه ومدارته والعرب تقول : هو طب
بالأمور ، أى عالم رفيق ، قال عمر بن أبى ربيعة :

فَأَتَتْهَا طِبَّةٌ عَالِمَةٌ تَخْلُطُ الْجَدَّ مِرَارًا بِاللَّيْلِ
تَرْفَعُ الصَّوْتَ إِذَا لَأَنْتَ لَهَا وَتُرَاخِي عِنْدَ سَوْرَاتِ الْغَضَبِ

ولهم حسن التأني فيما يريدونه ، ولطيف الحيل فيما يحاولونه ، وخفي
التلطف لما يظالبونه ، حواججهم سرية ، وسرائرهم خفية ، وأمورهم باطنة ،
وحيلهم لطيفة ، يوردون الأمور مواردها ، ويصدرونها مصادرها .

ولهم فيما استحسنوا من الهدايا بينهم ، والبر والملاطفة والمساكنة والتحف
من غيرهم ويستصغر ؛ ومن ذلك أنهم ربما أهدوا الأترجة الواحدة ،
والتفاحة الواحدة . والدستجوية اللطيفة ، والشامة اللطيفة ، والنصن من
الريحان ، والطاقة من النرجس ، والرطل من الشراب ، والقطعة من العود
والمخزنة من الطيب ، والشئ اليسير ، والوهط الصغير ، ونظير ذلك من
الاشياء القليلة الخفيفة والذليلة ، التي لا قدر لها عند ذوى العقول ، فيستكثر
ذلك منهم ويلقى بالتبول ، وتستحسن هداياهم وتستظرف ، ويفرح بها
وتستظرف ، ورغبة غيرهم من الناس في الاشياء الجميلة ، والهدايا النبيلة ،
والطراف السرية ، والتحف السنية ، غير أهل الظرف ، فانهم اقتصروا على
اللطيف اللطيف ، والبر الخفيف .

ومن ذلك كتبهم الملاح ، وألفاظهم الصراح ، التي يستعطفون بها القلوب ،

ويسترون بها العيوب ، ويستقيمون بها العثرات ، ويستدركون بها الهفوات^(١) التي قد استخلصوها من بديع التحرير الصيني ، ومليج الملحم النيسابوري ، وصفيق الديبقي الحنفى ، ونقى التاختج والقوهى .

وتغلغلوا إلى الكتاب فى ذلك بالذهب والمسك ، والزعفران والسك^(٢) واتخذوا لها طرائف المناديل الرقاق ، وجياد الزنا نير الدقاق ، وطيبوها بالمسك والذرائر^(٣) وعَنُونُوهَا بمتظرفات الأمثال والنوادر ، وختموها بالغالية المستمسكة ، وطبعوها بفتف الألفاظ المهلكة ، وقد ضمنت من مليح المكاتبة ، وطرائف المعاتبة ، وجميل المطالبة ، وشكيل المداعبة ، ما يقربون به البعيد ، ويهونون به الشديد .

وقد بينت ذلك أحسن البيان ، وشرحته بأخص المعاني ، ووصفت ما يتوصلون به من الرسائل ، وما يضمّنونه كتبهم من الرسائل ، فى كتاب مفرد ، وكلام مجرد ، ترجمته كتاب فَاحِ المِهْج ، وجعلت ما فيه ذريعة إلى الفرح ، فأغنى عن تطويل هذا الباب ، ما مرّ فى ذلك الكتاب ، وأنا أصف لك أيضا فى كتابنا هذا جملة ما استحسنوه بينهم من المكاتبة ، وما استعملوه بينهم من المعاتبة ، وأقصد فى ذلك إلى مداعبة الكتاب ، ومعاتبة الأحياب ، وما تعاتبوا به من الأبيات ، واختاروه من المقطعات ، وما ذكروا على العنوانات من الكلام ، وما ضمّنوه فى كتبهم من السلام ، على غير نقص منى لكل ما فى ذلك من الأشعار ، إذ كان قصدى فى كل أبواب الكتاب إلى الاختصار . وبالله أستعين وأستكفى ، وإياه أسترشد وأستهدى .

(١) الهفوات : جمع الهفوة : السقطة والذلة .

(٢) السك : ضرب من الطيب .

(٣) الذرائر : جمع الذرور : ما يندر من عطر ونحوه .

٣٦ — باب ما اُخبر من ألقاظ الأرباء في المصائب

واستُحسن من الظرفاء من ملبح المعاتبات

أخبرني الوضاح بن ثابت الكاتب قال : كنتُ عند بعض الكتّاب ،
إذ دخلت عليه وصيفة كأنها قمرٌ ، تتشّنى في مشيتها كأنها جانٌ ، أو كأنها غصنٌ
بان ريان ، حتى وقفت بين يديه ، فقالت : مولائي تقرأ عليك السلام ،
وتقول لك ، يا أخي جفوتنا من غير استحقاق للجفاء ، وملت إلى غير مذاهب
الظرفاء ، وإني لم أزل واثقةً بإخائك ، راجيةً لحسن وفائك ، وتحقيق ظنِّ
مؤمِّلِكَ ، أولى بك من الوقوف على تجنبك .

فقال لها : اقرئي عليها السلام ، وقولي لها ، يا أختي أنا من وذك ، على أحسن
عهدك ، ومن الأمل لك على أضعاف ما عندك ، ولقد استوحشنا من فقدك ،
فاجعلي لنا حظاً من أنسك .

فسأله عنها ، فقال : جارية على بن الجهم .

وأخبرني محمد بن إبراهيم الهمداني قال : أخبرني مولى لمحمد بن عبد الله
ابن طاهر قال : قرأت رقعة لمولاي إلى بعض إخوانه : يا أخي مددت يدا
إلى المودة مبتدئاً فشكرناك ، وشفعت ذلك بشيء من الجفاء فعذرناك ، والرجوع
إلى محمود الوداد ، أولى بك من المقام على مكروه الصد .

وكتب بعض الظرفاء إلى صديق له : أيَّدك الله بوفاء الأدب من النزع
إلى الجفاء ، وجعل آخر سخطك موصولاً بأول الرضاء .

وكتب بعض الأدباء إلى صديق له يستعتهبه على جفاء كان منه : ليس من
تدبير من شملته أبهة الحكم ، وسمت به معالي الهمم ، أن يعطف على
عهود صديق بعقوق ، ولا تضحل واجبات الحقوق ، ولا تُغيّره

نُوبٌ^(١) أَيَّامُهُ ، عن رعاية زِمَامِهِ^(٢) والسلام .

وكتب آخر إلى صديق له : بدأْتُنا بِوَدَّةٍ عن غير خِبرَةٍ ، وَهَجَرْنَا من غير سببٍ يوجب طولَ الهِجرة ، وقد أَطعَمْنَا أَرْلُكَ في إِيَّائِكَ ، وآيَسْنَا آخرُكَ من وفائِكَ ، فسبَّحَان من لو شاءَ كَشَفَ باليقين من الرأى عن غير سِمَةِ الشُّكوكِ في أمرنا فأَقْنَا على ائتلافٍ ، أو اقترقنا على اختلافٍ ، والسلام .
وكتب سعيد بن حميدٍ إلى بعض الكُتَّاب : بلغنى حسنُ مُحضرك ، فغيرُ بديعٍ من فضلك ، ولا غريبٍ عندي من بركٍ ، بل قليلٍ اتَّصل بكثيرٍ ، وصغيرٍ لحق بكبيرٍ ، حتَّى اجتمع في قلبٍ قد وُطِنَ لمودَّتِكَ ، وعُنُقٌ قد ذلت لطاعتِكَ ، وليس أكبرُ سُؤْلاً وأعظمُ أَرْبهاً إلا طولَ عُمْرٍ بقاءِ النعمة عليك . والسلام

وكتب بعض الكُتَّاب إلى صديق له : ما زال ما أَحَدٌ من عواقبِ رأيِكَ ، وأَشْبَهَ من وفائِكَ ، حتَّى وثق في ضميري من مودَّتِكَ ، ما استنجدني لطاعتِكَ ، واستوى على من موافقتِكَ ، ما سهَّلَ على سبيلِ عَتَبِكَ فما أَسَأَلَكَ بغلبة الهوى طريقاً إلا إلى رضاكَ . وَلَا أَسْتَعِينُ بهِوَائِكَ منك عليك إلا كان عوناً علىَّ لك ، وَلِنِعَمِ المستعِينِ لِي أنت على المحامد ، وَاسْتِسَابَ سَنَاءُ الفوائد ، وَلِذَلِكَ أَقول :

على رقيبٍ من هوائِكَ يَقودُنِي إليك على الحالاتِ في السُّخْطِ والرَّضى
وليس هوائى حيث لَا يَسْتَحِقُّهُ ولكن هوائى حيث كان لك الهوى
لِسَانِي رهينٌ بالذى أنت فاعلٌ ورأى موصولٌ بما كُنْههُ يَثْرَى^(٣)

(١) النوب : جمع النوبة : الفرصة .

(٢) الزمام : الحق ، الحرمة .

(٣) الكنه : جوهر الشيء وأصله وقدره وحقيقته وغايته ،

وما زلت لي عوناً برأى موفّقٍ على صِلَةِ القُرْبَى بهْدَى أُولَى النُّهَى
وَكُتِبَ الحَسَنُ بنَ وَهَبٍ إلى مُحَمَّدٍ بنِ عَبْدِ المَلِكِ سُورِي أَعَارَنِي اللهُ حَيَاتَكَ ،
إِذَا رَأَيْتَكَ ، كَوَحْشَتِي لَكَ إِذَا لَمْ أُرَكَ ، وَحَفَظْتِي لَكَ فِي مَغِيْبِكَ ، كَمُودَّتِي لَكَ فِي
مَشْهَدِكَ ، وَإِنِّي لَصَافِي الأَدِيمِ ، غَيْرُ نَخْلٍ^(١) وَلَا مَتَغَيِّرٍ ، فَاْمْنَحْنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ ،
مُزْنَ لِنَاذِرٍ مَشْرَبِكِ ، وَكُنْ لِي كِسَاءً ، فَوَاللهِ مَا مُجِّتٌ^(٢) عَنْ نَاحِيَّتِكَ ، إِلَّا وَأَنَا
مَحْنَى الضَّالِّعِ إِلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ : يَا أَخِي مَا زِلْتُ عَنْ مَوَدَّتِكَ ، وَلَا حُلْتُ عَنْ أُخْرَتِكَ ،
وَلَا اسْتَبْطَأْتُ نَفْسِي لَكَ ، وَلَا اسْتَزِدَّتْهَا فِي مَحَبَّتِكَ ، وَإِنْ شَخَّصْتُ لِمِثْلٍ
نُصَبٍ^(٣) طَرَفِي ، وَلَقَلَّ مَا يَخْلُو مِنْ ذِكْرِكَ قَلْبِي . وَللهِ دَرٌّ الَّذِي يَقُولُ :

أَمَا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ النَّوَى لَأَنَّ غَيْبَ عَنْ عَيْنِي لِمَا غَيْبَ عَنْ قَلْبِي
يَذَكِّرُنِيكَ الشَّوْقُ حَتَّى كَأَنِّي أَنَا جِيْعٌ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي
وَكُتِبَ بَعْضُ الْكِتَابِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ ، تَبَيَّنَ مِنْهُ جَفْوَةٌ ، سَيِّدِي الزَّمَنِي
الْخَضُوعُ ، وَحَرُمْتُ عَلَى الْهَجْوَعِ ، وَضَرُمْتُ نَارًا بَيْنَ الضَّالِّعِ ، فَتَرَكْتَنِي
فِيكَ لَا تُنْذِرُ بِالْعَدْوِ ، وَمَمْنُوعًا مِنَ السَّلَوِ ، مَنْخَفِضًا مِنَ الْعُلُوِّ ، بِأَنْزَلَةٍ مِنْ خَانٍ
وُدًّا ، أَوْ نَقْضِ عَهْدٍ ، أَوْ أَخْلَافِ وَعْدٍ ، أَوْ أَظْهَرِ صَدٍّ ، أَوْ جَمْعِ يَدٍ ، أَوْ
كَفْرِ عَارِفَةٍ^(٤) أَوْ غَمَطٍ^(٥) نِعْمَةً سَالِفَةٍ .

سَيِّدِي لِمَا اشْتَغَلْتُ بِكَ النَّفْسُ الْقَلِقَةَ ، وَالْعَيْنُ الْآرِقَةُ : حُلْتُ عَنْ مَحْمُودِ
الْوَفَاءِ ، وَزُلْتُ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ يُوْجِبُ عَقُوبَةَ الْمُجْتَرِمِ ، وَغَيْرِ سَبَبٍ يَقْدَحُ فِي

(١) النخل الفاسد ، أو ولد الزانية لفساد نسبه .

(٢) عاج عنه : رجع عنه وتركه .

(٣) النصب : الشيء المنسوب : يقال : هذا نصب عني ، أي أمامها .

(٤) العارفة : العطية . (٥) غمط النعمة : لم يشكرها .

مودعة العبد المهتضم^(١) ، الذي توقده جريرته ، وتوبقه^(٢) خطيئته ، وتحل به إساءته ، وتلزمه هفواته .

سيدي ، أوقنى يسير جفائك ، وإعراض لحظاتك ، في بحار هوم ، غريقها غريق صباية وغموم ، أخطبك بلسان يعجز عن المخاطبة ، وأكاتبك بيد لا تجرى الى المسكاتبة . وأناجيك بضمير الهيبة ، المشاهد لك في الغيبة ، مناجاة مفرم ، وصريع تجلد ، وحليف تلدد^(٣) .

سيدي كل عذاب ووجد جديد ، وسقام عتيد ، فهو في محبتك ، والدوام على مودتك يسير ، فأما السهيل الى وجه السرور فتعذرة ، والخلاص في طرق السلامة الى الراحة فستوعرة ، قد غلب الظماً وبعد المورد ، وقل العزاء . وفقد الصبر ، وانحلت العزيمة ، وبطل الرأي ، وثبت الهوى ، فتمكن في الحشا^(٤) ، فلا يحيص لعبدك عنك ، ولا بد له في حالة السخط والرضى منك .

سيدي الرجوع الى محمود الشيمة أشبه من العود ، بالفضل ، والتطول بالوصل أولى بالمولى من الوقوف على الصد ، الذي يقدح في النية ، ويزيل عقد الطوية ، وشفيعي اليك ، الذي أرجو نجاح الشفاعة خضوعي لك ، واعتصامي بك ، وانحطاطي في طاعتك ، ووقوفي بين يديك ، مستكيناً متحيراً معترفاً ، فان ذلك أبلغ شفيع ، وأنت فيما تراه في أمرى أكرم مولى في كل حال ، فانه يتوقع كتاب جواب كتابه ، بما يسكن اليه ، وتتجدد به النعمة عليه ، فحقق تأمله وأكرم صفده^(٥) وأقيم أودده ، ودّد في جفائه ، الى دوام صفائه ، والسلام .

(١) المهتضم : المظالم ، اهتضمه : ظلمه وغصبه وكسر على حقه .

(٢) أوبقه : أهلكه . (٣) التاد : التحير .

(٤) الحشا : ما انضمت عليه الضلوع . (٥) الصفد : العطاء .

٣٧ — بِأَيِّ مَا ذَمُّوا كَثِيرًا مِنْهُمْ صِرَ الْأَسْمَاءُ

وَتَسْكَاتُ بِهِ ذَوُو الظَّرْفِ وَالْأَخْطَارِ

أُنْشِدْنِي بَعْضَ الْأَدْبَاءِ :

هَذَا كِتَابٌ مُتِمٌّ خَطَّتْ إِلَيْكَ أُنَامِلُهُ
مَزَجَ الْمِدَادَ بِدَمْعِهِ فَبَكَتْ عَلَيْهِ عَوَازِلُهُ
أَنْتَ الطَّبِيبُ فِدَاؤُهُ يَا مُبْتَلِيَهُ وَقَاتِلُهُ

وَقَالَ آخِرُ :

هَذَا كِتَابٌ قَتَى لَهُ هِمَمٌ عَطَفَتْ إِلَيْكَ رِجَاءَهُ هِمَمُهُ
غَلَّ الزَّمَانُ يَدَيَّ عَزِيَّتِهِ وَرَمَى بِهِ مَنْ حَالِقَ قَدَمِهِ^(١)
أَنْضَى إِلَيْكَ بِسْرَهُ قَلَمٌ أَوْ كَانَ يَعْقِلُهُ بِكِي قَلَمُهُ

وَقَالَ آخِرُ :

هَذَا كِتَابِي بِدَمْعٍ عَيْنِي أُمْلَاهُ قَلْبِي عَلَى بَنَانِي
إِلَى غَزَالٍ كُنَيْتُ عَنْهُ يَجْلُ عَنْ إِسْمِهِ لِسَانِي

وَقَالَ آخِرُ :

هَذَا كِتَابُ أَخِي هَوَى وَصَبَابَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا بِهِ كِشْمَانَا
لَا قَ الدَّوَاةَ بِعَبْرَةٍ مَسْفُوحَةٍ كَانَتْ لِمُضْمَرٍ لَاعِجٍ عُنُونَانَا^(٢)
قَرَحَ الْفُؤَادِ تَعُودُهُ أَشْجَانُهُ لِمَا بِهِ بِخِلَ الطَّبِيبِ وَخَانَا

وَقَالَ آخِرُ :

هَذَا كِتَابٌ مُتِمٌّ يَشْكُو الصَّبَابَةَ فِي كِتَابَتِهِ
فَارَدَدُ عَلَيْهِ جَوَابَهُ كَيْ يَسْتَرْيَحَ إِلَى جَوَابَتِهِ

(١) الحائق : الجبل المنيف المرتفع لانبثات فيه .

(٢) لاق الدواة : أصلح مدادها .

لو كان يُنطق ذا الكتا بـ شكا اليك عظيم ما به

وقال آخر :

هذا كتاب قى شكا سقمًا
يُبكي عليه جفون مُقلّته
لولا مُراقبة العدو ومن
لبكى علانية وقال لهم
وقال آخر :

هذا كتابي اليك أشكو
صكبتُ أشكو إليك ما بي
ياحسن الوجه كن شفيعي
ما ذكر القلب منك شيئًا
وقال آخر :

هذا كتاب قى لغيبك حافظ
إن غبت أنس طرفه بدموعه
وقال آخر :

هذا كتاب أخى هوى مُشتاق
أملى هواه على بنان يمينه
وكأنه يُنبي بما فى نفسه
قروح الجفون بدمعه المهرق
فأبان كيف مصارع العشاق
من طول شوق واكتئاب باق

(١) شفه المرض : أوهنه .

(٢) المستهام : من ذهب فؤاده وخلق عقله من الحب . مدنف : ثقل مرضه ودنا

من الموت .

وقال آخر :

هذا كتابٌ مقيمٌ مُشتاقٍ
أهدى له المجران بعد تواضع
ما هكذا فصل الكرام فأجلى
وارثي أصب هائم قد شفه
وأنشدني إبراهيم بن محمد لنفسه :

هذا كتابٌ مقيمٌ في قلبه
فإذا قرأت كتابه فأجمل له
فلقد تركت فؤاده في غمرة
ولقد تبرم بالحياة وطولها
لا تغين به رداه وحينه
حاشاك من قلقٍ أطار رقاده
وأنشدني أيضا لنفسه :

هذا كتابي إليك فاقرأ
أقلقه شوقه المعنى
لكنه في الظلام يبيسكي
إن كنت غضبان فارض عني
ولأبي الطيب في هذا المعنى :

هذا كتابي إليك فاقرأ
كتاب ذي صبوة عبيد
وهده لوعة الصدود
بكاء ذي الفقد للفقيد
رضى الموالى عن العبيد
من شفه السقام

(١) المذاق : من كان وده غير خالص .

(٢) غمرة الشيء : شدته ومزجه . الغليل : حرارة الحب أو الحزن .

وارثٍ لِسُقْمِي وطولِ صبري فقد وهت مِنِّي العِظَامُ
ولا تُردُّ قَتْلِي وهَجْرِي فَقَتَّلُ حِلْفِ الهوى حَرَامُ
وقال آخر :

أُرِدَ المَحْوُ في سُطُورِ كِتَابِي شاهدٌ لي بَعْبَرَةٍ وانتِحَابِ
وَبُكَائِي يَدُلُّ أَنِّي سَقِيمٌ خاضعٌ للهوى طويلُ العَذَابِ
أنا بين الرجاءِ واليأسِ وَقَفَ لستُ أدري بما يكونُ جَوَابِي
فاذا اشتقتُ أَن أراكُ أَنَادِي فَرَجَ اللهُ لي مِنَ الحُجَابِ
وقال آخر :

غَضِبْتُ لِحْوٍ في السِّكِّتِ كَثِيرِ قالت أَرَادَ خِيَانَتِي وَغُرُورِي
كُتِبَ السِّكِّتُ عَلَيَّ خِلَافَ ضَمِيرِهِ والمحوُ فِيهِ لِعِلَّةِ التَّغْيِيرِ
مَا كَانَ دَمْعِي لِلغُرُورِ وَظَنُّكُمْ كَلَّا وَلَا لِلسَّهْوِ وَالتَّقْصِيرِ
كُتِبْتُ يَمِينِي وَالدُّمُوعُ هَوَا طَلِ حَذَرَ الفِرَاقِ لِمَا يُجْنُ ضَمِيرِي^(١)
فَالْحَوُ مِنْ قِبَلِ الدُّمُوعِ وَإِنَّمَا تَجْرِي دُمُوعُ العَاشِقِ المَهْجُورِ
وقال آخر :

مَا زِلْتُ أَبْكِي وَفِي يَدِي قَلَمٌ حَتَّى اسْتَهَلْتُ مَدَامِيعَ القَلَمِ
أَكْتُمُ وَجْدِي وَالدَّمْعُ يَظْهَرُ بَوَاكِفِ كَالْجَنَانِ مُنْذَرِ^(٢)
مَا زِلْتُ خِلْوًا مِنَ الهوى فَلَقَدْ عَذَّبَنِي مَنْ هَوَيْتُ بِالسَّقَمِ
يَا سَيِّدًا تَاهَ مَا يَكْمُنِي نَمَتَ وَعَيْنُ الشَّجِيِّ لَمْ تَنَمِ

(١) أجنه : ستره وأخفاه .

(٢) وكف الدمع : سال قليلا قليلا . الجنان : اللؤؤء . السجيم : سال قليلا أو كثيرا وانصب

أنا قَتِيلُ الهوى وَمَيِّتُهُ لا عَذَابَ اللهُ قَاتِلِي بِدَمِي
وقال آخر :

إِنِّي رَفَعْتُ إِلَيْكَ قِصَّةَ عَاشِقٍ وَلَقَدْ كَتَبْتُ وَدَمْعَ عَيْنِي سَاكِبٌ
وَرَجَوْتُ عَذْلَكَ فَأَنْظَرِي فِي قِصَّتِي
فَإِذَا قَرَأْتَ فَأَحْسِنِي وَتَشَبَّيْ
مِنْهَا فَنُونَ فِي صِفَاتِ مَوَدَّتِي
لَا فَرَجَ اللهُ الصَّبَابَةَ وَالْهَوَى
وقال آخر :

أَمَّا الرِّسُولُ فَقَدْ مَضَى بِكِتَابٍ
وَتَعَجَّلَتْ رُوحِي الظُّنُونُ وَأَشْرَبَتْ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَكُونُ جَوَابِي
طَمَعَ الْحَرِيصُ وَخَشْيَةُ الْمُرْتَابِ
وقال آخر :

أَسْأَلُ اللهَ خَيْرَ هَذَا الْكِتَابِ
أَشْتَهِي فَكَّهُ فَأَفْرُقُ مِنْهُ
قَدْ أَتَانِي بِرَحَّةٍ وَعَذَابٍ
فَفُؤَادِي مَفْرَقُ الْأَسْبَابِ
وقال آخر :

كِتَابُ صَبٍّ بِدَمْعِ عَيْنٍ
يَكْتُبُهُ كَفُّهُ بَضْفِ
يَمِلُهُ قَلْبُهُ الْكَئِيبُ
وَمَا لَهَا فِي الْهَوَى نَصِيبُ
وقال آخر :

أَمَّا الْكِتَابُ فَقَدْ مَضَى وَأَمَامَهُ
طَلَبَ الْجَوَابِ فَأَحْسِنُوا فِي وَدِّكُمْ
خَوْفُ الرَّقِيبِ وَسَطْوَةُ الْحُجَابِ
هَلْ تُنْقِذُونَ مَتِيماً ذَا صَبْوَةٍ
لَا تَبْخَلُوا عَنِّي بَرْدَ جَوَابِ
جُودُوا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ وَتَعْطَفِ
أَضْحَى أَسِيرَ تَذَكَّرِ وَتَصَابِي
فَلَقَدْ أَطْلَعْتُمْ بِالصُّدُودِ عَذَابِي

أدّا الكتابُ فَمِنْ كَثِيبٍ عاشقٍ كَلَفِ الْفُؤَادِ مُوَاصِلِ الْأَوْصَابِ^(١)
لَكُمَّه غَايَ إِلَى ذِي سَلْوَةٍ مَتَمَتِّبٍ فِي غَيْرِ صَكْنِهِ عِتَابِ
وَقَالَ آخِرُ :

لَوْلَا الْكِتَابُ الَّذِي جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ مِنَ الْحَبِيبِ لَذَابَ الْقَلْبُ وَاحْتَرَقَا
جَاءَ الرَّسُولُ عَلَى يَأْسٍ بِوَعْدِهِ وَقَدْ قَضَيْتُ فَأُخِي لِي بِهِ رَمَقًا^(٢)
وَقَالَ آخِرُ :

صَلِّينِي بِالْكِتَابِ وَبِالسَّلَامِ وَزُورِي زُورَةً فِي كُلِّ عَامِ
وَجُودِي بِالْكِتَابِ وَعَنُونِيهِ إِلَى الصَّبِّ الْكَثِيبِ الْمُسْتَهَامِ
مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ يَوْمَ دَجْنِ وَبَدْرِ لَاحٍ مِنْ بَيْنِ الْغَمَامِ^(٣)
وَنَاحِلَةٍ فَدَيْتُكَ يَا مُنَاكِي أَمَانًا لِلْفُؤَادِ مِنَ الْغَرَامِ
وَقَالَ آخِرُ :

كَتَبْتُ إِلَى يَا رُوحِي كِتَابًا فَوَافَقَ مَنِّي وَبُلُوغَ سُورِي
وَلَوْلَا الْعَيْبُ هَمَّتُ إِلَيْكَ لَمَّا تَنَاقَلْتُ الْكِتَابَ مِنَ الرَّسُولِ
مُخَافَةً نَظَرَةٍ مِنْ عَيْنٍ وَاشٍ وَتَشْنِيعِ الْمَقَالَةِ بِالْخَلِيلِ
وَقَالَ آخِرُ :

لَمْ يَزِدْنِي الْكِتَابُ إِلَّا اشْتِيَاقًا وَاشْتِعَالًا مِنَ الْهَوَى فِي ضَمِيرِي
بَأَبِي أَنْتَ يَا حَبِيبَةَ قَلْبِي وَمُنَاكِي وَغَايَتِي وَسُرُورِي
وَأُنْشِدُنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِي لِنَفْسِهِ :

كَتَبْتُ إِلَى تَذَكُّرٍ مَا تُتَلَّاقِي مِنْ الشَّوْقِ الْمَبْرُحِ وَالْفِرَاقِ

(١) الْأَوْصَابُ : جَمْعُ الْوَصْبِ : الْمَرَضُ وَالْوَجَعُ الدَّائِمُ وَنَحْوُ الْجَسَمِ .

(٢) الرَّمَقُ : بَقِيَّةُ الْحَيَاةِ .

(٣) دَجْنُ الْيَوْمِ : كَانَ فِيهِ غَيْمٌ وَمَطَرٌ .

لعمرك ما اتهمتك في وداد
فؤادي هائم والعين تذري
وقد ذقت الفراق وكان مرا
على أني وإن أبديت صبرا
وقال آخر :

قولا لمن كتب الكتاب بكفه
ما زلت أبكي مذ قرأت كتابها
وقال آخر :

الدمع يمحو ويدي تكتب
أمار خدي قر زاهر
لقد براني سقم قاتل
وقال الحسين بن وهب :

يا منكأى وسرورى جهدا غير يسير
والذي نشكوه في السكت بقليل من كثير
لم تطق السننا من وصفه عشر عشر
فشقي يا بابي أنت بمكنون الضمير
ثم قولي مطلع الجوى زاء والشعرى العبور^(١)
حفظ الله قتي با ت لها خير سمير

ولبعض المحدثين :

من الوهم من آثار قبر مسنم وهام ترى قبر القتيل المتيم

(١) الجوزاء : برج في السماء . الشعرى العبور : كوكب في الجوزاء .

وَمَنْ طَلَّلَ لِلشَّوْقِ لَمْ يَعْفِهِ الْبَلَى
إِلَى زِينَةِ الدُّنْيَا وَهَيْبَةِ أَهْلِهَا
وَأَمْلَحَ خَلْقَ اللَّهِ قَدًّا وَصُورَةً
سَلَامٌ عَلَى مَنْ شَفَّنِي وَأَذَانِي
وَوَكَّلَنِي بِالنَّجْمِ أَرْعَى أَفْوَلَهُ
وَأَحْمَدُ مَنْ أَبْلَى شَبَابِي بِحُبِّكُمْ
وَبَعْدُ فَقَدْ وَاللَّهِ يَا سُولَ عِبْدِهَا

وَنَوَى وَفَاءٍ لَيْسَ بِالْمَتَمِّدِّمْ
وَأَحْسَنَ مَنْ يَزْهُو بِطَرْفٍ وَمَيْسَمٍ^(١)
وَدَلًّا وَإِدْلَالًا عَلَى حُبِّ مَغْرَمٍ
وَأَسْكَنَ قَلْبِي كُلَّ وَجْدٍ وَمَأْلَمٍ
وَأَنْذَبَهُ بِالْدمْعِ طُورًا وَبِالْدمِ
عَلَى الْبُؤْسِ وَالسَّرَّاءِ حِينَ التَّنْعُمِ
وَمَوْلَاتِهِ أَنْضَجَتْ أَحْشَائِي فَأَعْلَى

٣٨ - وَمَا ضَمَّنُوهُ كَتَبَهُمُ مِنَ السَّلَامِ

وَجَعَلُوهُ تِلْوًا لِلشَّعْرِ وَالنِّظَامِ

عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا سَلَامٌ مُودَعٍ
سَلَامٌ مُحِبٌّ خَانَهُ حُسْنُ صَبْرِهِ
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
سَلَامٌ سَقِيمٌ مَذْنَبُ الْقَلْبِ مُقَرَّحٍ
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مَا لَاحَ كَوْكَبٌ
سَلَامٌ غَرِيبٌ شَفَّهِ الْوَجْدِ وَالْهَوَى
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ هَلْ أَنَا مَيِّتٌ
فَعِيشِي بِخَيْرٍ وَاسْلَبِي لَيْسَ حُبِّكُمْ

وَلَكِنْ سَلَامٌ لَمْ يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ
فَأَصْبَحَ فِي كَرْبِ الْحَيَاةِ وَفِي جَهْدِ
وَمَا قَرَقَرَ الْقَمَرِيُّ فِي وَرَقِ السِّدْرِ^(٢)
مَشُومٌ عَلِيلٌ مُشْعَلُ الْقَلْبِ بِالْجُرِّ
لِسَارَى اللَّيْلِ وَاسْتَوْسَقَ الْبَدْرُ^(٣)
وَبَلَّ حُشَاهُ الْهَمُّ وَالذُّكْرُ وَالْعُسْرُ
بِدَامٍ هَوَائِيكَ الشَّقِيُّ الْمَقْلَقِلِ
وَلَا الْوَجْدَ عَنِي مَا حَيِّدْتُ بِمُنْجَلِي

(١) الميسم : الحسن والجمال .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . قرقر : ردد صوته . القمرى : ضرب من الحمام
السدر : شجر التبق .

(٣) استوسق : اجتمع .

آخر: عليك سلام الله أما قلوبنا
 نبيت بود خالص وصباية
 آخر: عليك سلام الله قد شطت النوى
 أموت بوجده مضمر وصباية
 آخر: عليك سلام الله قدمت صبوة
 أرى الصبر عنكم كأنهم مذنايم
 آخر: عليك سلام الله قلبي متوق
 ومثل الهوى أضنى الحشاو مثل ما
 آخر: عليك سلام الله قدر صبايتي
 أبيت حليف ألهم والوجد والآسى
 آخر: عليك سلام الله ما حن ألف
 سلام مشوق نحوكم متطلع

فمرضى وأما وُدنا فصحيح
 ونغدو بحب صادق ونروح
 وقد كدت ألقى الله من كمد جهدا
 وأزداد إن زدتم على نأيك صدا
 وما لي عزاء مذنايت ولا صبر
 فقد وجلال الله ضاق به الصدر
 جسمي نحيل والمدامع تذرف^(١)
 بليت به تنكي القلوب وتشغف^(٢)
 إليك وشوقي أننى مدنف القلب
 رهين يد الأحزان والشوق والكرب
 وما اشتاق ذو وجد وما طلع الفجر
 أخى حشرات خانه فيكم الصبر

٣٩ - باب ما كتبوه على الفنون

وسلكوا به سبيل المداعبات

إلى سبي وما لكتي وروحي
 آخر: إلى الشمس المنيرة حين تبدو
 من الصب الكتيب أخى التصابي
 آخر: من الدنف الذى يضجى حزينا

من الجسد الطريح بغير روح
 غداة الدجن من بين الغيوم^(٣)
 حليف الشوق محتبس الغيوم
 وبين ضلوعه قلب مصاب

(١) متوق : مشتاق .

(٢) تنكى : تقهر بالقتل والجرح . شغفه الحب : غشى قلبه وغلبه .

(٣) الدجن : المطر الشديد .

إلى الخُودِ التي أبُلَّتْ شَبَابِي
آخر : مني إلى قلبي ولم أر كاتباً
أرى كلَّ شيءٍ بالياءِ متغيِّراً
آخر : مني إليك فاني هائمٌ دَنَفُ
النفسِ ذاهيةٌ والعقلُ مختلسٌ
آخر : مني إليك فما وجدى به نصيرم
ولورأيتك يوماً لا نقضى حزني
آخر : مني إليك فاني هائمٌ قلقٌ
الله يعلم ما بالقلب من قلقٍ

فأضحى مايسينغ لي الشراب^(١)
يخطُّ بأقلامٍ إلى قلبه قبلي
وحُبُّك لا يبلى ولسكنه يبلى
حاف السقام براني الشوق والأسف
والقلب محتبس والروح مختطف
حتى الممات وما قلبي به عنود
وعاد عيشي صفواً بعد تسكير
حليفهم قرين العين بالسهد
إذا نأيت وما ألقاه كمد

وقد مضى من هذا الباب ما فيه كفاية ، ولو ذهبت الى تطويله لم يكن
لآخره نهاية ، وقد أحببت أن أختم كتابنا بأشياء يستحسنها الطرفاء ،
ويميل اليها الأدباء ، مما يكتب على الأقلام من النُتف^(٢) ، وملح المقطعات
والطرف ، وأنا ذاكر في ذلك بعض ما استحسنته ، وملحاً عما استرقتته ،
إن شاء الله .

قد جمعنا في هذا الفصل أشياء من مستظرفات الأشعار ، ومستحسن
الأخبار . ومنتخل^(٣) الأبيات ، ومنتخب المقطعات ، ونوادر الأمثال ،
وملح الكلام ، الذي يجوز كتابه على الفصوص والتفاح ، والقناني
والأقداح ، وفي ذيول الأقمصة والأعلام ، وطُرُز الأردية والكلام . والقلائس

(١) الخود : الصبية .

(٢) النُتف : جمع النُتفة ، وهي من الشيء : القليل منه .

(٣) المنتخل : أفضل ما يختار .

والكرازن ، والعصائب ، والتسكك ، والوقايات ، وعلى المناديل
والوسائد، والمخادد والمقاعد، والمناص، والخلل، والأسرة والتسكك، والرفارف
ووجوه المستنظرات، وفي المجالس والايوانات، وصدور البيوت والقباب،
وعلى الستور والأبواب، والنعال السندية. والخفاف الزنانية، وعلى الجباه
والطرر، وعلى الحدود بالغالية والعنبر، وعلى الوطأة والوشاح، وفي تفليج
الأترج والتفاح، وتما يُعدل به من تنضيد الورد والياسمين، ويكتب على
أواني الذهب والفضة والسكاكين، وقضبان الخيزران المدهونة، والمخاد
الصينية، والمرابح والمذاب، والعيدان والمضارب، والطبول والمعازف،
والنايات، والآقلام، والدنانير والدرهم، وجعلنا ذلك أبوابا مبهوبة،
وحدودا مبيّنة، لتقف على أصولها، وتبين حسن فصولها.

٤٠ — باب ما يكتب على الفصوص

نقش بعض الظرفاء الصوفية على خاتمه:

آخر:	قد فاز بالطاعة من نالها	أنا والله أنا	أنا والله دهر بالفناء
آخر:	أعبدت لذني	حسن ظني بربي	
آخر:	ختم الله بخير عملي	وتوفاني على حب علي	
آخر:	حب علي بن أبي طالب	فرض على الشاهد والغائب	
آخر:	بحب آل محمد	ألقي إله محمد	
آخر:	أنا بالله قانع	إن ربي لصانع	
آخر:	أنا بالله واثق	إن ربي لرازق	
آخر:	أتركاني والمعاصي	وعلى الله خلاصي	

آخر : ما علينا من جناح
آخر : أحب من يهـواني
آخر : آفة عقلي بصري
آخر : تحت ثيابي بدن ناجل
آخر : أمسيت عبدا لك لا أجد
آخر : أنا مولى لأهل هل
في هوى البيض السلاح
برغم من ينهاني
وله عقلي نظري
وفي فؤادي شغل شاغل
أنا مقر والهوى يشهد
من توأله هم عقل

يعنى : هل أتى على الانسان ، لأنها نزلت في علي .

ومما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم

القناعة خير من الضراعة .
التقلل خير من التذلل .
السلامة خير من الندامة .
الأسف أهون من التكلف .
بادر الفرصة قبل أن تكون الغصة ^(١) .
الهرب قبل الطلب .
الفرار قبل الحصار .
الرجوع قبل الوقوع .

وفي ضرب آخر

لكل حق حقيقة ، ولكل زمان خليفة .
القص ^(٢) أقرب من التعسف ^(٣) ، الكيف أحرى من التكلف

(٢) القص : نقيض الإفراط

(١) الغصة : الحزن ، الهم .

(٣) التعسف : الظلم .

الموت معتبرٌ ، والسبيل مختصرٌ
الحقُّ يُنجي ، والباطلُ يردى
النصحُ ملامة ، والتصرُّحُ سلامة
الآملُ يُلوى ، والشيطانُ يغوى
لكلِّ امرئٍ طريقَةٌ ، ولكلِّ عاملٍ وثيقة .
بطولُ التجارب ، يكشفُ المآرب
طولُ الاعتبار ، من حُسْنِ الاختبار
فوتُ الآملُ ، أشدُّ من حضورِ الأجل .

ومما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم

مَنْ كَثُرَتْ لِحْظَاتُهُ ، دَامَتْ حَسْرَاتُهُ
مَنْ تَدَاوَى بِدَائِهِ ، لَمْ يَصِلْ إِلَى شِفَائِهِ
مَنْ قَدَّمَ هَوَاهُ ، دَامَ أَسَاهُ^(١)
العقلُ عند الهوى أسير ، والشوقُ عليهما أمير
إذا كَثُرَ الجفاء ، قَلَّ الوفاء
إذا صَحَّ الظفرُ^(٢) ، وَقَعَتِ الْغَيْرُ^(٣) .
إذا صَحَّتِ الْقُلُوبُ ، اغْتَفِرَتِ الذُّنُوبُ .
قَلَّ مِنْ سَلَا ، إِلَّا اسْتَفْزَهَ الْهَوَى .
مَنْ مُنِيعَ مِنَ النَّظَرِ ، اقْتَصَرَ عَلَى الْأَثَرِ
مَنْ مُنِيعَ مِنَ الْوِصَالِ ، قَنِيعَ بِالْخَيَالِ .

(١) الأسى : الحزن

(٢) الظفر : الفوز والغلبة .

(٣) غير الدهر : أحداثه .

وفي ضرب آخر

الْحَيْنُ ، خَيْرُ مِنَ الْبَيْنِ ^(١) .
 الْقَبْرُ ، أَفْسَحُ مِنَ الْهَجْرِ .
 الْمَوْتُ ، خَيْرٌ مِنَ الْفَوْتُ .
 غُصَصُ الْفِرَاقِ ، شَرُّ مِنَ السَّبَاقِ .
 كَأْسُ الْهَجْرِ ، أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ .
 طُولُ الْجَفَاءِ ، يُكَدِّرُ الصَّفَاءِ .
 حُسْنُ الْوَفَاءِ ، رُكْنُ الْإِخَاءِ .
 آفَةُ الْحَبِيبِ ، نَظَرُ الرَّقِيبِ .
 آفَةُ الْغَزَلِ ، سُرْعَةُ الْمَلَلِ .
 الْهَوَى ، ثَوْبُ الضَّنَى .
 ذَهَبَ الْفِرَاقِ ، بِحِيلَةِ الْعِشَاقِ .

وفي ضرب منه آخر

حَفِي فَلَنِي ، أَلِفَ فَتَلَفَ ، حَنٌّ فَأَنَّ ، حَظِي فَرَضِي ، عَشِقَ فَرَهَقَ ،
 هَوَى فَضَنِي ، صَرِمَ فَظْلَمَ ، صَدَّ فَجَدَّ ، صَبَرَ فَقَدَّرَ ، مُنِعَ فَجَزَعَ ، نَالَ
 فَاسْتَطَالَ ، بَاحَ فَاسْتَرَا حَ ، سَلَا فَقَلَا ، مَلَكَ فَهَمَّتَكَ ، عَدَلَ فَقَتَلَ ، عَفَّ فَكَفَّ
 وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ تَعَشَّقَ جَارِيَةً يَقَالُ لَهَا : نَاعِمٌ ، فَتَنَكَّسَ ^(٢) اسْمُهَا ،
 وَنَقَشَ عَلَى خَاتَمِهِ مُعَانٌ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي أَبْيَاتٍ يَقُولُ فِيهَا :
 نَقَشْتُ مُعَانًا عَلَى خَاتَمِي لَكَيْمًا أُعَانَ عَلَى ظَالِمِي

(١) الحين : الهلاك . البين : الفارقة ،

(٢) نكس : قلبه على رأسه وجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره .

كندا اسمٌ مَنْ هَامَ قَلْبِي بِهِ وَأَصْبَحَ فِي حَالَةِ الْهَسَامِ
نَسَكْتُ الْهَجَاءَ فَأَعْلَنْتُهُ بِطَرَفِي لِيَخْفَى عَلَى الْحَازِمِ

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يحبُّ بعض جوارى القيان ، ثم تشكرها ،
فمكتبت على خاتم لفظاً تعرّض له بالعتاب ، فبلغه ذلك ، فكتب على خاتمه
ضدّ ما كتبت ، فبلغها ففحّت ما كان على خاتمه ، وكتبت ضد ما كتب ، فبلغه
ذلك ، فمحا ما كان على خاتمه ، وكتب ضدّ ذلك في أبيات يقول فيها :

كَتَبْتُ عَلَى فَصٍّ لِيَخَاتِمَهَا مَنْ مَلَّ مِنْ أَحِبَّاءِ بِهِ رَقْدَا
فَكَتَبْتُ فِي فَصٍّ لِيَبْلُغَهَا مَنْ نَامَ لَمْ يَشْعُرْ بِبَنٍ سَهْدَا
فَمَحَوْتُهُ وَاسْتَكْتَبْتُ لِيَبْلُغَنِي مَا نَامَ مِنْ يَهُوَى وَلَا هَجْدَا^(١)
فَمَحَوْتُهُ ثُمَّ اسْتَكْتَبْتُ أَنَا وَاللَّهِ أَوَّلُ مَيِّتٍ كَمَدَا
قَالَتْ : يُعَارِضُنِي بِخَاتَمِهِ وَاللَّهِ لَا كَلَمْتُهُ أَبَدَا

٤١ — باب ما وجر على التنازع

من الألفاظ الملاح

قرأت على تفاحة مكتوبا بماء الذهب :

قَبْلَ تَهْدُونِي فَخَطُّوا فِي سَطْرًا مِنْ ذَهَبٍ
إِنِّي أُعْطِفُ مَنْ صَدَّ لِيَصْفِي ذَا كَرَبٍ

وعلى أخرى بالفضة :

لَيْسَ شَيْءٌ يُتَهَادَى مِثْلَ تَفَاحٍ مُكْتَبٍ
خُطَّ بِالْفُضَّةِ (مِنْ نَبْ) رَأْسِ) نَحْرِيرٍ مُهَذَّبٍ^(٢)

(١) هجاء : نام بالليل .

(٢) بياض بالأصل وقد أكنّاه بما يتفق والمعنى .

يَا مُنَى قَلْبِي مَا تَرَى تِي لِذِي عَشَقٍ مُعَذِّبٌ
وعلى أخرى : أَنَا لِلْأَحْبَابِ بِاللَّهِ رٌّ وَبِالْوَصْلِ رَسُولٌ
أَتَهَادَى فَأَرْقُ الْهَلْ يَقْلَبُ وَالْقَلْبُ مَلُولٌ
وعلى أخرى : وَإِذَا مَا مُرْسِلٌ نَدَى سَمَّ فَمَا أَنْتِ نَمُومَةٌ
أَنْتِ رِيحَانَةُ قَلْبِي هُمَّ لِلْسَّرِّ كَتُودَةٌ
وعلى أخرى : أَنَا شَمَامَةُ الْكَرِيمِ (هَمَّ أَنْيَسٌ) لِلْمَجْلِسَةِ (١)
وَرَسُولٌ مُبَارَكٌ مُذْهَبٌ صَدَّ مُؤْنِسَةٌ
وعلى أخرى : إِشْرَبْ عَلَى خُمْرَةٍ تَفْجَحُ يَا هُوْنِسِي مِنْ بَارِدِ الرَّاحِ
حَيَّاكَ مَعْشُوقٌ لَهُ زَهْرَةٌ وَقَيْنَةٌ بِالْعُودِ مِفْصَاحٌ
وعلى أخرى : مَا تَحْيَا بِيَلَاءِ النَّاسِ مُذْ كَانُوا بِمَنْطَلَى سَاسِ مُذْ كَانُوا بِمَنْطَلَى
لِي طَيْبٌ وَبَقَاءٌ وَمَلَا حَاتٍ تُسَلَّى
وعلى أخرى : لِي طَرَكَاتٌ وَرِيحٌ هُمَّ مَاءٌ وَنَضَارَةٌ
لَيْسَ لِلْيَاقُوتِ فَضْلٌ كُلُّ يَاقُوتٍ حِجَارَةٌ
وعلى أخرى : جَرَحَ اللَّهُ الَّذِي يَجْحَدُ رَحٌ بِالسَّكِينِ نَحْيٌ
فَلْجُوا حَامِضَةً إِنَّ يَ كَمِثْلِ الشَّهْدِ طَعْمِي
وعلى الأخرى : أَنَا خَرَاءُ دَعَوْنِي لِمُحِبٍّ وَخَبِيبِ
وَكُلُوا ذَاتَ بَيَاضٍ أَكْلَهَا غَيْرَ مَعْيَبِ
وعلى الأخرى : حَيَّاكَ إِنْسَانٌ لَهُ رَوْقٌ نَوَّارَةٌ دَانِيَةٌ تَزْهَرُ
تَفْجَاحَةٌ خَرَاءُ مَنْقُوشَةٌ تَخْجَلُ مِنْ خُمْرَتِهَا الْجَوْهَرُ

(١) بياض بالأصل وقد أكلناه بما يتفق والمعنى .

٤٢ — باب ما ورد على قول الألفاظ والوجه

وطرز الأردية والأكام

قال الماوردي : رأيت جارية ، ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة ،
لم أشك أنه عاشق لها واليهما مائل ، لما رأيت من حركاته إذا نظرت ،
وسروره إذا نطقت ، وتهلله إذا غمت ، وكانت فوق وصف الوصف من
الحسن والجمال ، وعليها قميص موشح بالها ، ورداء معين ، مكتوب في
وشاح القميص :

أَغِيبْ عَنْكَ بُودٌ لَا يُغَيِّرُهُ نَأَى الْحَلِّ وَلَا صَرْفٌ مِنَ الزَّمَنِ^(١)
تَعْتَلُّ بِالشُّغْلِ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا الشُّغْلُ لِلْقَلْبِ لَيْسَ الشُّغْلُ لِلْبَدَنِ

وعلى طراز الرداء :

أَقْلُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا سُرُورًا مُحِبٌّ قَدْ نَأَى عَنْهُ الْحَبِيبُ
قال : ورأيت جارية لبعض الهاشميين يقال لها : عريب ، عليها قميص
ملحم ، موشح بالذهب ، مكتوب في وشاحه :

وإِنِّي لَا هَوَاهُ مُسِيئًا وَمُحْسِنًا وَأَقْضِي عَلَى قَلْبِي لَهُ بِالَّذِي يَقْضِي
فَتَى مَ رَوْحُ الرُّضَى لَا يَسْأَلُنِي وَحَتَّى مَتَى أَيَّامُ سَخَطِكَ لَا تَمْضِي^(٢)
وعلى طراز كمه :

إِذَا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وَأَسْلَمَنِي الْغَرَى فَفَرَقَةَ مَنْ أَهْوَى أَحْرُ مِنْ الْجَمْرِ
ورأيت على ماجن ، جارية مكاتم المغنية ، قميصا في وشاحه بالذهب :
زَفَرَاتِي لَيْسَ تَفْسَنِي وَفَوَادِي بِكَ مَضْنِي

(١) صرف الدهر وصروفه : نوائمه وحدثاته .

(٢) الروح : الراحة ، والرحمة .

أَتَرَحَّضَاكَ وَأَبْشَدِي لَكَ (حُبًّا ذَاقْ غِيًّا) نَا^(١)
بِأَبِي كَمْ أَتَمَّنِّي وَإِلَى كَمْ أَتَمَّنِّي
بَعْدَ مَا أَصْبَحَ قَلْبِي فِي يَدِ الْأَحْرَارِ رَهْنًا

قال : ورأيت في صدر قيصر جارية تباريح الكوفية ، مكتوبا بالفضة
والذهب سطرًا وسطرًا :

يَا فَتَى قُلْتُ إِذْ دَعَانِي هَوَاهُ مُسْتَجِيبًا لِصَوْتِهِ لَبَّيْكَ
مَا بَكَتْ مُقْسَلَتِي لِفَقْدِكَ إِلَّا جَزَعًا أَنْ أَمُوتَ شَوْقًا إِلَيْكَ
قال : ورأيت مرة أخرى عليها دُرَّاعَةٌ مَلْحَمَ بَتْرَانِينَ أَبْرِيسَمَ ، وَلِبْنَةُ
سُوَيْمَنَجْرَدَ ، وَفِي دَوْرِ اللَّبْنَةِ مَكْتُوبٌ .

يَا رَامِيًّا لَيْسَ يَذَرِي مَا الَّذِي فَعَلَا أَمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّ السَّهْمَ قَدْ قَتَلَا
أَصَبْتَ أَسْوَدَ قَلْبِي إِذْ رَمَيْتَ فَلَا شَلَّتْ يَمِينُكَ أَنْ صَيَّرْتَنِي مَشَلَا
وَكُتِبَتْ بُنَّانُ جَارِيَةِ الْخِزْرَانِ عَلَى تَرَانِينَ دُرَّاعَةٍ لَهَا بِذَهَبٌ :

لَمْ تَقُلْ قَوْلًا وَلَكِنْ حَلَفْتَ أَنَّهَا أَحْسَنُ عَيْنٍ أَطْرَقَتْ
رَعِمَتْ أَنِّي قَدْ لَاحَظْتُهَا أَيُّ عَيْنٍ لَحَظَتْ فَأَعْتَرَفَتْ
أَظْهَرَتْ حُجَّةً مَنْ يَعِشَقُهَا وَاسْتَبَاحَتْ غَفْلَةً وَانْصَرَفَتْ
وَعَلَى طِرَازِ كُمِّهَا :

لَيْسَ بِي صَبِيرٌ وَلَا بِي جَلَدٌ قَدْ نَفَى حُبُّكَ عَنِّي جَلَدِي
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ : أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَى فِي ذَيْلِ جَارِيَةِ الْحَسَنِ بْنِ
قَارَنَ مَسْجُوجًا فِي الْعِلْمِ :

(١) بياض بالأصل وقد أكلناه بما يتفق مع المعنى .

أَحْسَنَ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْهُ
شَكُوَى فَتَاةٍ وَقَى يَعْشَقُهَا وَتَعْشَقُهُ
نَارُ الْهَوَى دَانِيَةً تَحْرِقُهَا وَتَحْرِقُهُ
يَا حَبِّذَا الْحُبُّ إِذَا دَامَ وَدَامَتْ حَرَقُهُ

وكتبت رآه ، جارية الأجدب ، قبل أن يشتريها اسحاق بن ابراهيم
الموصلى ، على وشاح قيصها :

إِذَا وَجَدْتُ لَهَيْبَ الشَّوْقِ فِي كَبْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْتَرِدُ
هَبْنِي طَفِئْتُ بَبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرَهُ فَمِنْ إِحْرَاقٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ يَتَّقِدُ
وكتبت جارية لقبیجة على رداء لها رشیدی :

أَرَأَيْتُمْ يَأْمُرُونَ بِقَطْعِ وَصْلِي مُرِيهِمْ فِي أَحَبَّتِهِمْ بِذَلِكَ
فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاوُوكَ فَاعِصِي مَنْ عَصَاكَ
وكتبت جارية أبي حرب على رداء لها ممسك :

مَنْ أَلْفَ الْحُبِّ بَسَكِي مَنْ شَفَّهَ الشَّوْقَ شَكَ
مَنْ غَابَ عَنْهُ الْفُهْ أَوْ صَدَّ عَنْهُ هَلَاكَ
يَا مَالِكَا عَذَّبْنِي بِجَوْرِهِ إِذْ مَلَكَا
رِفْقًا بِمَمْلُوكِكَ مَا يَحِلُّ ذَا الظُّلْمِ لَكَ

وكتب بعض الظرفاء على طراز مطرف خز :

وَهَبْتُ شِمَالِي آخِرَ اللَّيْلِ قَرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بُرْدُهَا وَرِدَائِيَا^(١)
فَمَا زَالَ ثَوْبِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الثَّوْبُ بِالْيَا^(٢)

(١) ليلة قرة : باردة . البرد : ثوب مخطط . (٢) أنهج الثوب : بلى .

وكتبت دبسية جارية زُرْزور على قباء معصفر :
وما البدرُ المنيرُ اذا تجلَّى هُدُوءًا حين ينزل بالعِراقِ
بأحسنَ من بُشينة يوم قامت تهادى في مُعصفرة رِقاقِ

٤٣ — ياب ما وهر على الكرازه وله صائب

ومشاد الطرار والذوائب

وكتبت عللُ على قلنسوة لها ديباج^(١) ، وهى جارية محمد بن المأمون :
ما يملُّ الحبيب طولَ التَّجَنِّي لِـبَلَائِي به ولا الصَّدَّ عَنِّي
كلُّ يومٍ يقول لى لكذبت يتجنى ولا يرى ذاك مِنِّي
ربما جئته لِـأَسْلِفِهِ العُذْ رَـلْبَعْضِ الذُّنُوبِ قبل التَّجَنِّي
وكتبت جارية المارقى على قلنسوة لها بذهب :

كَتَبَ الشَّوْقُ فى فُؤادى كِتَابًا هَوَ بالشَّوْقِ والهوى تُخْتِومُ
رَجِـمَ الله مَعْشَرًا فارقُونى لا يُطِيعُونَ فى الهوى مَنْ يَلُومُ
ساق طرْفى الى فُؤادى بَلَائِي إنَّ طَرْفى على فُؤادى دَشُومُ

وكان على قلنسوة جارية محمد بن سعيد الفارسي مكتوبا :

أنا بعد القضاء سُمْتُ فُؤادى وأصبت الغداة عَيْنِي بِعَيْنِي
لم تزلْ بى حوادث الدهر حتى فَرَّقَتْ بَيْنَ مَنْ أَحَبُّ وَبَيْنِي
وكتبت جارية الحباب على قلنسوتها :

الله يَحْفَظُهُ عَلَى شَحْطِ النَّوَى ما كان أوْصَلَهُ إلى تَعْذِيبِهِ

(١) القلنسوة : نوع من ملابس الرأس ، وهو على هيئات متعددة . الديباج :

الثوب الذى سداه وتلجمته حرير .

وكتبت جارية ابن السلمي على كرزها^(١) :

الشمس تطلع للغيب ولا أرى شوقى إليك على الزمان يغيب
وكتبت بئان الشاعرة على قلنسوة لجاريها :

إن كنت خنت ولم أضمر خيانتكم فالله يأخذ بمن خان أو ظلمنا
سماحة من محب خان صاحبه ما خان قط محب يعرف الكرم
والله لا نظرت عني إليك ولا سألت مساربها شوقاً إليك دماً^(٢)

وقال الجاحظ : رأيت نشوان ، جارية زلزل ، وعاليها عصا به مكتوب عليها :
عين مسهدة في مائها غرقت ياليتها ذهبت لو لم تكن خلقت
لم تذهب النفس إلا عند لحظتها ولا بككت بدم إلا لما أرقمت
يا مقلّة سوف أبكيها ويا كبدا بها أحاط الهوى والشوق فاحترقت
وكان على كرزها :

الحب يعرف في وجوه ذوى الهوى باللحظ قبل تصافح الأجنان
قال : ورأيت على قلنسوة تباريح :

أهل الهوى فى الأرض تلقأهم يمشون أحياء كأموات
وكتبت شادن ، جارية خنت قيمة جوارى المأمون ، على وقاية تجمع
بها ذوائبها :

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جثل أسحم^(٣)
فكانها فيه نهار مشرق وكانه ليل عليها مظلم

(١) الكرز : تاج ملوك فارس وهو مرصع بالذهب والجواهر .

(٢) المسارب : جمع المسربة : مجرى الدمع .

(٣) فرع المرأة . شعرها . جثل الشعر : كثير والتف واسود . أسحم : أسود .

وقال علي بن الجهم : حضرت مجلس بعض الظرفاء ، فخرجت علينا جارية كأنها تمثال ، وعليها عصابة تد أرسلت لها طرفين ، على صدرها مكتوب :

دَنْ يَكُنْ صَبًا وَفِيَّا فَمِنْ مَآمِي فِي يَدَيْهِ
خُذْ مَلِيكِي بَعْنَانِي لَا أَنْزَعُكَ عَلَيْهِ

قال : فوثبت فأخذت بطرفي العصابة وقلت : أنا والله صب ، وأوفى خالق الله لمحبي ، قالت : إنه لا بد للفرس من سوط ، قلت : يا غلام ، هات السوط ؛ قالت : هيهات إذاك سوط الدواب ، وسوط مثلي شبيهه ^(١) فضة وعلاقته ذهب .

وكان علي قلنسوة زين مغنية اسماعيل :
أُقِيمُ عَلَى الْإِصَالِ مُنْتَظَرًا لَهَا وَقَدْ أَشْرَفْتُ مِنْ هَوْلِ ذَاكَ عَلَى نَحْيِ
أَمُوتِ وَأَسْتَحْيِ الْهَوَى أَنْ أَذُمَّهُ وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَفِي كَرْبِ
وقال الزبير بن بكار : رأيت علي قلنسوة بعض المغنيات :
أَدْمَيْتَ بِاللَّحْظَاتِ وَجَنَّتَهَا فَاقْتَصَّ نَاطِرُهَا مِنَ الْقَلْبِ
وعلى عصابتهما :

فاذا نظرت إلى محاسنها أخرجتها عطلاً من الذنب
وقال الماوردي : رأيت جارية لبعض ولد المأمون ، وعليها قلنسوة عليها مكتوب :

يَا تَارَكَ الْجِسْمَ بِلَا قَلْبِ إِنْ كَانَ يَهْوَاكَ فَمَا ذَنْبِي
يَا مَفْرُودًا بِالْحَسَنِ مِنْكَ بِطُولِ الشَّوْقِ وَالْكَرْبِ
وعلى كمر زن لها :

أَنَا الْعَبْدُ الْمَقْرُءُ بِطُولِ رَقٍّ وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ عَبْدٍ خِلَافٌ

قال : ورأيتُ على جاريةٍ لأبي كرزنا مكتوبا عليه :

عَذَّبَهُ بِالْهَجَرِ مَوْلَاهُ وَزَادَهُ شَوْقًا وَأَضْنَاهُ
فَدَمَعُهُ يَجْرِي عَلَى خَسَدِهِ وَلَمْ تَسْمُ لِلْوَجْدِ عَيْنَاهُ
قَدْ كَتَبَ الْحُبُّ عَلَى قَلْبِهِ : مَتُ كَمَدًا يَرَحُّكَ اللَّهُ

وكتبت جارية لعيسى بن جعفر بن المنصور، وكانت قيمة له، على كرزنها :
لَيْتَ النَّقَّابَ عَلَى الْقَبَاحِ مُحَرَّمٌ وَعَلَى الْمِلَاحِ خَطِيئَةٌ لَا تُنْفَرُ
وكتبت على وقاية تجمع بها ضفائرها :

جَزَى اللَّهُ الْبَرَاقِيعَ مِنْ ثِيَابٍ عَنِ الْعَيْنَيْنِ شَرًّا مَا يَقِينَا
يُغْطِيَنَّ الْمِلَاحَ فَلَا تَرَاهُمْ وَيَسْتُرُنَّ الْقَبَاحَ فَيَسْتَوِينَا
وكتبت عارم، جارية جناح، على كرزنها، وكانت تتعشق بهض ولد
الحسن بن وهب :

وَإِنِّي لَا خَلُوْ مَذْ فَقَدْ تَكَّ دَائِبًا فَأَنْقَشُ تَمَثَّالًا لَوْجُهِكَ فِي التُّرْبِ
فَأَسْقِيهِ مِنْ دَمْعِي وَأَبْكِي تَضَرُّعًا إِلَيْهِ كَمَا يَبْكِي الْعَبِيدُ إِلَى الرَّبِّ
وكتبت ابنة الرُّصَافِيَّة، وكانت تتعشق ابن الرشيد، على كرزنها :

قَالُوا بِعَلَيْكَ سَبِيلُ الصَّبْرِ، قُلْتُ لَهُمْ : هِيَ هَاتِ أَيْنَ سَبِيلُ الصَّبْرِ قَدْ ضَاقَا؟
مَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ حِينَ يُبْصَرُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ الطَّرْفُ مُشْتَاقَا
قال الفضل بن الربيع : قال أبي : رأيت على عصابة دبسيه جارية
أبي حرب :

مَحَاسِنُ وَجْهِكَ تَمْحُو الذُّنُوبَا وَتَعْمَلُ فِي الْقَلْبِ شَيْئًا عَجِيبَا
فَمِنْهُمْ تَهْجُرُنِي ظَالِمَا تَجَنِّي وَتَحْضِي عَلَى الذُّنُوبَا

وكتبت شمس الطنبورية على عصابتها ، وكانت تغني الرشيد :
 لَا لِصَبْرٍ هَجَرْتُكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ وَلَكِنْ لِشِدَّةِ الْإِشْتِيَاقِ
 رَبِّ سِرٍّ شَارَكْتُ فِيهِ ضَمِيرِي وَطَوَاهُ اللِّسَانُ عِنْدَ التَّلَاقِ
 وَكَانَ عَلَى قَلَنْسُوءَ شِمَائِلَ جَارِيَةِ الْمَاهَانِيَّةِ :

لَيْلِي بِوَجْهِكَ مُشْرِقٌ وَظِلَامُهُ فِي اللَّيْلِ سَارِي
 فَالْنَّاسُ فِي سَدَفِ الظَّلَا مِ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ^(١)

وَكَانَ عَلَى كَرَزَنَ مُشْتَاقٌ ، جَارِيَةِ اسحاق بن علي الهاشمي ، مكتوبا بالذهب سطران :

إِنْ كَانَ قَلْبِي يَهْوِي وَصَلَّ غَيْرِكُمْ إِذَا فَعَاقَبَنِي الرَّحْمَنُ فِي بَصَرِي
 أَوْ لَمْ يَكُنْ بِكُمْ مَا عِشْتُ ذَا كَلْفٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِي يَا سَيِّدِي خَدْرِي^(٢)
 وَكَانَ عَلَى عَصَابَتِهَا مَكْتُوبًا بِالذَّهَبِ :

مَا كُنْتُ إِلَّا حُلُمًا رَأَتْهُ عَيْنِي فِي الْوَسَنِ^(٣)
 يَا سَمِيحَ الْفِعْلِ وَيَا أَحْسَنَ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ

٤٤ — باب ما ورد على الزنابير

والتسكك والمناديل

قال علي بن الجهم : رأيت في منطقة واجد الكوفية زنارا^(٤) منسوبا مكتوب فيه :

لَسْتُ أَذْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَدْرِي بِذَلِكَ مَنْ يَتَقَلَّى^(٥)

(١) السدف : الظلمة . (٢) الحنذر : تشنج يصيب العضو فلا يستطيع الحركة .

(٣) الوسن : النعاس . (٤) الزنار : ما يشد على الوسط . (٥) تقلى على فراشه : تملل .

لو تفرغت لاستطالتي ليلي ولرعى النجوم كنت مخلصاً
ورأيت جارية في بيعة ماري مريم في دار الروميين بمدينة السلام، كأنها
فلقة قمر خارجة من الهيكل ، في وسطها زُناز عليه بيتان :

زُنازها في خصرها يطربُ وريحها من طيبها أطيبُ
ووجهها أحسن من حلبيها ولونها من لونها أعجبُ
وقرأت في زُناز وقاية لبعض القصصيات :

أليس عجيباً أن بيتاً يضمني وإياك لا تخلو ولا تتكلم
ورأيت جارية أبلية لبعض المختنين ، وقد علقت طبلًا في عنقها بزُناز
عليه مكتوب :

أوتاك من بدني كله فتت مني ففصلاً مفصلاً

وعلى تكتها مكتوب :

غابوا فأضحى الجسم من بعدهم لا تبصر العين له فيا^(١)
واخجلتكم منهم ومن قولهم : ما ضرك البعد لنا شيئاً
بأي وجه أتلقاهم إذا رأوني بعدهم حياً

وكان على تسكة هاتف جارية العاجي مكتوباً :

ولي عاذل قد شف قلبي بعذله وواش بنبل الحب يرمي مقاتلي
كفي حزناً ، والحمد لله ، أنني تقطع قلبي بين واش وعاذل
وكتبت خاضع المغنية على زناز كانت تشد به طرتها :

ما أتية المعشوق في نفسه وأبين الذل على العاشق

وأخبرني من قرأ على طرفي تسكة لقينة :

ما أراني حلت التسكة إلا طينات
وإنما خلّي للتسكة إنجاز العذات

وأخبرني آخر أنه قرأ على تسكة لبعض المواجن :

إقطع التسكة حتى تذهب التسكة أصلاً
ثم قل للرذف أهلاً بك يارذف وسهلاً

وكتبت سلم جارية لمم إلى فتي كانت تحبه في منديل دبيق بالذهب :

ها نذا يسقطني للبلى عن فرشي أنفاس عوادي
لو يجد السلك على دقة خلقاً لأضحي بعض حسادي

وكتبت إليه في منديل آخر :

لا تسألني كيف حالي بعد فرقتكم
تري بلى لم يدع مني سوى شمع
ها فانظري وأجلي طرفي تمتحن
لو لم أقل ها أنا للناس لم أين

وقرأت على منديل لبعض الظرفاء ، وقد أدرج فيه كتابا :

وإني لتغشاني لذكرائك فثرة
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
كأنتفض العصفور بالله القطر
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وكتب آخر على منديل :

إن بعض العتاب يدعو إلى العتاب ويؤدي به الحبيب الحبيباً
واذا ما القلوب لم تضمير الحب فلن يعطف العتاب القلوباً

وأخبرني من رأي على منديل مسك لبعض الظراف :

أنا مبعوث إليكم أنس مولاتي لديك

صَسَعَتْنِي بِسَدِّهَا فَاَمْسَحِي بِي شَفَتَيْكَ

وكتب آخر على منديل أهدها :

أَنَا مَنْدِيلُ حُبٍّ لَمْ يَزَلْ نَاشِفًا بِي مِنْ دُمُوعِ مُقَاتِلَتِهِ

ثُمَّ أَهْدَانِي إِلَى مَحْبُوبَةٍ تَمْسَحُ الْقَهْوَةَ بِي مِنْ شَفَتَيْهِ

وقرأت على منديل لبعض الظراف :

إِنْ يَكُنْ حَبْلُكَ مِنْ حَبْلِي وَهِيَ وَإِلَى شَوْقِي إِلَيْكَ الْمُنْتَهَى

لَمْ يَذْكُرْ نِيكَ شَوْقٌ حَدَثَ إِنَّمَا يَذْكُرُ مَنْ كَانَ سَهًا

وكتبت أسماء بنت غضيض، جارية خمدونة ابنة المهدي، على تسكتها

من الوجهين :

جَلَدْتُ عَلَى أَعْظَمِ دِقَاقٍ مَسَكَنْ أَنْفَاسِهِ التَّرَاقِ

تَوَقَّدُ أَحْشَاؤُهُ فَيُطْفِئُ حُرْقَتَهَا هَاطِلُ الْمَآقِ

لَوْلَا تَسْلِيهِ بِالتَّبَكِّي إِذَا جَنَيْنَاهُ بِالنَّحْرَاقِ

يَا رَبِّ عَجِّلْ وَفَاةَ رُوحِي قَبْلَ هُجُومِي عَلَى الْفِرَاقِ

وكتبت على منديلها :

إِلَيْكَ أَشْكُو رَبِّ مَا حَلَّ بِي مِنْ صَدِّ هَذَا الْعَائِبِ الْمَذْنِبِ

صَدِّ بِلَا جُزْمٍ، وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ، لَمْ أَشْرَبِ

وكتب آخر على منديل أهدها :

أَيَا مَنْ لَا أُرْجَى مِنْهُ رِفْقًا وَلَا مِنْ رِقِّهِ مَا عِشْتُ عِتْقًا

لَقَدْ أَنْفَدْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ حَتَّى بَكَيْتُ دَمًا لِفَقْدِكَ لَيْسَ يَرْقَا

وكتبت عنان، جارية النطاف، على منديل وجهت به إلى أبي نواس، وكانت تحبه :

أما يُحْسِنُ مَنْ أَحْسَنَ أَنْ يَغْضَبَ أَنْ يَرْضَى
أما يَرْضَى بِأَنْ صِرْتُ عَلَى الْأَرْضِ لَهُ أَرْضًا

٤٥ — باب ما وهب على السُّور والوسائد

والبسطة والمرافق والمقاعد

قال علي بن الجهم : قرأتُ على سِتْرٍ لبعض أمّهات ولد المأمون :
هَجَرْتُ كَيْ أَجَارِيكُمْ بِفِعْلِكُمْ لَا تَهْجُرْنِي فَإِنِّي لَا أَجَارِيكَ
قَلْبِي مُحِبٌّ لَكُمْ رَاضٍ بِفِعْلِكُمْ إِسْتَرْزَقَ اللَّهُ قَلْبًا لَا يُجَاوِزُكَ
أَصْبَحْتُ عَبْدًا لِأَذْنَى أَهْلِ دَارِكُمْ وَكُنْتُ فِيهَا هَضْبَى مَوْلَى مَوْلَى إِلَيْكَ
وكتب بعض ولد المتوكل على ستره :

يَا أَيُّهَا اللَّائِي فِيهَا لِأَصْرِفَهَا أَكْثَرْتُ لَوْ كَانَ يُغْنِي عَنْكَ إِكْثَارُ
إِرْجِعْ فَلَسْتُ مُطَاعًا إِنْ وَشَيْتَ بِهَا لَا الْقَلْبُ سَالٍ وَلَا فِي حُبِّهَا عَارُ
وكتب موسى الهادي بن المهدي على ستره :

يَا أَيُّهَا الزَّاعِمُ الَّذِي زَعَمَا أَنْ الْهَوَى لَيْسَ يُورِثُ السَّقَمَا
لَوْ أَنَّ مَا بِي بِكَ الْغَدَاةَ لَمَّا لُمْتُ مُحِبًّا إِذَا شَكَا أَلَمَا
وكتب بعض الظرفاء على مخدّة له :

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ مِمَّنْ شَفَّهَهُ السَّقَمُ وَهَدَّهَ قَلَقُ الْأَحْزَانِ وَالْأَلَمِ
جُدْ بِالْوِصَالِ لِمَنْ أَمْسَيْتَ تَمْلِكُهُ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمِ
أخبرني من قرأ على مخدّة لبعض الظرفاء :

لَمْ أَذُقْ يَا سُولَ قَلْبِي لِلْكَرَى مَذْ غَبِتَ طَعْمَا
تَرَكَ الدَّمْعُ عَلَى خَدِّ يَ لَمَّا فَاضَ رُسْمَا

وقرأت على وسادة لبعض الكتاب :

تشكى المحبون الصَّيبَابَةَ لِيَتَنِي تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي
فَكَانَتْ لِرُوحِي لَذَّةُ الْحُبِّ وَحْدَهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي حُبٌّ وَلَا بَعْدِي

وأخبر بعض الكتاب أنه قرأ على بساط لبعض أهل الهوى :

أَحْسَنُ مِنْ قَهْوَةٍ وَعُودٍ تَوْرِيدُ خَدَّيْكَ يَا وَحِيدُ
نَأَيْتَ عَنِّي فَنَذَابَ جِسْمِي وَهَدَّنِي الشُّوقُ وَالصُّدُودُ
وَطَالَ سَقَمِي لِبُعْدِ حَيٍّ وَمَلَّنِي الْأَهْلُ وَالْبُعِيدُ

وكتب بعض الظرفاء على مصلاه :

وَقَفَ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةٌ حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْلَمَنِي اللُّؤْمُ
وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهْنَيْتُ نَفْسِي عَامِدًا مَا مَنْ يَهُونُ عَلَيْكَ مِنْ أَسْرِمٍ
أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أَحِبُّهُمْ إِذْ صَارَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ

وكتب سعيد بن قيس على مصلاه :

سَأَمْنَعُ عَيْنِي أَنْ تَلَمَّذَ بِنَظَرَةٍ وَأَشْغَلَهَا بِالْأَمْعِ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ
وَأَشْكُرُ قَلْبِي فِيكَ حُسْنَ بَلَاءٍ أَلَيْسَ بِهِ أَلْقَاكَ عِنْدَ التَّذَكُّرِ

وكتب بعضهم على بساط :

كُتِمَتْ حُبُّهُمْ صَوْنًا وَتَكْرِمَةً فَمَا دَرَى غَيْرُ إِضْمَارِي بِهِ وَهُمْ
قَوْمٌ بَذَلْتُ لَهُمْ صَفْوَ الْوَدَادِ فَمَا جَازَوْا عَلَيْهِ وَلَا كَافَوْا وَلَا رَحُوا
هُمْ عَلَّمُونِي الْبِكَالَ أَذَقْتُ فَقْدَهُمْ يَالَيْتَنَهُمْ عَلَّمُونِي كَيْفَ ابْتَسِمَ

٤٦ — باب ما روي على المناسخ والحمل^(١)

والأسرة والكل^(٢)

قرأت على كثة معصفرة^(٣) لبعض الكتاب بالذهب :

مِنْ قِصْرِ اللَّيْلِ إِذَا زُرْتَنِي أَبْكِي وَتَبْكِينَ مِنْ الطُّولِ
عَدُوَّ عَيْنَيْكَ وَشَانِيَهُمَا أَصْبَحَ مَشْفُوعًا بِشَفْعُولِ
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الظُّرَفَاءِ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى مَنْصَةِ بَعْضِ الْجَّانِ :
تَقُولُ، وَقَدْ جَرَدْتَهُمَا مِنْ ثِيَابِهِمَا : أَلَسْتُ تَخَافُ الْيَوْمَ أَهْلَكَ وَأَهْلِي ؟
فَقُلْتُ : سِوَانَا خَائِفٌ بِكَانِهِ ، فَهَلْ هُوَ إِلَّا قَتْلُكَ الْيَوْمَ أَوْ قَتْلِي ؟
وَقَرَأْتُ عَلَى كِثَّةٍ حَرِيرِ اسْمَانِجُونِي بِالذَّهَبِ :

سَهَرْتُ وَعَانَقْتُهَا لَيْلَةً عَلَى مِثْلِهَا يَحْسُدُ الْحَاسِدُ
كَأَنَّا جَمِيعًا وَثُوبُ الدُّجَا عَلَيْنَا لُبْصِرْنَا وَاحِدُ

وَقَرَأْتُ عَلَى كِثَّةٍ لِبَعْضِ الظُّرَفَاءِ :

فَبِتْنَا عَلَى رَغَمِ الْحَمُودِ وَبَيْنِنَا حَدِيثُ كَرِيحِ الْمِسْكِ شَيْبَ بِهِ الْخَرُ
حَدِيثُ لَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ يُوحَى بِبَعْضِهِ لِأَصْبَحَ حَيًّا بَعْدَ مَا ضَمَّ الْقَبْرُ
وَقَرَأْتُ عَلَى وَجْهِ أَرِيكَ لِبَعْضِ الْهَاشِمِيِّينَ :

جَعَلْتُ مُحَلَّةَ الْبُلُوحِ فَوَادِي وَسَلَّطْتُ السُّهَادَ عَلَى رُقَادِي
دَعَيْتَنِي لَا أَبُوحَ بِكُلِّ وَجْدِي أَلَيْسَ النَّارُ مِنْ طَرَفِي زِنَادِي
وَبِتَّ خَلِيَّةً وَسَلَّيْتُ نَوْمِي أَمَا اسْتَحْيَا رُقَادُكَ مِنْ سَهَادِي

(١) المناسخ : جمع المنصة : الكرسي ترفع عليها العروس في جلائها ، أو الثياب المرفعة والفرش الموطأة . الحمل : جمع الحجلة : الستر يضرب للعروس .

(٢) الكل : جمع السكلة : الستر الرقيق ، غشاء رقيق يحاط كالبيت يتوقى به من البعوض ، ويعرف بالناموسية .

(٣) معصفر الثوب : صبغه بالعصفر ، وهو صبغ أصفر اللون .

وكتب بعض الظرفاء على حجة له مصفوفة بالذهب :

دعيني أمت والشمل لم يتشعب
ولا تيعدي أديك بالأم والأب
سقى الله ليلاً ضمناً بعد هجعة
وأدنى فؤاداً من فؤاد معذب
فبتنا جميعاً لو تراق زجاجة
من الراح فيما بيننا لم تشرب

وأخبرني بعض الكتّاب أنه قرأ على حجة مكتوباً :

نشرت على غداً من شعرها
حذر الفضيحة والعدو الموبق^(١)
فكانه وكأنني وكأنها
صبحان باتا تحت ليل مطبق
ودخلت على بعض الكتّاب في يوم شديد الحر ، وهو على دكان ساج
مكتوب في وجهه باللازورد :

حر حب وحر هجر وحر
أى شئ يكون من ذا أمر
وعلى الجانب الآخر :

ثلاثة أحباب فب علاقة
وحب تلاق وحب هو القتل^(٢)
وأخبرني بعض من قرأ حول سرير لبعض الظرفاء :

ومجدولة أما مجال وشاحها
فغصن وأما ردفها فسكنيب
لها القمر الساري شقيق وإنها
تطلع أحياناً له فيغيب
أقول لها ، والليل مرخ سدولها
علينا : بك العيش الخسيس يطيب
فقلت : نعم ، إن لم يكن لك غيرنا
ببغداد من أهل القصور حبيب

وكتب بعض الظرفاء على سرير له آبنوس بعاج :

إن طيف الخيال أرق عيني
ما لعيني وما لطيف الخيال

(١) الغدائر : جمع الغديرة ، النوبة ، الضفيرة . الموبق : المهلك .

(٢) التلاق : التودد والتذلل والابداء باللسان من الاكرام والود ما ليس في القاب .

تَجَمَّعَ اللَّهُ بَيْنَ كُلِّ مُحِبٍّ قَدْ جَفَّاهُ الْحَبِيبُ بِعَسَدِ الْوِصَالِ
وَكُتِبَ عَلَى مَنْصَتِهِ بِالذَّهَبِ :

يَسَامُ الْمُسْعِدُونَ وَمَنْ يَلُومُ وَتَوْقِظُنِي وَتَوْقِظُهَا الْهُمُومُ
صَبِيحٌ بِالنَّهَارِ لِمَنْ يَرَانِي وَلَيْسَ لِي لَا أَنَامُ وَلَا أُنِيمُ

٤٧ — باب ما يكتب على المصاحف والأبواب

ووجوه المستنظرات وصدور القباب

قال علي بن الجهم : رأيت في صدر قبة مكتوبا بألوان فصوص منضدة^(١) :

لَا تُطْمَحِ النَّفْسُ فِي السُّلُوكِ إِذَا أَحْبَبْتَ حَتَّى تُذَيِّبَهَا كَمَدًا

مَنْ لَمْ يَذُقْ لَوْعَةَ الصُّدُودِ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى الذُّلِّ وَالشَّقَا أَبَدًا^(٢)

فَذَلِكَ مُسْتَطَرَفُ الْفَوَادِ يَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ أَحْبَابَهُ جَدَدًا

وأخبرني أبو جعفر القاري قال : أخبرني بعض شيوخنا أنه قرأ في

صدر مجلس لأمير المؤمنين المأمون :

حِيلَ مَنْ هَوَيْتَ وَدَعَّ مَقَالَةَ حَاكِدٍ لَيْسَ الْحَسُودُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدٍ

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنْ عَاشِقَيْنِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ

مُتَعَانِقَيْنِ عَلَيْهِمَا أَزَرَ الْهَوَى مَتَوَسِّدَيْنِ بِمُخَصَّمٍ وَبَسَاعِدٍ

يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى أَهْلَ الْهَوَى هَلْ تَسْتَطِيعُ صِلَاحَ قَلْبٍ فَاسِدٍ

وقرأت علي وجه مستنظر لبعض الكتاب :

هَبَّتْ شِمَالٌ فَقُلْتُ مِنْ بِلَادٍ أَنْتَ بِهِ طَابَ ذَلِكَ الْبِلَادُ

وَقَبَّلَ الرِّيحَ مِنْ صَبَابَتِهِ هَلْ قَبَّلَ الرِّيحَ قَبْلَهُ أَحَدُ

(١) منضدة : ضم بعضها الى بعض (٢) اللوعة : حرقه الحزن والهوى والوجد .

وأخبرني أحمد بن الحسين بن المنجّم المقرئ أنه قرأ على مستنظر لبعض الكتاب :

لى إلى الريح حاجة لو قَضَتْهَا كنت للريح ما حَيَّيتُ غُلامًا
حَجَبوها عن الرِّيحِ لَأَنِّي قلتُ يا رِيحُ بَلِّغِيهَا السَّلامَا
لو رَضُوا بِالْحِجَابِ هَانِ وَلَكِنْ مَنَعُواهَا يَوْمَ الرِّيحِ السَّكَامَا
أخبرني عبد الحميد اللطفي أنه قرأ على باب مجلس بملطية :

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ نَزِيعَ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ^(١)
تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَلْتَ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ

وفي صدر المجلس أيضا مكتوب :

إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ غَرِيبًا فَارْجُهَا وَلَا تَكْتَرِثْ فِيهَا نَزُوعًا إِلَى الْوَطَنِ
فَمَا هِيَ إِلَّا بَلَدَةٌ مِثْلُ بَلَدَةٍ وَخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الزَّمَنِ

وقرأت على باب دار خدشًا في الجصِّ يعود :

هَلَّا رَحِمْتُمْ مَوْقِفِي بِفِينَاكُمْ متعريضًا للنسيمِ كُمْ أَتَشَقُّ
مِثْلُ الدَّاءِ أَبْكَى لِمَا قَدْ حَلَّ بِي مِثْلَ الْغَرِيقِ بِمَا يَرَى يَتَعَلَّقُ^(٢)

وأخبرني صديق لي أنه قرأ على باب دار بالحجاز :

يَا دَارُ إِنَّ غَزَالَ فَيْكِ عَذَّبَنِي اللَّهُ دَرْكُ مَا تَحْوِينَ يَا دَارُ
الدَّارُ تَمَلِّكُنِي وَيُحْيِي وَصَاحِبُهَا قَلْبِي مَلِيكَانِ رَبُّ الدَّارِ وَالدَّارُ
يَا دَارُ لَوْلَا غَزَالُ فَيْكِ تَمَلِّقُنِي مَا كَانَ لِي فَيْكِ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

(١) خفض العيش : سهل وكان هنيئًا. الدعة : الراحة وخفض العيش. نزوع إلى أهله : اشتاق

(٢) التلدد : التحير ، التلفت يمينا وشمالا .

وأخبرني من قرأ على باب دار باصطناع منقوشاً بحجر :

أرى الدَّارَ من بعد الحبيب ولا أرى حبيبي مع الباقيين في عَرَصَةِ الدَّارِ^(١)
فيا عجبا إذ فارقَ الجارَ جاره أليس شديداً فرقةُ الجارِ للجارِ

٤٨ — باب مهمالهم في نظرات والظراف

مكتوبا على النعال والخفاف

قال الماوردي: كتبت جارية للمارقى على نعلها بالذهب :

لم ألقَ ذا شجنٍ ينوحُ بحبه إلا حَسِبْتُكَ ذاكَ المَحْبُوبَا
حَذَرًا عَلَيْكَ وَإِنِّي بِكَ وَاثِقٌ أَنْ لَا يَنَالَ سِوَايَ مِنْكَ نَصِيبَا

وكان على نعل جارية سعيد الفارسي :

لَا تَأْنَفَنَّ مِنَ الْخُضْوِ عَ لِمَنْ تَحِبُّ وَدَارِهِ
إِخْضَعْ لَهُ فَلَطَالَمَا مُلِّكَتْ حَلَّ إِزَارِهِ

وكتبت ملك جارية ابن عاصم على خف لها رهاوي بذهب :

وَإِنِّي لِإِشْفَاقِي عَلَيْكَ وَصَبْوَتِي إِلَيْكَ كَأَنِّي فِي الْمَنَامِ أَرَاكَ
تُحَدِّثُنِي نَفْسِي إِذَا غِثَتْ سَاعَةٌ بِأَنَّ لِقَاءَ الْمَوْتِ دُونَ لِقَاءِ

وكتبت مقيم المغنية على نعلها :

أَقْسَمْتُ مُقْلَسَتُهُ لَا تَنْشَنِي عَنْ فَوَادِي أَوْ تَرَاهُ قِطْعَا
فَلَقَدْ بَرَّتْ فَيْلٌ مِنْ مَطْمَعٍ أَنْ تَرَى مَا قَطَّعَتْ جُجْمَعَا ؟

وأهدى سعيد بن حميد نعلا إلى صديق له وكتب عليها :

نَعْلٌ بَعِثْتُ بِهَا لِتَلْبِسَهَا قَدَمُهَا تَسْعَى إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَصْلُحُ أَنْ أُشْرِكَهَا خَدِّي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدِّي^(٢)

(١) العرصة : ساحة الدار . (٢) شرك النعل : جعل لها شركاكا، والشراك : سير النعل .

وكتبت جارية علي بن عيسى بن يزيد، كاتب اسحاق بن ابراهيم، على خنفسها :
تُؤْلِمُهُ الْأَلْحَاطُ لَمَّا بَدَا مُتَجَبِّبًا عَنْ كَلَفَاتِ الْعِبَادِ
مَنْزِلُهُ نَائِي وَلَكِنَّهُ يَسْكُنُ مِنِّي فِي سَوَادِ الْفُؤَادِ
وأهدى بعض السكتاب نعلا وكتب على شراكها :

لي فؤاد شَفَّهَ الْحُزْنَ ن وَأَضْنَاهُ الصَّدُودُ
وهو أي كل يوم هو يَنْمِي وَيَزِيدُ

وكتبت بعض الظرفاء على خنفس له محالسي بالذهب :

لولا شقاوة جدِّي ما عرفتكم إن الشَّقِيَّ الَّذِي يَشْقَى بِمَنْ عَرَفَا^(١)
طاف الهوى بعبد الله كلهم حتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَفَا

وأخبرني من رأى نعلا من فضة أهديت لبعض الظرفاء عليها مكتوب :

بِأَبِي أَنْتَ سَيِّدِي وَمَنْأَى جَعَلَ اللَّهُ وَالِدِي فِدَاكَ
لك خدِّي من الثَّرَى لَكَ نَعْلًا قَدْ لِلنَّعْلِ مِنْ فُؤَادِي شِرَاكَ^(٢)

وقرأت على نعل سندي مدهون :

جعلتُ خدِّي له أرضًا فقلتُ : طًا من فوقها وأرضي
فقال : لا ، قلتُ : بلي سيدي صبرًا على الحبِّ وإن مَضَا^(٣)

٤٩ — باب ما يكتب بالحناء في الرطاف والراح^(٤)

وعلى الأقدام والراح^(٥)

كتبت ذويت جارية حمدونة على وطأتها اليمنى :

إِغْلِبِي يَا أَحَبُّ مِنِّي إِلَيَّا أَنْ شَوْقِي إِلَيْكَ يَقْضِي عَلَيَّا

(١) الجذ: الحظ. (٢) قدالشيء : قطعه طولاً. (٣) مض : ألم أو جمع. (٤) الوطأة : موضع القدم . الوشاح : شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .
(٥) الراحة : باطن اليد .

وعلى اليسرى :

إِنْ قَضَى اللَّهُ لِي رَجوعًا إِلَيْكُمْ لَمْ أَعُدْ لِلْفِرَاقِ مَا دُمْتُ حَيًّا
وكتبت لَبَنَ جَارِيَةِ عَبَّاسِ النَّدِيمِ عَلَى رَاحَتِهَا بُسْكٌ^(١) وَعَنْبَرٌ فِي الْيَمَنِ^(٢)
قَالُوا : تَمَنَّ وَقُلْ : فَقُلْتُ لَهُمْ : يَا لَيْتَهَا حَظُّى مِنَ الدُّنْيَا

وعلى اليسرى :

لَا أَبْتَغِي سُقْيَا السَّحَابِ لَهَا فِي عِبْرَتِي خَلْفٌ مِنَ السُّقْيَا^(٣)
وكتبت جَارِيَةَ السَّعْدِيَّةِ عَلَى رَاحَتِهَا الْيَمَنِ بِالْحُناء :
رَفَعْتُ لِلوَدَاعِ كَفًّا خَضِيبًا فَتَقَبَّلَتْهَا بِدَمْعٍ خَضِيبٍ

وعلى اليسرى :

وَأَشَارْتُ إِلَى غَمَزَا بِحَقِّ نَعْتِهِ مِثْلُ فِعْلهِ فِي الْقُلُوبِ
وكتبت جَارِيَةَ ابْنِ السَّاحِرِ عَلَى وَطْأَتِهَا الْيَمَنِ :
وَمَا أَنَا عَنْ قَلْبِي بِرَاضٍ لِأَنَّهُ أَشَاطَ دَمِي مِمَّا أَتَى مُتَطَوِّعًا^(٤)

وعلى اليسرى :

تَمَنَّى رِجَالٌ مَا أَحْبَبُوا وَإِنَّمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ أَشْكُو إِلَيْهَا وَتَسْمَعَا
قال الماوردي : رَأَيْتُ عَلَى رَاحَةِ قَائِدٍ ، جَارِيَةَ لِبَعْضِ جَوَارِي الْمَأْمُونِ ،
الْيَمَنِ بِالْحُناء :

فَدَيْتُكَ قَدْ جُبِلَتْ عَلَى هَوَاكَ فَقَلْبِي مَا يَنْكَازُ عَنِّي سِوَاكَ^(٥)

وعلى اليسرى :

أَحْبَبُكَ لَا بِبَعْضِي بَلْ بِكُلِّي وَإِنْ لَمْ يَبْقَ حُبُّكَ مِنْ جَرَاكَ

(١) البسك : ضرب من الطيب (٢) الخلف : البدل والعوض (٣) أشاطه : أحرقه
(٤) جبل : خلق وفطر

وقرأت في كفيَّ جاريةً بالنقش :

إذا قيل: ما تشكو؟ أشار إلى الحشا
فيا ليت قلبي صار صخرًا كقلبيه
فأول ما تشكو وآخره الهجر
ولم يُبدله الشوق المبرح والفكر^(١)
وأخبرني من رأى جارية لبعض آل طاهر قد كتبت في وشاحها وقد ميمها:
عزموا المقامة أم تُراهم أزمعوا
يا طول وجدى إن هم لم يربحوا^(٢)
ومراعاةً لليسين تحسب أننا
شمس على غصن يغيب ويطلع^(٣)
كتبت إلى على شقائق خدها
سطرًا من العبرات: ماذا تصنع؟
فأجبتها بلسانٍ صدقٍ ناطقٍ:
ما في الحياة من التفرقِ مطمعٍ
وكتبت الماهانية على كفِّ جاريته شمرايحَ بالحناء :

أبي الحب إلا أن أكون معذبًا
ونيرانه في الصدر إلا تلهبًا
فواكبدا حتى متى أنا واقفٌ
بباب الهوى ألقى الهوان وأنصبا

٥٠ — باب ما يكتب على الجبين والخر

ويطرف^(٤) به ذوو الصباية والوجد

قرأت على جبين جارية لخناس بالغالية^(٥) وقد أخرجها للعرض :
وشادن أحسن خلق الله في كفه سيف رسول الله^(٦)
قد كتب الحسن على وجهها
سطين بالعنبر باسم الله
على يدي رضوان منسوجة
صنعة حسن في طراز الله

(١) المبرح: المتعب، المتوهج (٢) ربع بالمكان: أقام. (٣) المراعاة: من خامرها
الخوف. البين: الفرقة (٤) أطرفه بكذا: أتخفه به. (٥) الغالية: أخلاط من الطيب
(٦) الشادن: ولد الطيب، والمزاد: جارية ترعرت.

أنا غريقٌ في بحار الهوى شبه قتيلٍ في سبيل الله
وأخبرتني من رأى على جبين جارية نحاس مكتوبا في سطرين :
إذا حُجِبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ فَقَدْهَا وتسكفيك فقد البدر إن حُجِبَ الْبَدْرُ
وحسبك من خمرٍ تفوتك ريقها والله مامن ريقها حسبك الخمرُ
وقال علي بن الجهم : رأيت على خد جارية لفاطمة بنت محمد بن عمران
المكاتب مكتوبا بالمسك :

رضيتُ على رَغْمِي بِحُبِّكَ فَأَعْدِلِي ولا تُسْرِفِي إِذْ صَارَ فِي يَدِكَ الْحُكْمُ
مَتَى يَظْفَرُ الْمَظْلُومُ مِنْكَ بِحَقِّهِ إذا كُنْتَ قَاضِيَهُ وَأَنْتِ لَهُ خَصْمُ

قال المازني : كان علي جبين جارية شريط مكتوب بالغالية :
صِرْمَتِي ثُمَّ لَا كَلِّمْتَنِي أَبَدًا إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي حَالٍ مِنَ الْحَالِ^(١)
وَلَا هَمَمْتُ وَلَا نَفْسِي تَحَدَّثُنِي قَبْلِي بِذَاكَ وَلَا يَجْرِي عَلَيَّ بَالٌ

وقال الجاحظ : كتبت مؤلف جارية الصخرى على جبينها :
ومحسودة بالحسن كالبدور وجهها وألحاظ عينيها تجور وتظلم
ملككت عليها طاعة الشوق والهوى وعلمتها ما لم تحسب منه تعلم

قال : وقرأت على جبين قينة بالعسكر مكتوبا بغالية وعنبر :
يَا قَسْرًا لَاحَ فِي الظَّلَامِ عليك من مُقَلَّتِي السَّلَامُ

وكتبت ظلوم على جبينها بالمسك :
العين تفقد من تهوى وتُبْصِرُهُ وناظر القلب لا يخلو من النظر
وظلوم هذه كان يحبها العباس بن الأحنف ، وفيها يقول :

إِنِّ بِالكَرْخِ مَنْزِلًا لَغَزَالٍ بَيْنَ قَصْرِ الْأَمِيرِ وَالْخَيْرِ رَانَ
وَالْهَوَى قَائِدِي إِلَيْهِ وَشَوْقِي لَيْسَ بِالشَّوْقِ وَالْهَوَى لِي يَدَانِ
لَسْتُ أَنْسَاكَ يَا ظَلُومٌ وَعَهْدِ السُّلْطَانِ حَتَّى أَلْفَ فِي أَكْفَانِي
فِيَسْقِي بِي فَأَنْتِ أَعْرِفُ مِنِّي بِحِفْظِي فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٥١ - باب ما يفتلج به التفاح والبرج والمستهويات

وَيُعَدِّلُ بِهِ تَنْضِيدَ الْوَرْدِ وَالْيَاسْمِينِ وَالْخَيْرِيَّاتِ

أَخْبَرَنِي بَعْضُ شَيْوِخِنَا مِنَ الْكِتَابِ بِالْعَسْكَرِ قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى طَبَقَيْنِ
أَهْدَاهُمَا بَعْضُ الْفُرْسِ إِلَى بَعْضِ الْكِتَابِ ، قَدْ نَضِدُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ السُّوسَنِ
وَالْيَاسْمِينِ وَالشَّقَائِقِ وَالرِّيَاحِينَ ، عَلَى أَحَدِهِمَا مَكْتُوبٌ :

شَادَنُ رَاحٍ نَحْوَسَرَّحَةِ مَاءٍ مُسْرِعًا وَجَنَّتَاهُ كَالْتَفَّاحِ
وَرَدَّ الْمَاءَ ثُمَّ رَاحَ وَقَدْ أَضَادَرَهُ الْمَاءُ فِي غِلَالَةِ رَاحٍ

وعلى الآخر :

رَقٌّ حَتَّى حَسِبْتُهُ وَرَقَ الْوَرْدِ دِنْدِيًّا يَزِفُ بَيْنَ الرِّيَاضِ
وَرَدَّ الْمَاءَ ثُمَّ رَاحَ وَقَدْ أَلْسَبَهُ الْمَاءُ خُمْرَةً فِي بَيَاضِ

قال : ورأيتُ بين يدي بَعْضَ الْكِتَابِ طَبَقَ وَرْدٍ أَحْمَرَ مَكْتُوبٍ

فيه بالأبيض :

لَمْ يَضْحَكِ الْوَرْدُ إِلَّا حِينَ يُعْجِبُهُ زَهْرُ الرَّبِيعِ وَصَوْتُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
بَدَا فَأَبْدَتْ لَنَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَرَاحَتِ الرَّاحُ فِي أَثْوَابِهَا الْجَدِّ

وأخبرني من رأى طبق ريحان مكتوب في دَوْرِهِ بِياسمين ونِسْرين: ^(١)
 فإريجُ ريحانٍ بِمسكٍ وعنبرٍ بنسكٍ وكافورٍ بدُهْنَةٍ بآنٍ ^(٢)
 بأطيبَ رِيًّا من حبيبي لو أنني وجدتُ حبيبي خاليًّا بمكانٍ ^(٣)
 وقرأت في تفليج أترجة أهديت لبعض الظرفاء :

هي في العالم كالشمس أضاءت في البلاد
 وهي في كلِّ كمالٍ قد علت فوق العباد
 أخبرني من قرأ في تفليج تفاحة :

أنا إلى العاشق منسوبة أهدى المحبوب ومحبوبة
 وعلى تفاحة أخرى مفلجة :

خطت يميني فوق تفاحة : أقلقني هجرُك يا قاتلي

وحضرت هدية لبعض مظهرات القيان إلى بعض ظرفاء الكتاب، وفيها
 تفاحة ، في تفليجها مكتوب :

ليس تفاحة بأطيب طيباً من حبيب معانق الحبيب
 وأترجة في تفليجها مكتوب :

أهدى هلال لـكلِّ يومٍ إذا بدا الشجر بأشمام

وطبق خيريات ^(٤) مكتوب في تعديله :

يا طيب رائحة فاحت لبستان من بين وردٍ ونسرين وريحان
 وياسمين ذكي زادني طرباً حتى تسكشفت عني كلُّ أحزان

(١) النسرين : ورد أبيض عطري الرائحة .

(٢) الند : عود يتبخر به . الدهنة : اليسير من الدهن . (٣) الريا : الريح الطيب

(٤) الخيرات : جمع الخيري ، المنشور الأصفر ، وهونبات ذو زهر زكي الرائحة

٥٢ — باب ما يكتب على القناني والكؤانات

والوقود والورطال والجوامات^(١)

قرأتُ على كأس لبعض الظرفاء :

إذا فكرتُ خاطبني مشالُ وإن أغفيتُ نهبني خيالُ
ولى حالُ إذا ما الكأس طابتُ لِشارِبها وللندمانِ حالُ^(٢)

وقرأتُ على كأس لبعض الكتاب :

إشربْ على ذِكْرهم إذ حيلَ دونهم عَيْنالك مِنْهم على بالٍ إذا شربوا
تَدْعو المُنَى قُرْبهم والدارُ نازحةً حتَّى يُنَاجِيهم قَلْبٌ وما قُربوا
وعلى كأس :

إذا لم يَمْزَجِ النَّدْمَانُ كَأْسِي جعلتُ مَزَاجها ماءَ الجُفُونِ
وإنْ صَحَّحُوا بَكَيْتُ، وإنْ تَغَنَّوْا أَجَبْتُهُمْ بِاللَّوْنِ الحَنِينِ
وكتب عبيد الماजन على كأسه :

إشربْ هنيئاً لا تخفْ طائفاً قَدْ آمَنَ الطَّوْافُ أَهْلَ الطَّرْبِ^(٣)

وكتب بعض الكتاب على قدح له :

وما لبسَ العُشْبَاقُ ثوباً من الهوى ولا أخلَقُوا إِلَّا بَقِيَّةَ ما أُبْلِيَ^(٤)
ولا شربوا كأساً من الحبِّ حُلوةً ولا مرَّةً إِلَّا وشربهم فَضْلِي^(٥)

(١) الجوامات : جمع الجام : الكأس

(٢) الندمان : المنادم على الشرب ، والرفيق والصاحب .

(٣) الطائف : العسس . الطواف : كثير الطواف .

(٤) أخلق الشيء : صيره باليا

(٥) الفضل : البقية

وبعثت نشوان السكر اعة إلى علي بن عيسى بن عبد الله الهاشمي برطل

عليه مكتوب :

يا باعِثَ الشُّكْرِ مِنْ طَرَفٍ يُقَلِّبُهُ هَارُوتُ ، لَا تُسْقِنِي خَمْرًا بِكَأْسَيْنِ
ويا مُحَرِّكُ عَيْنَيْهِ لِيَقْتُلَنِي إِنْني أَخَافُ عَلَيْكَ الْعَيْنَ مِنْ عَيْنِي

وأخبرني من قرأ على قنينة^(١) بين يدي أبو دلف العجلي :

وقَهْوَةٌ كَوَكْبِهَا يَزْهَرُ يَفُوحُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالْعَمْبَرُ^(٢)

يُسْقِيكَهَا مِنْ كَفِّهِ أَخُورُ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تَعْصُرُ

وكتب آخر على طاس :

لَا تَحْسِبِي أَنَّ طَوْلَ الدَّهْرِ غَيَّرَنِي بَلْ زَادَنِي كَلَفًا يَا أَمْلَحَ النَّاسِ

لَمْ يَجْرِ ذِكْرُكَ فِي لَهْوٍ وَلَا طَرْبٍ إِلَّا مَزَجْتَ بدمعي عنده كاسي

كَمْ عَاذِلٍ قَدْ لَحَانِي فِيكَ قُلْتَ لَهُ : شَلَّتْ يَمِينُكَ هَلْ بِالْحُبِّ مِنْ بَاسٍ^(٣)

وأخبرني يحيى بن محمد المساسي أنه قرأ على كأس لقينة :

إِشْرَابِ الْكَأْسِ عَلَى صَرَفِ الزَّمَنِ قَلَمًا دَامَ سُرُورٌ أَوْ حَزَنٌ

إِنَّمَا كَانَ لِمِثْلِي سَكَنٌ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ طَرًّا فَظَهَنُ^(٤)

وقرأت على قدح :

إِشْرَابُ وَسَقِّ حَبِيبِكَ الرَّاحَا وَبُحْ مِنْ الْوَجْدِ بِالذِي بَا حَا

(١) القنينة : إناء من زجاج يجعل فيه الشراب .

(٢) القهوة : الخمر .

(٣) لحاه : شتمه وسبه وعابه . شلت يده : يلبست .

(٤) طرًّا : جميعا . ظعن : سار ورحل .

وعلى آخر :

إِشْرَبْ وَسَقِّ الْحَبِيبَ يَا سَاقِي وَسَقِّنِي فَضْلَ كَأْسِهِ الْبَاقِي
وَسَقِّنِي فَضْلَ مَا تَخْلَفَ فِي الْكَأْسِ بِعَمْدٍ بَغَيْرِ إِشْفَاقِ

وعلى آخر :

فَدَيْتُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى طَرَبٍ يُدِيرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْكَأْسَا
أَلْتُمْنِي خَدَّهُ وَقَالَ أَلَا دُونَكَ مَا قَدْ مَنَعَتْهُ النَّاسَا

وكتبت بنت المهدي^(١) على قدح بالذهب :

إِشْرَبْ عَلَى وَجْهِ الْغَزَا لِالْأَغْيَدِ الْحَسَنِ الدَّلَالِ
إِشْرَبْ عَلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : يَا غُلَّ الْأَبَابِ الرُّجَالِ

وكتبت بعض الظرفاء على قنينة :

فَقُلْتُ لَهَا ، وَقَدْ أَبْدَيْتُ سُكْرِي : أَلَا رَدِّي فَوَادَ الْمُسْتَهَامِ
فَقَالَتْ : مَنْ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا . فَقَالَتْ : مَتَى أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ فِي الزَّحَامِ

وقرأت على قنينة مدهونة مكتوب عليها بالذهب :

أَحْسَنَ مِنْ مَوْقِفٍ عَلَى طَلَلٍ كَأْسُ عُقَارٍ تَجْرِي عَلَى ثَمَلٍ^(٢)
يُدِيرُهَا أَهْيَفٌ بِهِ حَوَرٌ^(٣) مَعْتَدِلُ الْخَلْقِ رَاجِحُ الْكَفَلِ^(٤)
إِذَا تَمَشَّى بِهَا مَصْفَقَةٌ رَأَيْتَ فِيهَا تَلَهَّبَ الشُّعْلِ

(١) عليّة بنت المهدي

(٢) الطلل : الشاخص من الآتار . العقار : الخمر

(٣) الأهيف : ضامر البطن رقيق النضر . الكفل : العجز أو الردف

وعلى جام :

إشربْ هَنِيئًا فِي أَتَمِّ النَّعِيمِ طَابَ لَكَ الْعَيْشُ بِطَيْبِ النَّدِيمِ

وعلى آخر :

وَكُوْوسِ كَأَنَّكَ نَجْمٌ طَالِعَاتُ بُرُوجِهَا أَيْدِينَا
طَالِعَاتٍ مَعَ السُّقَاةِ عَلَيْنَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا —

٥٣ — بَابُ مَا يَكْتُبُ عَلَى أُرَانِي الْفَضَّةِ وَالزَّهَبِ

ومرثونه الصفي المذهب

قال العباس بن الفضل بن الربيع : حدثني أبي قال : رأيت على صينية
بين يدي المأمون مكتوباً فيها :

لَا شَيْءَ أَمْلَحُ مِنْ أَيَّامِ مَجْلِسِنَا إِذْ نَجْعَلُ الرُّسُلَ فِيمَا بَيْنَنَا الْخُدَقَا
وَإِذْ جَوَانِحُنَا تُبْدِي سَرَائِرَنَا وَشَكُنَا فِي الْهَوَى تَلْقَاهُ مَتَفِقَا
لَيْتَ الْوَشَاةَ بَنَّا وَالْعَاشِقِينَ لَنَا فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَاتُوا كُلُّهُمْ غَرَقَا
أَوَلَيْتَ مَنْ ذَمَّنَا أَوْ عَابَ مَجْلِسَنَا شَبَّتْ عَلَيْهِ ضِرَامُ النَّارِ فَاحْتَرَقَا
وأخبرني بعض الكتّاب أنه قرأ على صينية ، بين يدي الحسن بن وهب ،
مفصلة^(١) بالفصوص بألوان شتى :

مَنْ كَانَ لَا يَزِيحُنِي عَاشِقًا أَحْضَرْتَهُ أَوْضَحَ بُرْهَانِ
إِنِّي عَلَى رِطْلَيْنِ أَسْقَاهُمَا أَرْوَحُ فِي أَثْوَابِ سَكْرَانِ
وَكُنْتُ لَا أَسْكُرُ مِنْ تِسْعَةٍ يَتَّبِعُهَا رِطْلٌ وَرِطْلَانِ

(١) فصل العقد : جعل بين كل خرزتين خرزة أو جوهرة مخالفة لهما

فصار لي من غمرات الهوى والشكر مسكر أن عجيبان

والشعر للحسن بن وهب

وكتب بعض الظرفاء على صينية له صيني :

حُثَّ الندامى بها جل النخب وحُثَّ كأس الندمان يا باني^(١)
إن لم تدبرها والكأس مترعة حتى تُميت الهموم لم تطب

وكتب آخر على صينية له :

قد قلت لما صبا بي اللعيب وباكرتني الشمول والطرب

وكتب آخر على قضيب مدهون :

أصبحت يشبهني القضيب وأنت تشبهك القضيب
غضنان إلا أن ذا بال وذا غصن رطيب

وقرأت في مذبة^(٢) لبعض الكتاب :

تعلمت أنواع الرضى خوف سخطه وعلمه حبي له كيف يغضب
ولى ألف وجه قد عرفت طريقه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

وعلى آخر :

دل البكاء على عيني فأرقها ظي يطيل البكا من ظله فرقا^(٣)
لومس غصنا من الأغصان منجردا لأخضر في كفه وأستشعر الورقا

وأخبرني أبو جعفر القارى ، قال : أخبرني من قرأ على مروحة

بيتين للقطامي :

(١) الندامى : جمع الندمان . النخب : الشربة من الخمر وغيرها يشربها الرجل لصحة

حبيه أو عشيره (٢) المذبة : ما يدفع به كالمروحة (٣) الفرق : الفزع

قد يَدْرُكُ الْمُتَأَنِّيَ بَعْضَ حَاجَتِهِ وقد يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ
وَرُبَّمَا فَاتَ بَعْضَ الْقَوْمِ أَمْرُهُمْ مَعَ السَّائِيِّ وَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجَلُوا

قال : فحضرني بيتان ، فكتبت على الجانب الآخر :

لا ذَا وَلَا ذَاكَ فِي الْإِفْرَاطِ أَحَدُهُ وَأَحْمَدُ الْأَمْرِ مَا فِي الْفِعْلِ يَعْتَدِلُ
إِفْرَاطُ ذَا فِي التَّأَنِّيِّ فَوَتْ حَاجَتُهُ وَلَيْسَ يَعْذَمُ عَثْرًا دُونَهَا الْعَجَلُ
وَقَرَأْتُ عَلَى مِرْوَاحَةٍ لِبَعْضِ الظُّرَفَاءِ :

مُحْتَمِلٌ حَسْبِكَ لِي سَاعَةٌ ذَاكَ إِذَا أَجْهَدَكَ الْحَرْ
غَيْرِكَ مِنْنِي طَالِبٌ مِثْلَ مَا تَطْلُبُهُ يَا أَيُّهَا الْحَرْ
وَكُتِبَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ عَلَى مِرْوَاحَةٍ :

إِنَّ رُوحَ الْحَيَاةِ فِي حَرَكَاتِ الْمَرَاوِحِ
كَمْ بَنَاتٍ لَطِيفَةٍ مِنْ ظُبَايَ سَوَانِحِ^(١)
حَرَكَتِهَا فَتَنَفَسَتْ عَنْ خُدُودِ رَوَاشِحِ

وَقَرَأْتُ عَلَى قَوْسٍ جَلَاهِقٍ مَكْتُوبًا بِالذَّهَبِ :

بَيْنَمَا الطَّيْرُ فِي الْهَوَى يَتَسَكَّفِي إِذْ سَقَيْنَاهُ جُرْعَةً الْمَوْتِ صِرْفًا
وَنَزَعْنَا مِنَ الْقَرِينِ قَرِينًا وَجَعَلْنَا هُنَاكَ بِالْإِلْفِ الْفَمَا
وَكُتِبَتْ عَلَى قَوْسٍ أَهْدِيَتْهَا بَعْضُ إِخْوَانِي :

لَمَّا رَأَيْتُ الطَّيْرَ عَالِي الْمُرْتَقَى هَيَّأْتُ قَوْسًا يَا لَهَا وَبُنْدُقًا^(٢)
ثُمَّ غَدَوْنَا إِذْ غَدَوْنَا حَلَقًا فَلَمْ يَحْمِمْ حَتَّى هَوَى مُمَزَّقًا

(١) السوانح : جمع السانح : الذي يأتي من جهة اليمين

(٢) البندق : كل ما يرمى به

٥٤ — باب ما يكتب على الميراث والفضاء والسرديات

والطبول والمعازف والدفوف والنايات

كتبت قصعة المغنية على عودها :

ما طافَ حبُّ لائسان يَلدُّ به حتى يكون به في الناس مُشْتهراً
فاخلعَ عذاركَ فيما تَسْتَلِدُ به واجسُرْ فَإِنَّ أَخَالَذَاتَ مَنْ جَسَرَ
وكتبت مخارق على عوده :

كم ليلة نادمني ذِكرُهُ يُسعدني المثلث والزير^(١)
حتى إذا الليلُ جَلَا نفسه على الدجى إبتسمَ النورُ
أصبحتُ مستورا الجيرانه والوصلُ بالهجران مستور

وكتبت بعض المغنين على عوده :

سَقَوْنِي وَقَالُوا : لَا تُغْنِ ، وَلَوْ سَقَوَا جِبَالُ حُنَيْنٍ مَا سَقَوْنِي لَغَنَّتِ
تَجَنَّتْ عَلَى الْخَوْدِ ذَنْبًا عَلِمَتْهُ فَمَا وَيَلَتِي مِنْهَا وَمِمَّا تَجَنَّتِ

وأهدى بعض الكتاب إلى قينة ، كان يهواها ، عودًا وكتبت عليه :

من ذا يبلُغُ نَحْلَةً عَنْ عَبْدِهَا أَنِّي إِلَيْكَ وَإِنْ بَعُدْتَ قَرِيبُ
تَسْتَظْقِنَ بِحُسْنِ صَوْتِكَ أَعْجَمًا يَدْعُو بِذَلِكَ صَوَابَهُ فَيَجِيبُ
فَالْعُودُ يَشْهَدُ وَالْغِنَاءُ بِأَنَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ فِي الْأَنَامِ مُصِيبُ

وقال على بن الجهم : قرأت على مضراب لقينة :

أَحِبُّكَ حُبًّا لَسْتُ أَبْلُغُ وَصْفَهُ

وَلَا عُسْرَ مَا أَصْبَحْتُ أَضْمُرُ فِي صَدْرِي^(٢)

(١) المثلث : ثالث أوتار العود . والزير : أحد أوتاره ، أى أرفعها صوتا ، وهو رابع الأوتار
(٢) العسر : الشدة والضيق

وَأَسْكَنْتُمْ مَا أَلْقَاهُ مِنْكُمْ تَشْجَعًا لَعَلَّ إِلَهَ الْخَلْقِ يَذُنِيكَ مِنْ تَحْرِي

وعلى مضراب آخر :

يَا ذَا الَّذِي أَنْكَرَنِي طَرْفُهُ إِذَا ذَابَ جِسْمِي وَعَلَانِي شُحُوبُ
مَا مَسَّنِي ضَرْبٌ وَلَكِنِّي جَفَوْتُ نَفْسِي إِذْ جَفَانِي الطَّبِيبُ

وعلى آخر :

نَضُّوْهُمُومٍ بُكَاءَ وَحُقِّ لَهُ دَمَعٌ حَادَاهُ الضَّنَى فَأَسْبَلَهُ
وَطَالَ لَيْلُ الْهَوَى عَلَيْهِ وَمَا أَمْرٌ لَيْلِ الْهَوَى وَأَطْوَلُهُ
وَكُتِبَتْ كَرَّاعَةٌ عَلَى طَبَلِهَا :

يَا نَفْسًا لَيْسَ يَنْقَضِي أَمَدُهُ وَيَا فُؤَادًا أَذَابَهُ كَمَدُهُ
وَيَا مُجَبِّجًا جَفَاهُ سَيِّدُهُ تَقَطَّعَتْ مِنْ جَفَائِهِ كَبِيدُهُ

وكتبت أخرى على ناي :

فَكَيْفَ صَبْرِي وَبَيْسَ الصَّبْرِ لِي فَرَجٌ وَالطَّرْفُ يُعَشِّقُ مَنْ فِي طَرْفِهِ غُنْجٌ (١)
وَقَرَأَتْ عَلَى مِعْزُوفَةٍ :

إِنْ كُنْتَ تَهْوَى وَتَسْتَطِيلُ فَإِنِّي عَبْدُكَ الذَّلِيلُ
أَعْرَضْتَ عَنِّي وَخُنْتَ عَهْدِي وَجُرْتَ فِي الصَّدِّ يَا مَأُولُ
كَيْفَ احْتِيَالِي وَلَيْسَ يَأْتِي مِنْكَ كِتَابٌ وَلَا رَسُولُ
وعلى آخر :

أَلَذُّ عِنْدِي مِنَ الشَّرَابِ تَقْبِيلُ أَنْيَابِكَ الْعَذَابِ
وَلَهُمْ خَدٌّ كَلَوْنٍ خَمِرٍ قَدْ شَفَّهَ كَثْرَةَ الْعِتَابِ

وقرأت على دف:

يا بدعا في بدع جارت على من ملكك^(١)
أرثي لصب نفسه مما به قد تلفت

وعلى آخر:

ما سرني أن لسانی ولا أن فؤادی منك يوماً خلا
وأن لي ملك بني هاشم يحبي إلى أولاً أولاً

وقرأت على طنبور:

يا أول الحسن يا من لا نظير له هلت سحائب عيني نعمة الزير
وأي مزنه غرب لا تسح دما من عاشق عند نغمات الطناير^(٢)

وعلى طنبور آخر:

بكيت من طرب عند السماع كما يبكي أخو قصص من حسن تذكير
وصاحب العشق يبكي عند شجوته إذا تجاوز صوت الهم والزير^(٣)

٥٥ — باب ما يكتب على الأفراس

من مستظرف الكلام

كتب بعض الكتاب على قلم أهداه:

إني لأعجب إذ يزهو به قلم أن لا يلين فيبيدي حوله ورقا

(١) البدع: جمع البدعة: ما أحدث على غير مثال سابق

(٢) المزنه: المطرة. الغرب: عرق في العين تجري منه الدمع

(٣) الهم: أغاظ أوتار العود، وأغاظ أصواته

يَالَيْتَنِي قَلَمٌ فِي بَطْنِ رَاحَتِيهِ أَلْتَدُّ بِأَطْنِ كَفِّيهِ إِذَا مَشَقًّا^(١)
وعلى آخر :

إِذَا دَخَلَ الدِّيَّوَانُ أَشْرَقَ نُورُهُ وَلَمْ يَكْ لِلشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورٌ
فِيَالَيْتَ أَنِّي كُنْتُ فِي بَطْنِ كَفِّهِ لَهُ قَلَمًا إِنْ الْحُبَّ شَكُورٌ

وكتب عمر بن ابراهيم البصري على قلم أهداه لبعض غلمان ديوان الخراج :

يَا قَرَّ الدِّيَّوَانِ يَا مُلْبَسَ قَلْبِي سَقَمًا
كَأَنَّمَا فِي كَبِدِي أَنْتَ تَخُطُّ الْقَلَمَا
يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مَعًا جِيدًا وَعَيْنًا وَقَمًا^(٢)

وأخبرني من قرأ على قلم لبعض الكتاب بالديوان :

إِذَا دَخَلَ الدِّيَّوَانُ حَارَتْ عَيُونُنَا وَقَلَمُنَا كَمَا قَالَتْ صَحَابَاتُ يُوسُفَ
فَيَمُشِقُ وَالتَّشْوِيرُ فِي حَرَكَاتِهِ فَيُورُثُنَا مِنْ ذَلِكَ مَا لَيْسَ يُوصَفُ

وقرأت على قلم :

إِذَا دَخَلَ الدِّيَّوَانُ حَارَتْ عَيُونُنَا وَكَادَتْ قُلُوبُ النَّاظِرِينَ تَطِيرُ
فِيَانِعْمَتًا إِنْ لَمْ تَصِبْكَ عَيُونُهُمْ لَكَ اللَّهُ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونِ مُجِيرُ

وعلى آخر :

أَفْدَى الْبَنَانِ وَأَفْدَى الْخَطِّ مَنْ عِلْمُ أَفْدَى الْبَنَانِ وَأَفْدَى الْخَطِّ مَنْ عِلْمُ
كَأَنَّمَا قَابَلَ الْقُرْطَاسَ إِذَا مَشَقَّتْ وَقَدْ تَطَرَّفَ بِالْحِنَّارِ وَالْعَنَمِ^(٣)
فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْلَامٍ عَلَى قَلَمِ

(١) مشق في الكتابة : مد حروفها

(٢) الجيد : العنق

(٣) العنم : شجر له ثمرة حمراء ، يشبه بها البنان المخضوب

٥٦ - باب ما يكتب على الدراهم والنانيم

التي ضربت للملوك في المقاصير

قال علي بن الجهم : قرأت على دينار في خلافة المتوكل من ضرب الدار :
وَأَصْفَرَ صَاغَتْهُ الْمُلُوكُ تَطَرُّبَا بِأَسْمَائِهَا فِيهِ الْمُرُوءَةُ وَالْفَخْرُ
بِاسْمِ أَمِينِ اللَّهِ زِينَتِ سُطُورِهِ كَمَا زَيْنَ بِالتَّفْصِيلِ فِي نَظْمِهِ الدُّرُّ
هُوَ الْمَلَأُ الْمَأْمُونُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِهِمْ إِنْ أَغْبَى الْقَطَرُ يُسْتَنْزَلُ الْقَطَرُ
لَهُ غُرَّةٌ فَيُنَانَةُ جَعْفَرِيَّةٌ بِهَا تَضْحَكُ الشَّمْسُ الْمَضِيئَةُ وَالْبَدْرُ

قال : ورأيت على دينار من ضرب المتوكل أيضا مكتوبا عليه :
وَأَصْفَرَ مَنْ ضَرَبَ دَارَ الْمُلُوكِ يَلُوحُ عَلَى وَجْهِهِ جَعْفَرُ
وَقَرَأْتُ عَلَى دَرْهَمٍ مِنْ ضَرْبِ الْمُتَنَصِّرِ :

دَرْهَمٌ أَبْيَضٌ مَلِيحُ الْمَعَانِي بِسُطُورِ مَبِينَاتِ حِسَانِ
صَاغَهُ الصَّائِغُ الْمُنَمَّقُ بِالْحُسْنِ نَ لِيُهْدَى صَبِيحَةَ الْمَهْرَجَانِ
فِيهِ إِسْمُ الْإِمَامِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَوَقَّاهُ نَائِبَاتِ الزَّمَانِ

وَقَرَأْتُ عَلَى دَرْهَمٍ :

أَخِي دَرْهَمِي مَا دَامَ ، وَالنَّاسُ إِخْوَتِي فَانْ غَابَ عَنِّي غَابَ كُلُّ صَدِيقِ
هَذِهِ جُمْلَةٌ مِمَّا بَلَّغْنَا فِيهَا كِفَايَةَ مَنْ اكْتَفَى ، وَبَيَانَ مَنْ تَبَيَّنَ وَاقْتَفَى ،
وَمَا اسْتَوْعَبْنَا كُلَّ مَا انْتَهَى إِلَيْنَا ، وَلَوْ قَصَدْنَا إِلَى تَكْثِيرِ مَا اسْتَصْعَبَ عَلَيْنَا ،
وَإِنَّمَا قَصَدْنَا التَّخْفِيفَ ، لَا التَّأْلِيفَ ، وَالْإِقْتِصَارَ ، وَالْإِخْتِصَارَ ، وَلَيْسَ كُلُّ
مَا سَمِعْنَاهُ ذَكَرْنَاهُ ، وَلَا كُلُّ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ سَمِعْنَاهُ ، وَقَدْ أَدِينَا بَعْضَ مَا بَلَّغْنَا ،

ووصفنا بعض ما استحسننا ، وخططنا جدا بهزل ، واعوجاجا بقصد ، وجعلنا
كل ذلك في نظام ، وإلى الله نرغب في السلامة والسلام .
والحمد لله بجميل التسديد ، وهو المتفضل بالاعانة والتوفيق ، وإياه
نستعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .
كمل الكتاب وتم بقوة الله ومنه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله
على خيرته من خلقه محمد وآله ، وحسبي الله وعليه أتوكل .

فهرس الأعلام

— | —

أبو الأحوص ٢٦ ، ٣٠
الأحوص بن محمد الأنصاري ٦٠ ، ٦١ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٩٤ ، ١٣٩ ، ١٩٥
الأنخل ٨ ، ١٣١
ابن أذينة ٦٩
أردشير بن بابك ٥
أزهر السمان ١٢
اسحاق بن إبراهيم الموصلي ٨٢ ، ٢٢١ ،
٢٣٧
اسحاق الرافي ٨٣
اسحاق بن علي الهاشمي ٢٢٦
اسحاق بن المنذر ١٩٣
اسحاق بن يحيى (والد مؤلف هذا
الكتاب) ٢٥ ، ١٨٤
أسعد بن عمرو ٦٨
أسماء ٦٨
أسماء بن خارجة الفزاري ١٤٩
أسماء بنت غضيض ٢٢٩
اسماعيل ٢٢٤
اسماعيل بن محمد بن راشد بن سعيد ١٩٤
أبو الأسود الدؤلي ٢٣
الأصمعي ٣ ، ٥ ، ١٣ ، ١٩ ، ٥٢ ، ٥٧ ،
٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٣٠
ابن الأعرابي ١٢ ، ٥٢
الأعشي ٧٦
الأعور الشني ٨
أكثم ابن صيفي ٩ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٥
أمامة ٦٩

أبو آمنة جد النبي صلى الله عليه وسلم ١٧
إبراهيم ١٩٤
إبراهيم الأزدي ٩١
إبراهيم بن حسن ١٠٥
إبراهيم بن العباس ١٤٥
إبراهيم بن محمد النحوي الواسطي
(أبو عبد الله) ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٦ ،
٨٨ ، ٩٤ ، ١٤٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨
إبراهيم بن المهدي ٨ ، ٣٤ ، ٦٣
الأحدب ٢٢١
أحمد بن الحسين بن المنجم المقرئ ٢٢٥
أحمد بن عبد الله ٥٠
أحمد بن عبد الله بن هشيم ١٩٣
أحمد بن عبيد بن ناصح ٣ ، ٤ ، ٩ ،
١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٥٢ ، ٨٩ ، ١٣٨
أحمد بن غزال ١٢٢ ، ١٢٣
أحمد بن أبي قنن ٩٧
أحمد بن محمد بن غالب ١٩٣ ، ١٩٤
أحمد بن الهيثم المعدل ١٩٣
أحمد بن يحيى « ثعلب » ٨ ، ٩ ، ١١ ،
٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٥ ،
٦٩ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٣٦ ،
١٣٩ ، ١٤٨
أحمد بن يحيى بن الخطيم ٥٠
ابن أحرر ١٢٥
الأخنف بن قيس ٢٤ ، ٣٩

الثريا ٦٨
تقيف ٣٨

— ج —

الجاحظ (عمرو بن بحر)
ابن جرموز ١٠٤
جزير بن الخطفي ٧٠ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ١٠٠
١٠١ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
١٨٩

جرير بن عبد الله البجلي ٢٦ ، ٦٤
جعفر ٢٧ ، ٦٤
أبو جعفر ٤ ، ٩٧
أبو جعفر القاري ٢٣٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨
الجماش ٩٣
جمل ٦٤ ، ٦٨
جميل بن عبد الله بن معمر العذري ٥٦ ،
٥٧ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ،
٨٣ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٨٩
جناح ٢٢٥

— ح —

حاتم طي ٥ ، ٦٨
الحافظ السيوطي ٢٥
الحباب ٢٢٢
حبيب بن أوس (أبو تمام) ٣٤ ، ١٠٠
حيثشة ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
الحجاج بن يوسف ٤٧
أبو حدرد الأسلي ١٠٩ ، ١١٠
أبو حرب ٢٢١ ، ٢٢٥
الخرقة بنت النعمان ١٩
حسان بن ثابت الأنصاري ١٣٤
الحسن البصري ٣٠
حسن بن الحسن بن علي ٢٨ ، ١٠٥

أبو أمامة ٢٦
امرؤ القيس بن حجر ١٠ ، ١٣٢
الأميلس ١٩٠
ابن أمينة ٥٠
أنس بن مالك ٢٦ ، ١٩٦
الأوزاعي ١٢
أرس بن حجر ٢٧
أيوب السجستاني ٣٩

— ب —

الباغندي ١٤
بثينة ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧٧
البحترى (الوليد بن عبيد)
بدر ٦٨
البراء بن عازب ٢٥
بشار بن برد العقيلي ٢٢ ، ٥٠ ، ٩٦ ،
١٢٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧
بشامة بن عمرو المري ١١
بشر بن أبي خازم الأسدي ٦٨
بشر بن السري ٣١
بشر بن موسى الأسدي ٣
أبو بكر بن أبي الدنيا ٢٦
أبو بكر الصديق ٤١ ، ١٠٢ ، ١٨٤
بكر بن عبد الله المزني ٨
بنان ٢٢٠
بنان الشاعرة ٢٢٣
أم البتتين ١٨

— ت —

تباريح الكوفية ٢٢٣
أبو تمام (حبيب بن أوس الظاهري)
توبة بن الحمير ٦٨

— ث —

ثابت البناني ٢٦

— د —

دبسية ٢٢٥
دعبل بن علي الخزاعي ١٣٣، ٤٥
دعد ٦٨
أبو دلف العجلي ٢٤٤
ابن الدمينية ٦٩
ابن أبي الدنيا ٨٧
أبو دهبيل الجمحي ٦٩

— ذ —

أبو ذؤيب الهنلي ١٥٧، ١٤٥، ١٢٧، ٧١
الذلفاء ٦٨
ذويت ٢٣٧

— ر —

راهي ٢٢١
رؤبة بن العجاج ٣
ربيعة الرأي ٩
أبو ربيعة العامري الكوفي ١٠٤
أبو الرجال ١٩٦
الرشيد ٢٢٥، ٢٢٦
ابنة الرصافية ٢٢٥
ابن أبي الرعد ٨٧
رفاعة الفقعسي ١٣٨
رقية بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
ذو الرمة ٦٨، ١٨٨
ريسان العذري ٦٩

— ز —

الزبير بن بكار ٦٢، ٩٤، ١٣٦، ١٤٨
٢٢٤، ١٨٩

أبو الحسن بن الرومي (علي بن العباس
ابن الرومي)

الحسن بن عليل (أبو علي العنزي)
الحسن بن علي ٢٨
الحسن بن قارن ٢٠١/٢٠٢
الحسن بن وهب ٢٠٩، ٢١٦، ٢٢٥
٢٤٧، ٤٢٦

الحسين الخليج ١٤٦، ١٥٥
الحسين بن مطير ٥٥، ٦٩
حصن بن ضمضم ١٠٨
حصن بن محارب ١٥٩
الحكم بن معمر الحضري ١٥٩
الحكمي (أبو نواس)
حمدونة بنت المهدي ٢٢٥، ٢٣٧
حمزة ٦٨
الحميدي ١٤

— خ —

خاضع ٢٢٧
خالد الأسدي ٣٨
خالد خيلوية ١٦٦
خالد بن صفوان ٢٤، ٣١، ٣٨
خالد بن الوليد ١١٠
الخطفي بن بدر ٩
خلف بن صفوان ١٤
خلوب ٣٦
الخليج (الحسين الخليج)
خليل بن حمد ٢، ١٢، ١٩٣
خنث ٢٢٣
ابن أبي خيشمة — ١٠٢، ١٣٩
الخيزران ٢٢٠

سكينة بنت الحسين ٦٢ ، ٧٧
 سلامة القس ٥٤ ، ٦٨
 سلم ٢٣٨
 سلم بن قتيبة ٤
 سلمة بن الفضل ١١٠
 ابن السلمي ٢٢٣
 سليمان بن داود ١٣ ، ١٦ ، ١٩
 سليمان بن عبد الملك ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢
 سليمان بن عياش السعدي ١٣٦
 سماك بن حرب ١٥٠
 ابن سهل بن سعد (عباس بن سهل)
 سهل بن سعيد الساعدي ٢٤
 سهل بن نصر ١٩٣
 سويد بن أبي كاهل ٦٥
 ابن سيرين (محمد بن سيرين)

— ش —

شادن ٢٢٣
 أبو الشبل ١٢٢
 شبل ١٨
 شريط ٢٤٠
 شريك بن عبد الله القاضي ٩١
 الشعبي ٢ ، ٧ ، ١٠٠
 شمائل ٢٣٦
 شماريخ ٢٣٩
 شمس الطنبورية ٢٢٦
 ابن أبي شيبه ١٨٤
 أبو الشيص ٦٩ ، ١٣٠ ، ١٧٥

— ص —

صالح بن حسان ١٠٥
 أبو صخر الهذلي ٦٩
 الصخري ٢٤٠

الزبير بن العوام ١٠٤
 زرور ٢٢٢
 زازل ٢٢٣
 زليخة ١٥٤
 أبو زهرة ٣٩
 الزهري ١٢
 زهير بن أبي سلمى ٢١ ، ١٤٤
 ابن زياد (عبيد الله بن زياد)
 أبو زيد ٣٣
 زير ١٠٥
 زين ٢٢٤
 زينب ٦٨

— س —

سائب خاثر ٩٢ ، ١٣٦
 أبو السائب المخزومي ٨٩
 ابن الساهر ٢٣٨
 سحيم عبد بن الحساس ٢٣٨
 سعاد ١١٢ ، ١٣٤
 السعدية ٢٣٨
 سعيد بن حميد ٢٠٠ ، ٢١٦
 سعيد بن العاص ١٥ ، ١٠٧
 سعيد الفارسي ١٣٦
 سعيد بن قيس ٢٣١
 سعيد بن لقان بن عبد الرحمن الأنصاري ١٩٣
 سعيد المساحي ٣٣ ، ٣٣
 سعيد بن المسيب ٩١
 سعيد المقبري ١٩٢
 سفيان ١٤
 سفيان الثوري ٩٤
 أبو سفيان ٩٤
 ابن السكيت (يعقوب بن إسحاق)

صعصعة بن صفوان ٩٣

الصعصعة بن عبد الله القشيري ٦٩

— ض —

ضرب بن الفرافصة ١٠٧

— ط —

طاهر ٢٣٩

ابن الطائرية ٦٩

طرفة ٣٠

الطرماح ٢٢

أبو الطيب الوشاء ١ ، ٩ ، ٥٥ ، ٥٥

٥٦ ، ٦٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٤٧ ، ١٩١

٢٤٨ ، ٢٥٥

— ظ —

ظلوم ٢٤٠

— ع —

عائشة ١٨٤

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن قيسيل

١٠٣ ، ١٠٤

العاجي ٢٢٧

عارم ٢٢٥

ابن عاصم ٢٢٦

عامر بن صعصعة ١٢٣

ابن عباس (عبد الله بن عباس)

أبو العباس (أحمد بن يحيى ثعلب)

العباس بن الأحنف ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٣

٦٩ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ٢٤٠

عباس بن سهل بن سعد الساعدي ٥٧

أبو العباس الشيباني ١٧

أبو العباس بن الفضل الربيعي ٦٧

العباس بن الفضل بن الربيع ٢٤٦

أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد)

عباس التميمي ٢٣٨

عبد الحميد الماطلي ٩٧ ، ٢٣٥

عبد الله بن أبي بكر ١٠٢ ، ١٨٤

عبد القيس ٢٢ ، ٣٩

أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحوي

الواسطي (نقضه)

عبد الله بن إدريس ١٨٤

عبد الله بن بكر السهمي ٤٠

عبد الله بن أبي بكر الصديق ١٨٤

عبد الله بن حسن بن الحسن ١٠٥

عبد الله بن الحسن بن علي ١٩

عبد الله بن سميطة بن عجلان ٣٩

عبد الله بن شبيب ٩٠ ، ٩١

عبد الله بن صالح ٣١

عبد الله بن طاهر ١٧

عبد الله بن عباس ٢ ، ٤ ، ٩٣ ، ٩٦

٩٨ ، ١٠٥ ، ١٩٤

عبد الله بن عبد الرحمن القس ٥٣

عبد بن عبد الله بن طاهر ٣٣ ، ١٧٩

عبد الله بن علقمة ١٠٩

عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥

عبد الله بن المبارك ٣١

أبو عبد الله بن مسرف ١٥٠

عبد الله بن مسعود ٢٦ ، ٣٠

عبد الله بن مسلم بن جندب ٩٤

عبد الله الواسطي (أبو عبد الله إبراهيم

ابن محمد)

عبد المطلب ١١

عبد الملك بن مروان ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٧

٥٣ ، ٥٦ ، ٧٧ ، ٨٣

عبيد بن شريك ١٩٢
عبيد الله بن زياد ٤٠
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠ ، ٤٩ ، ١٤٥ ، ١٥٢
عبيد الله بن عبد الله بن عقبة بن مسعود ١٣٩
عبيد الله بن قيس الرقيات ٦٨ ، ٣٦ ، ١
عبيد الماجن ٢٤٣
أبو عبيدة ٣٢٠
العقاني ٣٦ ، ٤٠
أبو العتاهية ٦ ، ٧ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٨٧ ، ٦٩
عتبة ٦٩
عتبة بن هبيرة الأسدي ١٦
العتبي ٤ ، ٧٨
أبن أبي عتيق ٥٧ ، ٧٢ ، ٩٢ ، ١٣٦
عثمان بن عطاء بن مسلم ٣١
عثمان بن عفان ١٠٧ ، ١٠٨
ابن عجلان ١٩٢
عدي بن حاتم ٤٦
عدي بن زيد العبادي ١٦
العرجي ٦٥
عروة بن أزيعة الليثي ٦٢
عروة بن حزام العسري ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠
٧١ ، ٧٢ ، ١١١
عروة بن الزبير ٩٦
عروة بن الورد ١٤١
عريب ٢١٩
عزة كثير ٦٨ ، ١٣٨
عطاء بن مسلم ٣١
العطوي ١٢٨ و ١٩٠
عفراء بنت عقال ٦٨ ، ٧٢ ، ١١١
عكرمة ١٩٤

العلاء بن أسلم ٣
علاء ٢٢٢ بن علي أديم ٦٨
علي بن ثابت الكاتب ٤٥
علي بن الجهم ٦٧ ، ١٢٦ ، ١٩١ ، ١٩٩
٣٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣
أبو علي الحسن بن عليل الغنزي ٢٩ ، ٩٤ ، ١٨٩
علي بن أبي طالب ١٩ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٨٤
علي بن العباس بن الرومي ٦٦ ، ٩٢ ، ١٣٤
علي بن عمرو الأنصاري ١٠٤
علي بن عيسى بن عبد الله الهاشمي ٢٤٤
علي بن عيسى بن يزيد ٢٣
علي بن هشام ٤٢ ، ٤٤
عليه بنت المهدي ١٣٧ ، ٢٤٥
عمارة بن عقيل ٤
ابن عمر ٣٨
عمر بن إبراهيم المصري ٢٥٢
عمر بن الخطاب ٤ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤
٢٦ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ١٠٣ ، ١٨٤
عمر بن أبي ربيعة ٣٤ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٧ ، ١٤٥ ، ١٩٧
عمر بن شبة ١٣٠
عمر بن عبد العزيز ١٣ ، ١٤ ، ٢١
عمر بن لجأ ٩٥
عمر بن هبيرة ٣٩
عمرو ٦٨
عمرو بن بحر (الجاحظ) ٢٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٧ ، ٢٢٣ ، ٢٤٠
عمرو بن العاص ٢٠ ، ٤٠
عمرو بن عجلان ٦٨ ، ٦٩
أبو عمرو العوفي ٢٠

قيصة ٤٢ ، ٦٨ ، ٢٢١
قصعة ٢٤٩
القطامي ١٣١ ، ١٣٧ ، ٢٤٧ ، ١٩٠
قيس بن الحداية الخزاعي ٤٦
قيس بن ذريح ٦٨ ، ٨١
ابن قيس الرقيات ٩٢
قيس بن الملوخ (مجنون بني عامر) ٦٠ ،
٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠
قيصر ١٠

— ك —

كثير عزة ٢٧ ، ٤٨ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ،
٧٧ ، ٩٢ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٧٥
أبو كثير الهذلي ٦٩
كثيرة ٦٨
كسرى ١٠
كعب الأحبار ٢٩
كعب بن زهير ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠
ابن السكلي ٥٠
الكيميت بن زيد ٨٦

— ل —

لاهي ٢٢٥
أبو لؤلؤة ١٠٣
لبنى ٦٨ ، ٢٢٨
لذة ٦٨
لقمان ٧
لحم ٢٢٨
ليلي الأخيلية ٦٨
ليلي بنت صيفي ٦٨
ليلي العامرية ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤

— م —

ماجن ٢١٩

عمرو بن قنان ٧١
عمرو بن مرة الجهني ٢٠
عميرة ٦٨
عنان ٢٢٩
عيسى بن جعفر بن المنصور ٢٢٥
عيسى بن مريم ٧
أبو العيناء ٢٧ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ٩٧
ابن عيينة ٣١

— خ —

الخمر بن ضرار ٦٨

— ف —

فاطمة بنت حسن بن علي ١٠٥
فاطمة بنت محمد بن عمران ٢٤٠
فاطمة بنت المنذر ٦٨
فالون ٦٨
الفتح ٦٧
ابنة الفرافصة بن الأحوص السكلي
(نائلة)

الفرزق ٧٨ ، ٩٩ ، ١٣٣ ، ١٨٨
أبو الفضل الربيعي ١٠٤
الفضل بن الربيع ٢٢٥
فضل الشاعرة ٦٨ ، ١٢١
الفضل بن عياض ١٨
الفضل بن غسان البصري ٣١
الفضيحي ٤٥
فوز ٦٩

— ق —

قائد ٢٢٨
قابوس ٦٨
قاسم الزبيدي ٩٦

محمد بن عبد الله بن طاهر ٥ ، ٣٥ ،
 ١٨٥ ، ١٩١ ، ١٩٩
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦ ،
 ٧ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥ ،
 ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
 ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٧٨ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ،
 ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٨٤
 ١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٥٤
 محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
 محمد بن عبد الله بن مسلم بن جندب ٩٤
 محمد بن عبد الملك الزيات ٢٠١ ، ٢١٧
 محمد بن أبي العتاهية ٦
 محمد بن علي بن الحسين ٣٩
 محمد بن عمرو بن مسعدة ٢١٩
 محمد بن الفرات ١٩٣
 محمد بن المأمون ٢٢٢
 محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ١١٠
 محمد بن نصر الحارثي ٣١
 محمد بن واسع ٣١
 محمد بن يحيى ٩١
 محمد بن يزيد (المبرد) ٣ ، ١٨ ، ٢٢ ،
 ٢٧ ، ١٣٨
 أبو محمد الزبيدي ٩ ، ١٦
 محمد بن يونس القيسي ١٩٦
 محمود الوراق ١٤ ، ١٨ ، ٥٦ ، ٥٩ ،
 ١٣٧
 مخارق ٦٦ ، ٢٤٩
 ابن مخارق ٦٦
 الخليل السعدي ٦٨ ، ١٣٠
 المدايني ١١٠
 المدلة البكرية ١٠٤
 ابن مرجانة ٩١
 مرقش الأصغر ٦٨

المارقي ٢٢٢ ، ٢٣٦
 ماري مريم ٢٢٧
 المازني ٢٤٠
 مالك بن أنس ٩١
 مالك بن عمرو الفسائي ١١٣
 الماهانية ٢٢٦ ، ٢٣٩
 مؤلف ٢٤٠
 المؤمل بن أميل ٦٨ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٢٨
 المأمون ٤٤ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
 ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣
 الماوردي ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨
 ماوية ٦٨
 المبرد (محمد بن يزيد)
 المتوكل (الخليفة) ٦٧ ، ٧٩ ، ٢٣٠ ،
 ٢٥٣
 المتوكل الكنتاني ٢١
 المتلس ١٤٤
 متيم ٢٣٦
 المثنى بن خارجة ٤٣
 مجاشع ٢٨
 مجاهد ١٥ ، ٣٠
 مجنون بن عامر (قيس بن الملوح)
 محمد بن إبراهيم القاري ٤
 محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ٧٩ ،
 ٨٠ ، ٨٢
 محمد بن إبراهيم الهمداني ٤٥ ، ١٩٩
 محمد بن اسحاق ١١٠ ، ١٨٤
 محمد بن جعفر بن الزبير ٨٥
 محمد بن الجهم ٤٢
 محمد بن حرب ٣٧
 محمد بن حميد الخراساني ١١٠
 محمد بن خلف ١٥٧
 محمد بن سيرين (ابن سيرين) ٥٢

المهلب بن أبي صفرة ٤١ ، ٤٦ ، ٤٦
المهلب ١٨
موسى ١٥٣
موسى بن اسماعيل المنقري ١٣٠
موسى الهادي ٢٣٠
ابن ميادة ٦٩
الميلاء ٦٨
مية ٦٨ ، ٨٤

ن

نائلة بنت الفرافصة ١٠٧ ، ١٠٨
النابعة الذبياني ٢٣
ناعم ٢١٦
نافع بن خليفة ١٤٤
نشوان ٢٢٣ ، ٢٤٤
نصيب ٦٨ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٧٦
النفطاف ٢٢٩
نعم ٦٨
النعمان بن بشير الأنصاري ١١٢
النعمان بن المنذر ١٩
القر بن تولب ٦٨ ، ١٥٨
النهدي ٧٠ ، ٧١
أبو نواس (الحكيم) ٣٢ ، ٩٦ ،
١٢٣ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ٢٢٩

— ه —

هاتف ٢٢٧
أبو هريرة ٧ ، ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ١٩٢
١٩٣
الهزنادي ٦٠
هشام ٦٠
هشام بن حسان ٨٢
هشام بن عبد الملك ١٣٨

مركش الأكبر ٦٨ ، ٧١
مروان بن أبي حفصة ٧٠ ، ١٩١
ابن أبي مريم ٩٢
مسعر بن کدام الغلالي ١٥
أبو مسلم الكلابي ١٨٩
مسلم بن الوليد ٩١
مسلمة بن عبد الملك ٣٩
مشتاق ٢٢٦
مطرف بن الشخير ٢٣
المطيع بن إياس ١٨ ، ٢٤
معاذ ٣٠
معان ٢١٦
معاوية بن أبي سفيان ٢٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
٤٧ ، ١٠٩
معاوية بن قرة ٣٠
المعصم ٦٧
معمر ١٠٥ ، ١٠٦
معنرة ١٩٤
المغيرة بن أبي ضمام البكري ١٠٤
المغيرة بن أبي عقيل ١٠٤
المقفع السكندري ٢٣
مكاتم ٢١٩
ملك ٩٧ ، ٢٣٦
أبو المليح ١٨٤
ابن أبي مليكة ١٨٤
المنتصر ٢٥٣
المنصور ٢٩٠ ، ٢٩
ابن المنكدر ١٤
منهله ٦٨
منية ٦٨
أبنة المهدي (عليقة بنت المهدي)
مهدى بن الملووح الكلابي ١٨٩
المهذب ٦٨

الهلالي ٢٨

هند ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠

هند ابنة الفرافصة ١٠٧

الهيثم بن أسعد النخعي ٩

الهيثم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥

الهيثم بن عدي ٨٢ ، ١١٣ ، ١٥٣

— و —

أبو وائل الأضاحي ٨٩

وائل بن الأسقع ١٤٨

واجد الكوفية ٣٢٦

واصل مولى بن عيينة ٣١

أبو وجزة السعدي ٦٩

الوضاح بن ثابت الكاتب ١٩٩

وضاح النخعي ٦٨

الوليد ٣٠

الوليد بن عبيد البحتري ٦٨

— ي —

يحيى بن أكثم ١٦

يحيى بن أيوب ١٩٢

يحيى بن خالد البرمكي ٣٣٦

يحيى بن أبي كثير ١٢

يحيى بن ماسويه ٦٧

يحيى بن محمد المسلمي ٢٤٤

يزيد بن بيان ١٩٦

يزيد بن جبل ٤٤

يزيد بن عبد الملك ٥٤

يعقوب بن اسحاق (ابن السكيت) ٢٧ ، ٥١

أبو يعقوب الحريري ٤٥

يعقوب بن عقبة بن المغيرة الثقفي ١١٠

يعقوب بن يزيد التمار ٤٣

يعلى بن منبه ١٤

يوسف ١٥٤

يوسف الأعور ٢٧

يونس ١٢

يونس بن عبيد ١٨

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	الرقم	الموضوع
١	تصدير :	٤٣	١٢ - باب ما جاء في قبيح خلف المواعيد
ب	الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية	٤٦	١٣ - الحث على كتمان السر
	على عهد المؤلف	٥١	١٤ - سنن الظرف
ع	موضوعات الكتاب	٨٢	١٥ - من مات من شدة الفقر
ف	نسخ الكتاب	٨٦	١٦ - من وصف الحب
	آثارنا في الكتاب	٨٨	١٧ - ما في معرفة الهوى
ق	ما صار إليه الكتاب	٨٩	١٨ - ما سئل عنه أهل الصدق
	رجاء	٩٩	١٩ - ما جاء فيمن تغف في محبته
	التعريف بالمؤلف :	١١٥	الجزء الثاني من كتاب الموشى
	نسبه	١١٦	مقدمة الجزء الثاني
ر	مولده	١١٦	٣٠ - باب صفة ذم القيان
	عصره	١٤٤	٢١ - ما جاء في مصارمة ذوى الغدر
	علمه	١٥١	٢٢ - النهى عن الهوى
ش	شعره	١٦٠	٢٣ - ذكر زى الظرفاء في اللباس
ت	مصنفاته	١٦١	٢٤ - زى الظرفاء في التكمك
ث	وفاته		والنعال والخفاف
١	خطبة الكتاب	١٦٢	٢٥ - زيمهم النصوص في الخواتيم
٣	مطلب في الحسد		والنصوص
٦	١ - باب البيان عن حدود الأدب	١٦٢	٢٦ - زيمهم في التعطر والطيب
١٣	٢ - النهى عن مازحة الأخلاء	١٦٣	٢٧ - في متظرفات النساء
١٥	٣ - الأمر باختيار الإخوان	١٦٤	٢٨ - زيمهم الخالف لرى الرجال
٢٠	٤ - الحث على صحبة الإخوان	١٦٧	٢٩ - ذكر زى الظرفاء في الطعام
٢٥	٥ - صفة المتجابين في الله عز وجل	١٧١	٣٠ - ذكر زيمهم في الشراب
٢٨	٦ - البشاشة بالأخوان	١٧٢	٣١ - ذكر الاشياء التى يتطير الظرفاء
٣٠	٧ - اتفاق القلوب		من اهدائها
٢٢	٨ - النهى عن استعمال الإفراط	١٧٨	٣٢ - ما قيل في صفة الورود
	في حب الصديق	١٨١	٣٣ - ذكر التفاح
٣٤	٩ - الامر باغياب زيارة الاحباب	١٨٤	٣٤ - ما جاء في السواك
٣٧	١٠ - شرائع المروءة وصفتها	١٩٢	٣٥ - صفة ذوى المتظرف
٤١	١١ - ما جاء من فضل الصدق		

الصفحة	الموضوع	الرقم	الموضوع
١٩٩	٣٦ — باب ما اختير من الفاظ الادباء	٢٣٠	٤٥ — باب ما وجد على السطور والوسائد
	في المكاتبات	٢٣٢	٤٦ — ما وجد على المناس والحجل
٢٠٣	٣٧ — ما ضمنوه كتبهم من الاشعار	٢٢٤	٤٧ — ما يكتب على المجاس
٢١٠	٣٨ — وما ضمنوه كتبهم من السلام		والابواب
٢١١	٣٩ — باب ما كتبوه على العنوانات	٢٣٦	٤٨ — ما وجد للمظرفات والظراف
٢١٣	٤٠ — ما يكتب على الفصوص	٢٣٧	٤٩ — ما يكتب بالحناء في الوطأة
٢١٤	وما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم		والوشاح
٢١٤	وفي ضرب آخر	٢٣٩	٥٠ — ما يكتب على الجبين والخذ
٢١٥	وما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم	٢٤١	٥١ — ما يفلج به التفاح
٢١٦	وفي ضرب آخر	٢٤٣	٥٢ — ما يكتب على القناني والكاسات
٢١٦	وفي ضرب منه آخر	٢٢٦	٥٣ — ما يكتب على أواني الفضة
٢١٧	٤١ — باب ما وجد على التفاح		والذهب
٢١٩	٤٢ — ما وجد على ذيول الاقصة	٢٤٩	٥٤ — ما يكتب على العيسدان
	والاعلام		والمضارب
٢٢٢	٤٣ — ما وجد على الكرازن	٢٥١	٥٥ — ما يكتب على الأقلام
	والعصائب	٢٥٢	٥٦ — ما يكتب على الدراهم والدنانير
٢٢٦	٤٤ — ما وجد على الزنانير	٢٥٥	فهرس الاعلام

تصويب ما في الكتاب من أخطاء

الصفحة	سطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	الخطأ	الصواب
١	١٦	عن ما	عما	٤٨	٨	السر
١	٢١	الح	الحق	٤٨	٢٠	شجاعة
٢	٢	وقل ما	وقلما	٤٩	٤	الزمت
٢	٦	لا تعرضن	لا تعرضن	٥٦	١٦	صادفتيه
٣	١٣	تغطية	تغطية	٦٢	٢١	بيننا
٤	٢١	منطوى	منطو	٧٢	١	وكفا
٥	٢١	الذاعة	الذاعة	٧٥	٧	ش رتي
٦	١٢	وليس	وليس	٧٥	١٠	التطاع
٨	٩	نصت	أنصت	٧٥	٢١	بضم النون
٨	١٤	ونقصه	أو نقصه	٧٨	٦	تطف
٨	٢٠	شدانه	شدانه	٧٩	٤	عل
٩	٢	تعد	تعد	٧٩	١٩	ذا الخلق
٩	١٣	لحيته	لحيته	٨١	١٤	غبطة
١١	٤	تبيننا	تبيننا	٨٧	١	من
١١	١٦	عمرنا	عمرنا	٨٧	١٣	رأيت
١٤	١٩	وغره	أوغره	٩١	٥	يخبركم
١٥	١	كرام	كدام	٩١	٥	مصيب
١٥	١٠	ونقبش	ونقبش	٩٣	٢	بشابه
١٦	٣	أكم	أكم	٩٣	١٣	والى أرغب
١٦	١٧	اليزيدى	اليزيدى	٩٣	١٨	جاني مثله
١٧	١٨	تقياً	تقياً	١٠٣	١	بائن
١٨	٢٠	عقا	عقا	١٠٣	١١	عائكة
٢١	٧	الخطى	الخطى	١٠٤	١٢	الدى
٢١	٦	آباء	آباء	١٠٥	١٦	ومحمد
٢٩	١٨	أعرباً	أعرباً	١٠٨	١	بـية
٣٠	٦	وثبتت	وثبتت	١٠٨	١١	تقومن
٣١	١	التقوا	التقوا	١٠٩	٢	العلين
٣٣	١٠	معدنا	معدنا	١١٢	٢	فهاهى
٣٣	٢٢	جنم	جنم	١١٧	١٠	الاماء
٣٥	٨	محمد	محمد	١٢٣	٤	المعاش
٣٥	١١	ومديل	ومديل	١٢٣	٥	درنها
٣٦	٤	قشربا	قشربا	١٢٤	١٥	لهم
٤٠	١٤	مدا	مدينا	١٢٥	٥	أعرف
٤٣	٥	الني	الني	١٢٦	٢	فأطلق
٤٣	٥	أعن	أعن	١٢٦	٥	معجل
٤٣	١٤	ل斯基لا	ل斯基لا	١٢٧	٢٠	الرقران
٤٥	٣	نقارقه	نقارقه	١٣٠	٤	مقل
٤٨	٧	للسر	للسر	١٣٠	٥	أخيركم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٣٥	١٣	بالغيوبه	بالغيوب	١٨٢	١١	تأ كل تفاحه	تأ كل تفاحه
١٤٣	٣	بلياقته	بلياقته	١٨٢	١٢	فالشر والشر	فالشر والشر
١٤٣	٩	غلا	غله	١٨٦	١٠	جوارى	جوار
١٤٤	٨	الا أسماء	ألا يا — أسما	١٨٧	٤	بنعمته	بنعمته
١٤٦	٦	اختيار	اختبار	١٨٨	٧	الغر	الغر
١٤٦	٨	لتقصدا	لتقصدا	١٨٨	١٠	جوى	جوى
١٤٦	١٤	قبل — دها أناذ	قبل — وهأنذ	١٨٨	١٢	برد تحذر	برد تحذر
١٤٨	١٢	نصيب	نصيب	١٩١	٣	واعتمرا	واعتمروا
١٥٧	٣	ليلي	ليني	١٩١	٣	فاتحفي	فاتحفي
١٥٨	٢	فاعي	فاعيا	١٩٧	٤	ومداراته	ومداراته
١٥٩	٦	يعجز	يعجز	١٩٨	٢٠	والزلة	والزلة
١٦١	١٩	للنخين	للنخين	١٩٩	٦	حفوتنا	حفوتنا
١٦٣	٢	يستعملونه	يستعمله	٢٠٠	١١	سجد	سجد
١٦٥	٩	بالا برسم	بالا برسم	٢٠٠	١٩	يترى	يترى
١٦٦	٣	الظرف	الظرف	٢٠١	٩	وتعل ما	وتعل ما
١٦٦	٢٠	أرنبيه	أرنيه	٢٠١	١٢	منه	منه
١٦٧	٧	يهديها	يهديه	٢٠١	١٢	عني	عني
١٦٧	١٧	١٩	٢١	٢٠٢	١٨	يتوقع كتاب جوار	يتوقع كتاب جوار
١٦٩	٥	والأريان	والأريان (٢) ثم	٢٠٢	٢١	التلد	التلد
١٧٠	٨	عن ما	تصحح الأرقام التالية	٢٠٣	٩	عزيمته	عزيمته
١٧٠	١٦	الطبيار	عما	٢٠٤	٦	مكتبته	مكتبته
١٧١	١	تينتك	البيطار	٢٠٦	١٦	كالجمان	كالجمان
١٧١	٦	العوام	وتينتك	٢٠٧	١	وميته	وميته
١٧٢	١٣	البيطار	العوام	٢٠٨	٥	فأحيا	فأحيا
١٧٣	٧	إسمه	البيطار	٢٠٩	١٢	الحسن	الحسن
١٧٦	٥	بل أتما ميمتان	إسمه	٢١٤	٦	توالاهم	توالاهم
١٧٨	٣	يشبه	بل أتما ميمتان	٢١٥	٦	يكشف	يكشف
١٧٨	١١	ابن	يشبه	٢١٩	١٢	قيص	قيص
١٧٨	١٣	وزنتيه	بن	٢١٩	١٥	مقي	مقي
١٧٨	١٤	بالمطيب	وكر استيه	٢٢٤	٧	هيهات اذاك	هيهات اذاك
١٧٩	٨	ممن	بالمطيب	٢٣٣	١٠	وحر	وحر
١٧٩	١٢	يحنه	ممن	٢٣٣	١٠	أمر	أمر
			يحنه	٢٣٤	٥	المجالس	المجالس